مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد

مدير التحرير
محمود الشرقاوي

بدل الاشتراك

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

العنوان
إدارة المجامع الأزهر
بالقاهرة

ت : ٤٦٧١٤

الجزء العاشر — شوال سنة ١٣٨٠ هـ — مارس ١٩٦١ م — المجلد الثاني والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

رمضان سنة لا شهر !

بقلم : أحمد حسن الزيات

مضى رمضان وبيع الروح كما يمضى نيسان ربيع الطبيعة . وإذا كان نيسان يخلف من ورائه في الأرض الخضر والنماء والكلأ والثمر والنضارة فيرتع في خيره الإنسان والحيوان سائر العام كله ، فهل يعيش المسلمون بعد رمضان على زاد من تقواه وعدة من قواه وذخيرة من بره تعصمهم من نزوات النفس وشهوات الجسد بقية عامهم إلى أن يعود ؟

المفهوم من حكمة الصوم في شريعة الله أن يكون صفاء ، ولكن الواقع أن رمضان في دنيا أكثر الناس ثلاثون عيداً تبتدئ بليلة الهلال وتنتهي بيوم الفطر ، يتنعمون فيها بملذات الحس ومسرات العيش . فيتفننون في الطعام والشراب ، ويسرفون في اللهو والأنس ، ويسرفون على بطونهم بالأكل حتى تمرض ، وعلى جيوبهم بالبذل حتى تفرغ ، حتى إذا خرجوا منه إلى شوال خرجوا من الواحة إلى الصحراء ، ومن الهداية إلى التيه ، لا يملكون الزاد الذي يبلغهم الأمن ، ولا يجدون الدليل الذي يجنبهم الضلال .

لكن أكثر هؤلاء مفطرون وإن صاموا ! لأنهم كانوا يستقبحون الخطرة الآثمة والكلمة النابية والفعلة القبيحة ، فيسر من المعقول أن يكون رمضان سلطان عليهم أو ذخر لديهم أو أثر فيهم ، إنما الحديث عن أولئك الذين قضوا أيامه الغر ولياليه البيض ، في رغادة كرغادة

طوق ووضاءة كوضاءة عدن ، لا يرون فيه إلا خيراً يتدفق فى البيوت ، وبشراً يهلل فى الوجوه ، وذكراً يدوى فى المساجد ، ونوراً يتألق فى المآذن ، وعمراً يتمثل فى الأندية ؛ ثم حافظوا على شعائر المفروضة وتقاليده المسنونة ؛ فالسكير يهجر الكأس ، والمقامر يترك الورق ، والشرير يؤجل الشر ، والمجرم ينسى الجريمة ، وكلهم يتشبهون بأهل الصلاح وذوى الست فيمسكون السبحة ، ويتقون الشبهة ، ويصنعون المعروف : فإذا بدأ الربع الأخير من رمضان ودعوه وعلى وجوههم غشاوة من الأسى على بركات تريد أن تنقضى ، وخيرات توشك أن تنقطع ، كأنما يعتقدون أن باب السماء فى غير مغلق ، وأن وجه الأرض من بعد ربيعه جديب ، ثم تمثلوه محتضرا يقاسى غصص الموت ، فيتجمع عليه العائدون فى البيوت ، والمصلون فى المساجد ، والمؤذنون فوق المآذن ، والمحرون على الأبواب ، وكلهم يقولون سرا وجهرا : لا أوحش الله منك ياشهر البر والذكر والفكر والدعاء !

إليكم أنتم أيها الذين صاموه بالتقوى ، وقاموه بالإخلاص ، وودعوه بالحسرات ، وشيعوه بالدموع ، أوجه هذه الأسئلة :

هل أنتم يوم ودعتموه خير منكم يوم استقبلتموه ؟

هل شعرتم بعد أن أديتم فريضة هذا الركن الشديد من أركان الإسلام أن نفوسكم أصبحت أطهر ، وأن أخلاقكم صارت أكرم ، وأن أموالكم عدت أرفع ؟

وهل تحسون أثر أولئك كله فى دنياكم الخاصة والعامة ؛ فأنتم اليوم أشد قربا من الله وأوثق صلة بالناس وأطيب نفسا بالحياة ؟

اسألوا أنفسكم هذه الأسئلة ثم أجيبوا عنها ، وأنا واثق من أن أجوبتكم ستكون بالإيجاب ، وإلا لما حزنتم على انقضاء رمضان ، وأسفتم لانقطاع الخير فيه ، فإن المرء لا يحزن إلا على عزيز ، ولا يأسف إلا على نافع ، فلماذا إذن لا تجعلون سائر الأشهر كشهر رمضان؟ لماذا لا تستمرون فى الصيام عن ظاهر الإثم وباطنه ؟ فتغلوا أيديكم عن الأذى ، وتصونوا ألسنتكم عن الكذب ، وتطهروا أفئدتكم من الفحش ، وتنزهوا مكاسبكم عن الحرام ، وتبرئوا أعمالكم من الغش ، وقد جربتم ذلك فى رمضان فنفعت التجربة وحسنت العاقبة ؟

لماذا لا تضيقون الكلفة فى الفهوة لتوسعوا النفقة فى البيت ، وتقتصدون قليلا فى الأنس بالأصدقاء لتوفروا كثيرا من الأنس بالأسرة ، وقد فعلتم ذلك فى رمضان فاعتدلت الحال وطابت المعيشة .

هذا السكير الذى استطاع أن يهجر الخمر ثلاثين يوما وثلاثين ليلة ، فزكا قلبه ، وامتلأ جيبه ، وصح بدنه ، لماذا لا يواصل العيش بعد رمضان على هذا المنهاج ، وقد علم

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة المجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
سكرتير التحرير
محمود الشرقاوي
بدل الاشتراك

الجزء العاشر — شوال سنة ١٣٨٠ هـ — مارس ١٩٦١ م — المجلد الثاني والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

رمضان سنة لا شهر !

بقلم : أحمد حسن الزيات

مضى رمضان ربيع الروح كما يمضى نيسان ربيع الطبيعة . وإذا كان نيسان يخلف من ورائه فى الأرض الخصب والنماء والكلأ والثمر والنضارة فيرتع فى خيره الإنسان والحيوان سائر العام كله ، فهل يعيش المسلمون بعد رمضان على زاد من تقواه وعدة من قواه وذخيرة من بره تعصمهم من نزوات النفس وشهوات الجسد بقية عامهم إلى أن يعود ؟

المفهوم من حكمة الصوم فى شريعة الله أن يكون هذا . ولكن الواقع أن رمضان فى دنيا أكثر الناس ثلاثون عيداً تبتدئ بليلة الهلال وتنتهى بيوم الفطر ، يتمتعون فيها بملذات الحس ومسرات العيش . فيتفننون فى الطعام والشراب ، ويتدفقون فى اللهو والأنس ، ويسرفون على بطونهم بالأكل حتى تمرض ، وعلى جيوبهم بالبذل حتى تفرغ . حتى إذا خرجوا منه إلى شوال خرجوا من الواحة إلى الصحراء ، ومن الهداية إلى التيه ، لا يملكون الزاد الذى يبلغهم الأمن ، ولا يجدون الدليل الذى يجنبهم الضلال .

كان أكثر هؤلاء مفطرين وإن صاموا : لأنهم كانوا يستقبحون المنظرة الآثمة والكلمة الخبيثة والفعلة القبيحة ، فليس من المعقول أن يكون لرمضان سلطان عليهم أو ذخر لديهم أو أثر فيهم ؛ إنما الحديث عن أولئك الذين قضوا أيامه الغر ولياليه البيض ، فى رغادة كرغادة

طوبى ووضاءة كوضاءة عدن ، لا يرون فيه إلا خيراً يتدفق فى البيوت ، وبشراً يتهلل فى الوجوه ، وذكراً يتعالى فى المساجد ، ونوراً يتألق فى المآذن ، وعمراً يتنقل فى الأندية ، ثم حافظوا على شعائره المفروضة وتقاليده المسنونة ، فالسكير يهجر الكأس ، والمقامر يترك الورق ، والشرير يؤجل الشر ، والمجرم ينسى الجريمة ، وكلهم يتشبهون بأهل الصلاح وذوى السمت فيمسكون السبحة ، ويتقون الشبهة ، ويصنعون المعروف ؛ فإذا بدأ الربع الأخير من رمضان ودعوه وعلى وجوههم غشاوة من الأسى على بركات تريد أن تنقضى ، وخيرات توشك أن تنقطع ، كأنما يعتقدون أن باب السماء فى غير رمضان مغلق ، وأن وجه الأرض من بعد ربيعه جديب ، ثم تمثلوه محتضرا يقاسى غصص الموت ، فيتنجع عليه الصائمون فى البيوت ، والمصلون فى المساجد ، والمؤذنون فوق المآذن ، والمسحرون على الأبواب ، وكلهم يقولون سرا وجهرا : لا أوحش الله منك ياشهر البر والذكر والفكر والدعاء !

إليكم أنتم أيها الذين صاموه بالتقوى ، وقاموه بالإخلاص ، وودعوه بالحسرات ، وشيعوه بالدموع ، أوجه هذه الأسئلة :

هل أنتم يوم ودعتموه خير منكم يوم استقبلتموه ؟ .

هل شعرتم بعد أن أديتم فريضة هذا الركن الشديد من أركان الإسلام أن نفوسكم أصبحت أطهر ، وأن أخلاقكم صارت أكرم ، وأن أحوالكم غدت أرفع ؟

وهل تصونون أثر أولئك كله فى دنياكم الخاصة والعامة ، فأنتم اليوم أشد قربا من الله وأوثق صلة بالناس وأطيب نفسا بالحياة ؟

اسألوا أنفسكم هذه الأسئلة ثم أجيبوا عنها ، وأنا واثق من أن أجوبتكم ستكون بالإيجاب ، وإلا لما حزنتم على انقضاء رمضان ، وأسفتم لانقطاع الخير فيه ، فإن المرء لا يحزن إلا على عزيز ، ولا يأسف إلا على نافع ، فلماذا إذن لا تجعلون سائر الأشهر كشهر رمضان ؟ لماذا لا تستمرون فى الصيام عن ظاهر الإثم وباطنه ؟ فتغلوا أيديكم عن الأذى ، وتصونوا ألسنتكم عن الكذب ، وتطهروا أفئدتكم من الفحش ، وتنزهوا مكاسبكم عن الحرام ، وتبرئوا أعمالكم من الغش ، وقد جربتم ذلك فى رمضان فنفعت التجربة وحسنت العاقبة ؟

لماذا لا تضيقون الكلفة فى القهوة لتوسعوا النفقة فى البيت ، وتقتصدون قليلا فى الأنس بالأصدقاء لتوفروا كثيرا من الأنس بالأسرة ، وقد فعلتم ذلك فى رمضان فاعتدلت الحال وطابت المعيشة .

هذا السكير الذى استطاع أن يهجر الخمر ثلاثين يوما وثلاثين ليلة ، فزكا قلبه ، وامتلأ جيبه ، وصح بدنه ، لماذا لا يواصل العيش بعد رمضان على هذا المنهاج ، وقد علم

بالاختبار أن هذا الهجر قد نفعه ولم يضره ، وتيسر له ولم يتعسر عليه ؟

وهذا المدخن الذي ترك التدخين ثلاثين يوما فأراح صدره ، وسكن أعصابه ، وقوى شهيته ، لماذا لا يستمر صائما عنه ليله ونهاره ، وقد رأى أن في طاقته الاستغناء عنه والحياة بدونه ؟

وهذا القوي الذي كان وهو صائم يمر باللغو كريما ، فيقابل الذنب بالمغفرة ، والسيئة بالحسنة ، والقطيعة بالصلة ، فوصل السلام بين قلبه والأمن ، وقرب الوئام بين نفسه والسعادة ، لماذا لا يحرص على هذا الخلق وهو مفطر بعد ماجنى من خيره في أربعة أسابيع ما لم يجنه من غيره في العام كله ؟

وهذا التاجر الذي راضه الصوم على أن يقف نفسه عند حدود الله في التجارة ، فلم يطفف الكيل ، ولم يخسر الميزان ، ولم يقارف الاحتكار ، ولم يغش البضاعة ، ولم يرفع السعر ، ثم تحقق من جدوى ذلك عليه في رضا ربه وراحة ضميره ومصلحة وطنه ، لماذا لا يلزم نفسه ذلك في كل وقت بعد أن استمرأ طعم الحلال وأدرك لذة الحق ؟

وهذا الغني الذي ذاق في رمضان ألم الجوع ، وكابد مشقة الحرمان ، ثم استطاع بالصدقة أن يخفف عناء الفقر عن فقير ، ويدفع شر الحاجة عن محتاج ، لماذا لا يشعر دائما أن الجوع بعد رمضان باق ، وأن العوز في أكثر الناس قائم ، وأن للسائل والمحروم حقا لا يتقيد أداؤه بيوم ، ولا يتخصص قضاؤه بصوم ؟ .

وهذا الموظف الذي عود أنامله طوال هذا الشهر أن تساقط حبات المسبحة ليسبح ، وأن تبسط سجادة الصلاة في كل وقت ليصلي ، فتمتد أن يمد عينيه إلى جيب المواطن ليرتشي ، أو يديه إلى خزانة الدولة ليختلس ، وذكر أنه إنسان كمله الله بالعقل ، وجمله بالخلق ، وهذبه بالضمير ، لم لا يذكر في شوال أن أنامله التي تمسك القلم وهو مفطر كانت تمسك المسبحة وهو صائم ، وأن ربه الذي كان يخشاه في رمضان لا تأخذه سنة ولا نوم في سائر الأشهر ؟

إن رمضان سنة لا شهر ، وذخيرة لا نفقة ، ومصحة لا ملهى ، ورياضة لا متاع . نروض فيه أنفسنا على الخير لتمرن عليه ، ونعالجها به من الشر لتبرأ منه . وليس الغرض من علاج النفس والجسم فيه أن ينقضي أثره الطيب بانقضائه ، فإن ذلك يخالف حكمة الشارع من الصوم ، ويناقض منطق الأشياء في الواقع ، فإن المريض الذي يطلب العافية في مدينة من مدن المياه الطبية لا يطلبها للمدة التي يقضيها في المصحة ، وإنما يطلبها لتكون عمادا قويا لما وهن من جسمه وزادا صحيا لما بقي من عمره . وما أبعد المسلم عن الإسلام إذا اعتقد أن الصلاة لا تنهاه عن الفحشاء والمنكر إلا وهو في المسجد ، وأن الصوم لا يعصمه من اللغو والأذى إلا وهو في رمضان ، وأن الصدقة لا تطهره ولا تزكيه إلا وهو في العيد ! خذوا إذن من ربيع النفس

اللغة العربية
بين لغات الحضارة العصرية

للأستاذ عباس محمود العقاد

حضرنا زمنا - فى مطلع الشباب - كنا نستمع فيه إلى خطب المساجد وخطب المنابر الأدبية والسياسية ، ونقرأ الصحف والنشرات ، فلا نخرج مما سمعناه وقرأناه بغير معنى واحد متكرر ، يبتدئ وينتهى بالنعى البالغ على الأمة وتشديد النكير على الحاضرين والغائبين من أبنائها ، ووصفهم كافة بالجهل والغفلة والتخلف عن سائر الأمم فى كل حميد مشكور من الأخلاق والعادات ، عاداتها وخصالها .

وحضرنا زمنا بعده تبدلت فيه هذه النغمة وانتقل بنا خطباؤه وكتابه من غاية الذم إلى غاية الثناء . فنحن أشرف الأمم وأقدر الأمم وأصلح الأمم ، وغيرنا من الأمم لا يساوينا ولا يلحق بنا فى مأثرة من مآثر الشرف والقدره والصلاح ! .

وجاء بعدهما زمن وقفنا فيه بين بين . ! وسمحنا فيه ببعض الذم وبعض الثناء فى آن ، ولعلنا سنقترب مع هذا الزمن إلى حالة صالحة ليست هى إلى الغلو فى التبكيت ولا إلى الغلو فى التيه والفخار ، ولكنها حالة النقد المميز والتشخيص الدقيق لما نحن عليه من صحة وسقم ، ومن حاجة إلى الإكثار أو حاجة إلى الإقلال .

كل أولئك أدوار لازمة محمودة العاقبة فى أوقاتها . فالتبكيت لازم للإيقاظ والإنهاض ، والفخر لازم لاستعادة الثقة بالنفس والاعتماد عليها والاستعداد للحرية

ما تأخذه الأرض من ربيع الطبيعة : خذوا لعبوس حياتكم من طلاقته ، ولسموم طبيعتكم من طراءته ، ولجدب دنياكم من خصوبته ، ولاضطراب عيشكم من سكينته . ولاعوجاج سلوككم من استقامته . ولميوعة مجتمعكم من صلابته ، ولشتات كلمتكم من وحدته ، وذلكم هو الزاد الإلهى الذى تخرجون به من رمضان لغذاء القلب والروح . وخدمة الوطن والأمة ، وعدة العمل والجهاد .

وبهذه النية وعلى هذه العزيمة تكونون خلقاء أن تهنأوا بفوزكم فى وداع شهر الصوم وبفرحكم فى استقبال عيد الفطر ، فإن الحزن على رمضان لقوى وبر ؛ لأنه حزن على خير محض وأنس فات ، وإن الفرح بالعيد عبادة وشكر ؛ لأنه فرح ببشرى نزول الوحى وذكرى يوم بدر .

أحمد حسن الزيات

بعدتها الصالحة ، ويزمنا بعد الثقة بالنفس أن نقصد فيها فلا ننتهي بها ولا تنتهي بنا إلى الغرور الباطل ، والادعاء الوخيم .

* * *

ومثل هذه الأدوار قد مر باللغة العربية فيما يحسب لها وما يحسب عليها ، وما هو من حقها في كلا الحسابين .

عرف الناطقون بالضاد قديماً أنها أفصح اللغات ، وكاد الفخر بها أن يتمادى إلى إنكار الفصاحة على سائر اللغات .

وجاءنا عصر النرجمة الحديث فرجعنا إلى نقيض ذلك الفخر وكاد العجز من المترجمين أن يحسبوا عليها عجزهم فيهبطوا بها من طبقة اللغات الحية إلى طبقة الرطانات التي حق عليها الركود وسوف يحق عليها الدثور والنسيان ، ثم أفضينا - بعد فترة - إلى أوائل دور الاعتدال بين الأمل فيها واليأس منها ، فقال شاعر كبير على لسانها قبل خمسين سنة :

وسعت كتاب الله حكما وحكمة
وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات ! !

وهذه - كتلك - أدوار لازمة لها ما بعدها فلابد من الشعور بالنقص ولابد من علاجه ، ولابد من الثقة المستعادة عن علم أو عن بينة علمية ، نعرف بها الحقيقة لنقنع بمعرفتها ولا نبتغي بها أن نسوقها مساق الفخر الذي لا سند له غير أنه يرضينا .

ومن دواعي الرضى - بحمد الله - أن يسعدنا علم اللغات الحديث فيما نبتغيه من ثقة ومن معرفة بالحقيقة . فإن هذا العلم الذي تولاه على أيامنا أناس من غير أبناء الضاد يعطينا معيارا صادقا نعرف به مكان هذه اللغة العريقة بين لغاتهم الشائعة ، ومنها العريق والمستحدث منذ قرون لا تحسب من الآماد الطوال في أعمار اللغات .

كان نقاد الآداب واللغات عندهم يحسبون أنهم يعطفون على اللغة العربية غاية العطف الذي يقفون عنده ولا يستطيعون الزيادة عليه ، حين يقررون لها بأنها لغة جميلة وينكرون عليها أنها لغة « عالية » في طبقات اللغات الحية ، ولكن علوم اللغة التي يقررها نقاد الآداب واللغات تثبت لها « العلو » في الطبقة ، كما تؤكد لها صفة الجمال التي لم ينكروها عليها .. وبالمعيار المستفاد من هذه العلوم اللغوية تعرف لها مكانتها بين الألسنة الناطقة ، ونقول فيها - بغير لسان الفخر - ما ينبغي أن يقوله الناقد العربي والأجنبي بلسان التحقيق .

إن الفوارق الفكرية أصعب من فوارق الجغرافيا والثروة تعليلا بأسباب الارتقاء والتطور ، ولكن معيار اللغة - وهي تتدرج في أطوار التكوين - أبرز من الفوارق الفكرية جميعا ، لأنها قابلة للضبط والتقسيم وأدنى إلى التقسيم بالضوابط والعلامات من فوارق التفكير والبواعث النفسية ، وقد

تكون علامات اللغة مما يستعان به على جلاء الفوارق عند التباسها على نقاد الفوارق النفسية والاجتماعية .

واللغات فى تصنيف بعض علمائها تنقسم على حسب الأجناس والسلالات التى تتكلمها ولكنه تقسيم يعتريه الاختلاط لاشتراك الأمم فى لغة واحدة ، أو عائلة لغوية واحدة مع انتمائها إلى أصول متباعدة ، وخير منه أن تقسم اللغات على حسب تكوينها وتكوين قواعدها وعوامل التصريف فى مفرداتها وتراكيبها وهو تقسيم يضبط الفوارق ضبطا كافيا للموازنة بينها والمقابلة بين عوامل الفهم والاختيار وعوامل التقليد والاضطرار فى تراكيبها وتعبيراتها .

وتنقسم اللغات من حيث التكوين إلى لغات النحت ولغات التجميع ولغات الاشتقاق .

فلغات النحت هى التى تتكون فيها الأسماء والأفعال والصفات بإدخال المقاطع الصغيرة عليها أو إلحاقها بها ، وتسمى لغات النحت أحيانا باسم اللغات الغروية فى اصطلاح الأوربيين : Agglutinating لأن مفرداتها تلصق لصقا لتنويع معانيها ، كما تلصق أدوات البناء بالغراء .

ولغات التجميع هى اللغات التى تعتمد على اللصق كما تعتمد عليه اللغات الغروية ولكنها تعتمد قبل ذلك على « التنغيم » لتنويع المدلول . والتمييز بين الصفات والظروف ، وبين الأوقات والأجناس ، وغيرها من معانى الجمع والتثنية والإفراد ، وقد تسمى لغات التجميع أحيانا باللغات المنفصلة Isolating لأن الكلمة فيها تنفصل بصيغة واحدة لا تتغير حروفها ، وإنما يتغير المعنى بضم صيغة منها إلى صيغة أخرى ، بترتيب متبع أو بغير ترتيب يلتزم فى جميع الأحوال . ومن فروع هذه اللغات ما تتكون أسماؤه وأفعاله من جملة تتألف من عدة مقاطع وأجزاء ، وتسمى لذلك بلغات التركيب الكثير Polysg nthetic .

أما لغات الاشتقاق فهى اللغات التى يعم فيها الفعل الثلاثى فى كل مادة وتجرى قواعد الصرف فيها على المخالفة بين الأوزان بحسب معانيها ، ويكثر فيها اختلاف الحركة فى أواخر الكلمات اتباعا لموقعها من الجملة المفيدة .

ويشيع النحت فى اللغات الهندية الجرمانية كما يشيع التجميع فى اللغات المغولية ولغات القبائل الأمريكية الأصيلة ... أما الاشتقاق فهو من خصائص اللغات السامية ، وتكاد اللغة العربية من بينها أن تنفرد بعموم الاشتقاق واطراده ، مع تحريك أواخر الكلمات حسب مواقعها من الجمل المفيدة .

وربما اتفق اللغويون على قواعد عامة عملت فى تطور هذه اللغات جميعا لم تختص بها لغة دون سائرها .

ومن هذه القواعد العامة أن الكلمات الانفعالية التقليدية أسبق من الكلمات الإرادية

الفكرية ، ويريدون بالكلمات الانفعالية ما يصدر عن الإنسان عفوا من الأصوات والصيحات التى تعبر عن الفرح أو الفزع أو الدهشة ، وما تكون الكلمة منه أحيانا من قبيل المحاكاة الصوتية : Onomatopqeic كاسم البلبل والكوكو ، وألفاظ الدق والقطع والوسوسة وما جرى مجراها .

ويريدون بالكلمات الإرادية الفكرية كل ما يقصده المتكلم ويجرى فيه على القياس والاستعارة ، وإطلاق القاعدة الواحدة على المتشابهات لفظا أو المتشابهات لفظا ومعنى .

وأكمل اللغات — على سنة التطور والتقدم — تلك اللغات التى انتظمت قواعدها الصوتية Phonologia وقواعدها الصرفية Morpholgic وقواعد التراكيب والعبارات .

ثم يضاف إلى الظواهر الصوتية فى قياس تطور اللغات ظاهرة التمييز والتخصيص فى الصفات إجمالا وفى المفردات على التعميم ، كالتمييز بين المذكر والمؤنث والجماد ، وبين المفرد والمثنى والجمع ، وبين جمع القلة وجمع الكثرة ، وبين الصفات العارضة والصفات الملازمة ، وهى جميعا من المزايا التى تمت اللغة العربية على مثال لم تسبقها إليه لغة من لغات الحضارة .

فقيام اللغة على القواعد الفكرية دليل يثبت لها السبق على لغات الارتجال الجزاف فى وضع الكلمات ، سواء بالمحاكاة الصوتية أو بالتكرار على غير قياس .

وشيوع القاعدة وفعل كل مادة وفى الأسماء والصفات منها دليل على سبق التفكير فى التعبير ، وتعميمه على الأحداث والمعانى غير موقوف على أصوات الانفعال والمحاكاة ، ويتبع ذلك شيوع الاستعارة وإمكان الجمع بين الوضع الحقيقى والوضع المجازى فى كلام المتكلم ، لتوسيع المعانى وبناء الكلمات على المضاهاة بين المدلولات .

إن دلائل التطور العريق الذى امتازت به لغة الضاد تحقيق على يقرره غير أبناء اللغة ، وليس بالفخر القومى الذى يعلنه أبناؤها وحدهم ، بغير دليل .

ومن قبل بسطنا القول عن صلاح الحروف العربية لكتابة اللغات من شتى العائلات اللسانية ، لأنها صلحت لكتابة اللغات السامية واللغات الطورانية واللغات الهندية الجرمانية ، ولم تؤخذ عليها عيوب لم توجد نظائرها وأعيب منها فى الحروف الأجنبية .

ولولا أن العادة تدفع الناس وراء الكلام المردد إلى التسليم السريع وتوهمهم أنهم فى غنى عن تحقيق ما يسمعون وتكرير أصداؤه على الأسماع ، لما ظهر لأحد أن هذه الحقائق المقررة مفاجأة للأسماع تدهشها كما تدهشها أعجب المفاجئات .

عباس محمود العقاد

الإسلام هو دين الدولة الرسمى
ويجب أن ينص على ذلك فى الدستور

للأستاذ محمد محمد المدنى

من الوثبات الإصلاحية التى وثبتها هذه النهضة الجمالية الناصرية ؛ بعث الشعور بالقومية العربية ، أو إيقاظ الوعى القومى العربى كما يطيب لكثير من الكاتبين أن يعبروا عن هذا المعنى الآن ، ولا شك أن العروبة هى أصلنا العريق ، وأنها تجمع بين الناطقين بالضاد فى خصائص ذات قيمة عملية وآثار فعالة فى النهوض بالأمم ، وتمكينها من السير فى ركب التقدم العالمى والحضارة الإنسانية ، بل من السير فى مقدمة هذا الركب والمشاركة فى قيادته ، ولسنا نقول ذلك تعصبا لعروبتنا ، أو اعتزازا بقوميتنا ولكن نقوله ونجد فى تاريخنا المجيد صفحات ناصعة تشهد بصدقه ، وتضرب كثيرا من الأمثلة على صحته .

وإننا لنحمد الله تعالى أن أرانا هذا الروح أو هذا الوعى قبل أن نخرج من هذه الدنيا ، فلقد مرت بنا عشرات من السنين ما كنا نرى فيها ولا نسمع إلا أنين العروبة تحت أثقال الاضطهاد والإضعاف والتنكيل حتى زلزل المؤمنون وظلوا يتساءلون : متى نصر الله ؟ .

والآن وقد رأينا بأعيننا هذا الروح الكريم يسرى فى الأمة العربية ، ورأينا العقلية الجديدة التى انبعثت من هذه النهضة تعتبر « العروبة » أساسا دستوريا يجب أن يكون هو المادة الأولى من كل دستور فى اى شعب عربى ، ويجب أن يكون هو المحور الذى تدور حوله آمال الوحدة والائتلاف ؛ فإننا نستبشر خيراً ، ونتطلع إلى آفاق واسعة من العظمة والمجد والسمو فى ظل المثل الرفيعة والقيم الحقيقية .

وقد شرعت الجمهورية العربية فى وضع دستورها ، وعهد الرئيس إلى المجلس الذى يمثل الأمة ، ويجمع جميع طوائفها وألوان التفكير فيها ، بأن يضع هذا الدستور مستلهما روح النهضة ، مستهديا بتاريخ هذه الأمة ، مترسماً آمالها فى المستقبل وما لها من رسالة فى العالم . واختار المجلس من أعضائه الكرام من يدرسون هذا الأمر الخطير

الشأن ، ويحضرون مشروعه ، فكان حقا على كل ذى رأى أن يمد هذه اللجنة برأيه فى مختلف النواحى ، حتى يجىء الدستور وليد تفكير دقيق محيط ، ويكون محققا لأهداف أمتنا العزيزة ، معبراً عما تجيش به الصدور تمام التعبير .

وهأنذا أدلى بدلوى فى شأن هام من الشئون التى يجب أن تهتم بها لجنة الدستور :

إنى لأعرف أن هناك فريقا من الناس يود لو استطاع أن يبتعد بالدستور عن أن يقرر مبدأ النص على رسمية الإسلام كدين للدولة ، ووجهته فى ذلك أن الجمهورية العربية المتحدة تتألف من مسلمين وغير مسلمين ، وأن الآمال منعقدة بأن المستقبل المرجو للعرب فى مختلف شعوبهم هو مستقبل الوحدة أو الاتحاد ، وهناك شعوب عربية فيها كثرة أو ما يقرب من كثرة تدين بغير الإسلام ، فربما كان من المستحسن أن يشعر هؤلاء بأنه ليس هناك حوائل تحـــول بينهم وبين إخوانهم العرب ، فليترك النص على دين معين فى الدستور مراعاة لذلك .

هذا معنى يراود بعض الأذهان من غير شك ، ولكن صرحاء فى عرض هذه الفكرة لنتمكن من الرد عليها ، وبيان وجهة نظرنا فيها .

إننا نقول لأصحاب هذا التفكير :

لا يمكن أن يكون مجتمع من المجتمعات مؤلفا من صنف واحد من الناس ، هم جميعا على شاكلة واحدة فى التفكير ، وعلى مبدأ واحد فى العقيدة الدينية ، ولكن المجتمعات الطبيعية هى التى تكون موطنا متسعا لكل منهج من مناهج التفكير ، ويكون لها من المرونة والسماحة ما يجعلها صالحة لأن يجد فيها كل ذى عقيدة مجالا حراً يزاول فيه نشاطه العقلى ، ويتجه فيه اتجاهه الروحى دون مصادرة .

ولكن هذا لا يمنع تألف المجتمعات من كثرة متفاهمة متلاقية ، تجمعها روابط فكرية عقيدية ، وقلة تعيش بجانب هذه الكثرة وتحت ظلالها آمنة مطمئنة ، بل هذا هو الأصل فى المجتمعات ، فإن الفرق بين مجتمع ومجتمع هو أن الكثرة فى هذا المجتمع متفاهمة متلاقية على نوع معين من العقائد والأفكار والأهداف ، والكثرة فى مجتمع آخر متلاقية على نوع آخر ، وأفكار وأهداف أخرى .

ثم إنه لا عيب على الكثرة فى مجتمع ما ، إذا هى تطلبت السيادة لأفكارها ومناهجها وعقائدها ، ولم تسمح فى هذا الجانب بأن يعبث بها ، ويجترأ عليها ، وإنما يعيبها أن يخرجها ذلك إلى لون من ألوان العصبية التى تنتهى بها إلى اضطهاد مايخالف فكرتها ، أو محاولة الإرغام على عقيدتها .

ولقد كان المجتمع الإسلامى الأول ، وهو مجتمع المدينة على عهد رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، مجتمعا طابعه العام هو العقائد والمبادئ والأفكار التى جاء بها الإسلام . وكانت الكثرة الكاثرة فيه للمسلمين ، والقوة الفعلية المؤثرة المدبرة - أو بعبارة أخرى - الهيئة الحاكمة - للمسلمين ، ولكنه كان مع ذلك مجتمعا مشتركا يضم فريقا كبيراً من اليهود لهم دينهم وتقاليدهم وأحياؤهم وعشائرهم ، ويضم أفراداً من النصارى وإن لم يكونوا على مثل ما كان عليه اليهود من الكثرة والنفوذ والمداخلة للمسلمين ، وكان هذا المجتمع متمتعا بالحرية الفكرية إلى درجة أنه كان موطن نضال وجدال بين المسلمين وأهل الكتاب من يهود أو نصارى ، وأن الإسلام كان يلاقى من هذا النضال ألوانا من الصعاب يحتملها فى صبر وثبات .

وكان على الإسلام أن يضع السياسة التوجيهية لهذا المجتمع وأن تكون له باعتباره دين الكثرة سلطة التنظيم والتقنين ، وهذا هو ما حدث فعلا ؛ إذ كان التشريع لهذا المجتمع مصدره الكتاب والسنة وولاة أمر المسلمين .

وكان على الإسلام فى جانب العقيدة أن يبين دعوته ، وأن يعلن على الناس عقيدته . وأن يجعلها بذلك واضحة معروفة فإن الحقائق إذا ظهرت ووضحت ، كانت هى الداعية إلى نفسها والمدافعة عن نفسها ، وإنما يضرها أن تكون غامضة غير واضحة ، أو أن يكون هناك من يرجف عليها ويضع بين العقول وبينها حجبا تحول دون اكتشافها ومعرفتها .

لذلك عنى القرآن الكريم ببيان عقيدة الإسلام فى كثير من الآيات ، ولم يمنعه من بيان هذه العقيدة تعدد الأديان فى مجتمعه ، ولا تطلعه لأن ينضوى العالم كله تحت لواء دعوته ، ولم يأت فى هذا البيان إلا بالحقائق التى لا ينكرها أحد من هذا الدين أو ذاك .

فانظروا إلى مثل قوله تعالى :

« يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله ، والكتاب الذى نزل على رسوله ، والكتاب الذى أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا »

فهذه الآية موجهة إلى جماعة المسلمين ، والمراد بها تقرير أصول الإيمان الصحيح ، والعقيدة الكاملة التى جاءت بها كل رسالة إلهية ، وهى تتلخص فيما يأتى :

(١) الإيمان بالله ، وذلك يقتضى الإيمان بوجوده ، وبجميع صفاته التى ترجع إلى أنه تعالى متصف بكل كمال ، منزه عن كل نقصان ، وأن جميع ما فى الكون ، خاضع لألوهيته ، مستند إلى فضله فى إيجاده وإمداده .

(٢) الإيمان برسوله ، وقد يفسر هذا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وهو المتبادر من

التعبير بقوله (ورسوله) فإنه هو الرسول الحاضر المعهود للمخاطبين ، وقد يفسر بأنه جميع الرسل ومن بينهم سيدهم وخاتمهم . على سنة المفرد المضاف الذى يعم . فالمراد على هذا : آمنوا بالله ورسله ، ولكنه عبر بالمفرد فقال « ورسوله » ليشير إلى أن جميع الرسالات تمحضت فى رسالة الرسول الأخير ، وأن الرسالات وإن تعددت فى العصور إنما هى رسالة واحدة لا تختلف فى الأصول ، وأن من آمن برسالة الرسول الأخير فقد آمن بالرسالات كلها ، وإذن فالمطلوب هو الإيمان بالله ورسله ، ثم إنها تتحدث عن الكتاب الذى نزل على محمد ، والكتاب الذى أنزل من قبل ، أى الكتب السابقة على القرآن . وقد ذكرت أيضا بلفظ المفرد والمراد كل كتاب سماوى إيذاناً بأنها كلها من حيث ماجاءت به من الحقائق وما رمت إليه من الهداية بمنزلة كتاب واحد .

(٣) الإيمان بجميع الكتب المنزلة لا فرق بين كتاب وكتاب .

(٤) الإيمان بعالم الغيب الذى ذكر منه فى هذه الآية بعض ما فيه . وهم ملائكة الله على ما وصفهم به الله فى كتابه المفيد لليقين ، وفيما يطمئن القلب إلى وروده حقا عن رسوله الأمين .

(٥) الإيمان باليوم الآخر ، وبكل ما جاء عنه فى كتاب الله وفى السنة ، على ما ذكرنا ، من الجنة والنار ، والوزن والحساب ، وغير ذلك كما جاء دون تفصيل لما لم يفصل ، ولا زيادة ولا نقص ، فهذا هو المنهج السليم فى شئون الغيب والآخرة ، لأنه لا مجال للعقل إثباتا أو نفيا فى ذلك ، وما دمنا نؤمن بالله فيجب أن نؤمن بكل ما صح مجيئه عن الله ، على الصورة التى جاء بها ، فمن زاد عليها أو نقص منها ، فقد جاء بشىء من عنده .

وهكذا نجد هذه الآية كما نجد آيات كثيرة غيرها تفصح عن عقيدة الإسلام إفصاحا تاما ولا تأتى فى هذا الإفصاح بما تنكره العقول أو الأديان الصحيحة ، ولا يمنعها من ذلك تعدد الأديان فى المجتمع ، لأنها إنما تقرر عقيدة الكثرة ، أما القلة فلها أن تؤمن بما شاءت وترفض ما شاءت ، متحملة مسئولية هذا وذاك أمام الله دون ضغط ولا إكراه .

فلهذا نقول للجنة الدستور فى صراحة وقوة : أعلنوا أن الإسلام دين الدولة ، وأعلنوا أن إخواننا غير المسلمين إنما هم فى ذمة الله ورسوله ، لهم ما لنا ، وعليهم ما علينا ، ونحن جميعاً سواء فى الوطن والحقوق .

محمد محمد المدنى
عميد كلية الشريعة

نفحات القرآن

المؤمنون بالحق منتصرون وإن قلّوا
والمتشبثون بالباطل مخذولون وإن كثروا
والمثل فى بنى اسرائيل ...

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

(ا) وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا ؟ ؟

(ب) قالوا : معذرة إلى ربكم ـ ولعلهم يتقون

(ج) فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء .

(د) وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون

١ — فى كل أمة مجاهدون صابرون ، وفى كل أمة خبثاء مفسدون .

وقد عودنا الله بحكمته وقدرته أن يؤيد أهل الحق ولو كانوا قلة ، لأن الحق صفته ـ تعالى ـ بل من أسمائه ، والحق شرعته فى أفعاله وشرعته فى خلقه ، فالناهضون إلى الحق جنود الله ، والناكصون عن الحق أعوان الشيطان وأعداء الله ... وإنما ينصر الله جنده ، ويهزم أعداءه .

٢ — ومع ماغلب على بنى إسرائيل من فسوق ، وما تحكم فيهم من ضلال كان رسلهم وأخيارهم يدعون على نصحهم ، ويجاهدون فى إرشادهم ، ويتلقون منهم أسوأ مايلقاه صابرون محتسبون .

وما كان تمادى الغواة فى غيهم ليمنع الأخيار من مواصلة الدعوة ؛ لأنها رسالتهم من عند الله أو لأنها رسالة العلم توارثوها عن الأنبياء فهى فى ذمتهم أمانة الدين ، تحملوها عن أمناء الرسالة .

وإنه لمن فضل الله على الناس أن يهيئ فى كل بيئة من يتعاهدها بالتوجيه . ليظلوا على بصيرة من أمرهم ، فلا تتجه الحياة بهم إلى البهيمية ، وينحدرون عن مقام الإنسانية ـ ثم لعل استمرار الدعاة على دعوتهم ،

وتحملهم فى سبيلها مرارة العنت أمارة أخرى على رعاية الله لعباده . وتطمئنهم . إذ لم يعاجلهم بالهلاك من عنده بل يثبت فيهم أصحاب الدعوة ، ويخفف عليهم متاعبها . وصعابها ، حتى يبلغ الأمر مبلغه من نجاح أو يأس ، وينطوى من الزمن ما يكفى للخبرة والمطاولة ثم يكون قضاء الله فى خلقه على ما أراد لهم من عاقبة مقدورة بالخير أو السوء .

٣ — وكان فى بنى إسرائيل طائفة ثالثة طيبة غير الناصحين ، ينظرون إلى العصاة منهم نظرة اليأس من هدايتهم ، وينظرون إلى الدعاة الأخيار نظرة الإشفاق ، والرفق ، ويحاولون أن يصرفوهم عن دعوة هؤلاء الأشرار الماكرين ، ويقولون : « لم تعظون قوما الله مهلكهم ، أو معذبهم عذابا شديدا » .

يعنى : لافائدة من إرشاد قوم مصرين على إفسادهم ، ونقضهم للعهود التى تؤخذ عليهم والمفروض أن يهلكهم الله حتما ببلاء يجتاحهم فى دنياهم ، أو يعاقبهم بالعذاب الشديد فى أخراهم ، أو يجمع عليهم هلاك الدنيا وعذاب الآخرة .

فموقف هؤلاء موقف المحايدين لا يرتكبون ما يرتكبه المخالفون . ولا يهتمون بالنصح مع الناصحين ، بل يرون أن يعرض الناصحون عن ذلك المجهود الضائع .

٤ — ولكن الناصحين المتعلقين بأداء الرسالة . وبذل الهداية يأبون الانصراف واليأس ويلتمسون لأنفسهم سببين كريمين . قالوا : « معذرة إلى ربكم - ولعلهم يتقون » يريدون : أن مثابرتنا على الدعوة لهؤلاء المتمردين لنبرأ إلى الله من تبعة التقصير أولا وطمعا فى هدايتهم ثانيا . فربما جنحوا إلى التقوى بسبب مواصلة الإرشاد .

ثم ظل الدعاة على منهجهم ، وظل العصاة على غيهم فماذا كانت النتيجة ؟ جواب هذا السؤال فى قوله تعالى :

« فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء ، وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون » .

لما بقى المخالفون على تناسيهم للنصح الموجه إليهم ، حتى كأنه غير معهود لهم ، وقعت فيهم سنة الله . وجرت عليهم حكمته فأخذهم بعذاب بئيس شديد عليهم ، سىء الأثر فى كيانهم وفى سمعتهم . وذلك بسبب فسقهم .

وكان عدلا من الله أن يقصر عليهم جزاء عملهم . وأن ينجى من ذلك العذاب البئيس دعاة الخير الناهين عن عمل السوء .

٥ — ولكن ما هو العذاب البئيس الذى جلبته عليهم معاصيهم ؟ ؟ .

وجواب هذا فى قوله تعالى : ثانيا - « فلما عتوا عما نهوا عنه ، قلنا لهم كونوا قردة خاسئين » يعنى لما أسرفوا فى المخالفة حتى لم

[illegible] أمرا يفعله . فى تجاوزا فى العتت
[illegible] أن يفعلوه . فقد قطعوا بأن أمر الله
[illegible] أن يأتوه وأكدوه بالأيمان .

تعجب الله منهم بعد مصايرتهم طويلا ، وبعد الحلم الذى أغراهم الحق بسببه ، فمسخهم قردة خاسئين .

٦ — وهل هذا المسخ حقيقى فصاروا قردة فى أشكالهم ، وخسئوا بإبعادهم عن رحمة الله ولطفه بهم ؟ ؟

ظاهر الآية أنه مسخ حقيقى ، ويؤيد هذا الاتجاه أنه ذكر فى مواطن أخرى : « ولقد علتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » وفى آية : أنهم صاروا قردة وخنازير .

وليس كثيرا على الله أن يفعل ذلك بمن أمعنوا فى عصيانه . وفى نقض عهوده ، وفى تقتيل أنبياته ، وفى ابتداعهم الشرور لم يسبقهم إليها من هلك قبلهم من أشقياء الأمم .

ولا موجب لصرف الآيات عن ظاهرها بل فى الأخذ بالظاهر إيضاح لجرائمهم ، وتجسيم للعبرة بهم ، وتشنيع على من يستمرئ المعصية ويستخف بأثرها . وبهذه الذكرى المشئومة يتعظ الناس بما يفعل الله فى الظالمين فعلا حقيقيا لا مجازيا . .

ولا يلزم أن يكون لهؤلاء المسوخين ذرية منهم ، ولا أن يكون لهم أثر نحسه نحن فى عظامهم ، لهم قد انقرضوا ، وبقيت ذكرياتهم فى كتاب الله تبكيتا لخلفهم . .

ويرى بعض المفسرين أنه لما نسخ أدبى يراد به الطمس على عقولهم فلا تدرك صوابا ، وعلى كرامتهم بين الناس بما يذكر الله عنهم حتى جعلهم فى منزلة القردة والخنازير . .

وإن كان لهذا التأويل مجال فإنه يخفض من قيمة العبرة المقصودة .

ومالا يحتاج إلى تأويل أجدر بالقبول مما يحتاج إلى تأويل . .

هكذا كانت العقوبة الواقعة ، أو إحدى العقوبات لبنى إسرائيل .

بل لم يقف بهم الأمر عند هذا الحد ، فقد توعدهم الله بشر يلازمهم إلى نهاية الحياة فقال : « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » ثم أخبر أنه سيقطعهم أمما مختلفة ، فمنهم أمة طيبة مستجيبة للرسول من بعد ، ومنهم أمم دون ذلك ، وساء ما يعملون .

٧ — وإذا كان هذا المسخ قضاء الله فى اليهود المخالفين فأين الفريق الثالث المحايد؟ لم تتعرض لهم نصوص الآيات ، فهل ذهبوا ضحية الفتنة التى أتاها واقترفها العصاة من قومهم ؛ لأنهم لم يزجروهم عنها ، والفتنة تصيب فاعلها وغيره ، والراجح أنهم كانوا من الناجين مع الدعاة المرشدين . فلم يمسخهم

الله ... على جماعتهم لأنهم لم يسكتوا عن ... حتى يعتبروا شركاء في الجرائم ... التعاليم الذين وصفهم بقوله تعالى ... كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون ، بل سكتوا عن يأس وهم غاضبون بقلوبهم على العصاة ، ومستكثرون أن يستمر الناصحاء على نصحهم . . والحق في شأن هذه الطائفة الثالثة أنها كانت معنية بالدعوة والنصح ، وما تخلفت عن هذا إلا يأسا ، وعلى هذا تعتبر من الذين ينهون عن السوء فعلا ، فلا تكون فرقة ثالثة من أول أمرها ، بل باعتبار موقفها المحايد أخيرا . . وعلى أي توجيه فليسوا الفاسقين الهالكين الممسوخين.

٨ — وفيما ذكرنا من هذا القصص دلالة أكيدة على أن المعاصي سبب في المشأمة ، وكثيراً ما يتحدث كتاب الله عن هلاك الهالكين بسبب مأثمهم ، وعن عذابهم في الآخرة بعد ابتلائهم في الدنيا وطالما يحثنا القرآن على السير في الأرض لننظر آثار المهلكين ، وكيف كانت عواقبهم بعد أن كان لهم في دنياهم جبروت ، وثراء ، ومتاع ، فأصبحوا أثراً بعد عين ، وإذا كانت الأزمان قد عفت على كثير من مشاهد حياتهم فلا تزال هناك بقايا في نواحي ديارهم ، ولدينا رموز من آثار الفراعنة ، شاخصة وشامخة .

وكذلك يجد الناس في مناكب **الأرض** آثاراً تفسر لنا قصص القرآن عن **الغابرين** ، وتزيدنا إيمانا بأن القصص الحق من **عند الله** .. وما ينبغي أن يتشاغل الذهن عن **استحضار** هاتيك الأحداث في ذكرياته .

والقرآن يذكرها كثيراً في **أساليب** متعددة ، ويقرنها بظلمهم ، وفسقهم **وما كانوا يصنعون** .

وهل نحتاج إلى تصريح أقوى **من قوله** تعالى : « وأخذنا الذين ظلموا بعذاب **بئيس** بما كانوا يفسقون » .

أو نحتاج إلى زجر بأوضح من **قوله تعالى** : « فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا **قردة** خاسئين ؟ » ، وقوله عن قبيلة عاد ـ **مثلا** ـ « ... الذين طغوا في البلاد فأكثروا **فيها** الفساد ، فصب عليهم ربك سوط **عذاب** ، إن ربك لبالمرصاد » .

وهكذا أراد الله أن يكون في **شأن اليهود** قصص يقشعر له الضمير الحي . وأن **تكون** ذكرياتهم وخزات في مشاعر **الإنسانية** .

ولم تعد العبرة بما عرف عن اليهود **محبوسة** في القصص التاريخي . بل شأنهم في **الدنيا** ، وألاعيبهم هنا وهناك تشهد بما شهد **الله فيهم** « ولا تزال تطلع على خائنة منهم » .

وأحداثهم في حاضرنا تفيد أن العالم **كله** على بينة من مخازيهم . حتى الذين **يمالئون**

اليهود ، ويتخذونهم أعوانا فى المنافع . أو يسخرونهم فى مناواة الغير فهم أعرف باليهود من سواهم ، ولكنها الغايات .

وقد تكرر فى القرآن وعيد الله لبنى إسرائيل بما يلازمهم من هوان ، ومذلة وقلق ، وما من شك فى أن حياتهم متأرجحة وأنهم غير قانعين بما هم عليه ، وأنهم فى سورة تزعجهم دائما إشفاقا على أموالهم ، وعلى كيانهم ، وعلى تمزيقهم فى جوانب الأرض . وهذا بلاء لا يستهان به فى الحياة .

ومهما تريثت بهم الأحداث ، أو تطامنت لهم الدنيا ، أو احتضنهم دعاة الاستعمار : فإن الله صادق الوعيد فيهم ، ولا جرم ، والزمن كاشف عما تضمره الأقدار بعد .

هذا ... وقد ذكر المؤرخون أن بنى إسرائيل المعنيين فى التاريخ هم أهل التوراة الذين درجوا على أرض سيناء وهم بنو يعقوب بن إسحاق عليهما السلام .

أما الذين دخلوا فى اليهودية كدين لهم من أبناء الأمم الأخرى فليسوا من صميم بنى إسرائيل الذين نسجوا ذلك التاريخ الملوث وخلفوا هاتيك الذكريات المخزيات

وما قصدنا من هذه اللمحة إلا مجرد التمييز بين عناصرهم من ناحية الجنسية والوطنية .

أما فى العقيدة فلا خيار لفريق على فريق ، وهم سواء فى مسايرة الأباطيل والانهماك فى الإفك والضلال ، وقبحاً للجميع . ولمن على شاكلتهم من الأشرار

هذا . وقد تواتر فى أذهاننا مما سلف أن المآثم والانحراف سبب الوبال والعذاب ولكن بعض الناس لا يرى ذلك مطرداً فى أرباب الفساد ، وقد أوضح أولو العلم أن شيوع الرذائل فى الأمم شؤم على مجموع الأمة ، وأن الله يديل الدولة بسبب تحللها ، ومجافاتها لدينها ، وهذه سنته فى الخليقة ، وهذه توجيهاته على لسان جميع رسله ، وهذه هى العبر التى يتحدث بها التاريخ من واقع الحياة ، حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ، هالكون . أما معاقبة الأفراد بسبب انحرافهم فقد يحصل هذا فى دنياهم ، وقد يمهلهم الله إلى الآخرة .

وكم من آثم تعثرت به الحياة ، وأحدق به الشؤم بسبب انحرافه ! ! وكم من آثم ظل سادراً فى لهوه . وعاش رافلا فى حظه حتى خرج من دنياه حاملا أوزاره ، نادما على ما فاته ، وقد فات أوان الندم .

وبعد : فقد بين الله مناهج الحياة . وضرب الأمثال بمن سبقوا ، وأكد صادق وعده ووعيده للأفراد ، وللأمم . ولم يبق إلا أن نحسن الاستجابة .

ونحن نسأله التوفيق لنا أفراداً وجماعات ، وأن يعصم الجماعة الإسلامية من كيد خصومها بحوله وقوته ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

النسخ فى القرآن الكريم

للأستاذ محمد سعاد جلال

١ — يلمح الدارس لموضوع النسخ من خلال الأقوال التى نجدها منقولة عن الصحابة والتابعين كابن عباس وابن مسعود، وعكرمة، ومجاهد، والحسن، وقتادة وغيرهم: ومن تأصيل الأئمة وعلماء الأصول من سنيين وشيعة وظاهرية ومعتزلة، أن مسألة النسخ كانت واقعا مستقرا فى التفكير الإسلامى وأن الجو الفكرى المتبادل بين المختلفين فى مواد المسائل المنسوخة والناسخة إنما ينهض شاهدا على أن موضوع النسخ من الموضوعات التى سلم بوجودها المسلمون من أول الأمر فى الشريعة الإسلامية. وأن أية محاولة طارئة، ومتأخرة فى الزمن، ترمى إلى القول بعدم وجود النسخ فى الشريعة، أو فى القرآن، إنما هى محاولة مفتعلة على ذلك الوضع المستقر لفكرة النسخ. مهما اصطنع لها أصحابها من المبررات ومهما تهيأ لهم من محاولات الاستدلال. إنه لمن الصعب أن نصدق أن ابن مسعود، وابن عباس وعلى ابن أبى طالب. وغيرهم يتكلمون فى النسخ ويختلفون فيما بينهم إختلافات تصل إلى حد إعلان المباهلة حول بعض الآيات، فيقول ابن مسعود فى بعض واقعات النسخ من شاء باهلته أن سورة النساء القصرى نزلت بعد سورة النساء الطولى، أى فنسخت الآية التى يعينها — ثم يكون النسخ فى آيات القرآن أو فى السنة أمراً غريباً وخطأ واقعا فى الدين، ومهما لاحظنا أن من المنقول فهم فى الناسخ والمنسوخ مالا ينطبق عليه حد النسخ عند الأصوليين فإن حديث هؤلاء الصحابة والتابعين عن النسخ حديثا مستقرا جميلا فيما بينهم، فى الوقائع التى يدارسونها كأنه وحده فى الدلالة على وجود مبدأ النسخ وثبوته فى الشريعة الإسلامية.

٢ — وحين يتحدث الكتاب المسلمون عن المنكرين للنسخ لا يذكرون فى المقام الظاهر من حديثهم إلا اليهود. ويشيرون بمنتهى عدم الاكتراث إلى بعض مجهل من المسلمين لا تعرف أشخاصهم ولا زمان وجودهم ولا مستند رأيهم على التحديد كقول الفخر الرازى: «ويروى عن بعض المسلمين إنكار النسخ»، ولا يعنى بالزيادة فى تعريفهم على هذه الإشارة الوجيزة، وكقول الإمام البزدوى — على بن محمد — وقد أنكر

بعض المسلمين النسخ : لكن لا يتصور هذا القول من مسلم مع صحة عقد الإسلام .

وتستطيع ان تقدر ما فى هذه العبارة العنيفة ، من تغليظ الحكم ، وقسوة النظر على من ينكر وجود النسخ فى الشريعة : « هذا القول لا يتصور من مسلم مع صحة عقد الإسلام .

٣ - ولنبحث عن هذا البعض المجهول ، الذى أشار إليه الرازى ، والإمام البزدوى رضى الله عنهما : إن عبد العزيز البخارى شارح البزدوى دلنا على هذا البعض المنكر للنسخ فى نقل البزدوى وسماه : « أبو مسلم الأصفهانى محمد بن بحر » .

فمن يكون يا ترى ذلك البعض المجهل الذى عناه الفخر الرازى ، هل هم جماعة آخرون غير أبى مسلم ؟ أم المقصود أبو مسلم نفسه ؟

إن الفخر الرازى لا يكشف لنا عن هذه المسألة - وفى أثناء درسنا للآيات التى يقع فيها الاختلاف حول الناسخ والمنسوخ ، فى تفسيره الكبير - لا يذكر لنا إلا اسم أبى مسلم فى الجانب الذى يتأول فيه الآيات المنسوخة ، ليخرجها عن حد النسخ .

وفى بعض الآيات ذكر لنا اسما آخر ، هو اسم أبى بكر الأصم ، أثناء التوفيق بين بعض الآيات المتنازع على نسخها ، ولكن هذا لا يكفى لأن تظن أن أبا بكر الأصم ، كان شخصا آخر ينضم إلى أبى مسلم فى إنكار النسخ ، لأن القائلين بالنسخ أنفسهم يبذلون نفس المحاولات للتوفيق بين الآيات التى تعطى التعارض بظاهرها ، نأيا عن طريق النسخ ؛ لأن النسخ باتفاق العلماء آخر ما يصار إليه فى فهم آيات القرآن ، فلعل أبا بكر الأصم هذا كان من هذا الفريق ، على أننا وقفنا مصادفة - فى الأحكام - لابن حزم على نص قاطع فى تحديد موقف أبى بكر الأصم .

فى أثناء نقول ابن حزم لأقوال العلماء الذين يهدرون العمل بخبر الواحد . ذكر نقلا عن الأصم يتضمن اعترافه بالنسخ يقينا .

قال ابن حزم : قال أبو بكر بن كيسان الأصم البصرى : « لو أن مائة خبر مجموعة قد ثبت أنها كلها صحاح إلا واحداً منها لا يعرف بعينه أيها هو - قال - فإن الواجب التوقف عن جميعها - فكيف وكل خبر منها لا يقطع على أنه حق متيقن ولا يؤمن فيه الكذب ، « والنسخ »[1] والغلط انتهى كلام الأصم ، وظاهر أن موضع الشهادة فيه على ما تلتمس هو كلمته الأخيرة ، « ولا يؤمن فيه الكذب ، والنسخ . والغلط » فهذا إقرار منه بموضوع النسخ .

(١) المراد بالنسخ نسخ حديث بحديث آخر : كقوله صلى الله عليه وسلم : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » .

٤ — إذن نستطيع أن نجزم بأن الاستقراء العلمى إلى الآن وبحسب المصادر التى بأيدينا لم يستطع أن يقدم لنا من بين علماء المسلمين اسما معينا يذهب إلى إنكار النسخ غير أبى مسلم — ذلك المفكر الذى يثير ضجة كبيرة فى عالم التفسير والفقه ، بنظريته المبتدعة فى إنكار النسخ . وقد ترك أبو مسلم من المصادر التى يتحتم أن يكون ضمنها هذه النظرية — كتابين أحدهما كتاب «جامع التأويل لمحكم التنزيل» وهو تفسير ضخم يقع فى نحو أربعة عشر مجلداً — كتبه على طريقة المعتزلة ، وفى نقول جولد زيهر: «أنه يبلغ سبعة وعشرين مجلدا» . وقد مدحه بعض الكاتبين القدماء بأنه لم يؤلف مثله — وهى عبارة تقليدية لا تفيد غير التزكية — لكن هذا الكاتب أشار بعد هذه التزكية إلى أن ضخامة الكتاب من بعض الفضول .

وثانى الكتابين «كتاب الناسخ والمنسوخ» ومبلغ علمى أن هذين الكتابين لم يصلا إلينا ، وإلا لكنا قد وجدنا فى رحابهما الواسعة ، ومادتهما المباشرة ، معرفة أوسع ، وأدق ، وذات أصالة بهذه النظرية الجديدة التى خرج بها صاحبها على الناس ، فى أواخر القرن الثالث ومطلع القرن الرابع الهجرى .

٥ — وقد استطاع الفخر الرازى أن يقدم لنا نماذج لمحاولات أبى مسلم فى التوفيق بين الآيات الناسخة والمنسوخة نعود إليها فيما بعد ، ولكنه لم يقدم لنا بالذات الأصل الذى اعتمده فى إنكار النسخ ، إن معرفة هذا الأصل ذات خطر كبير فى تكييف الموضوع والحكم فيه — ولا سيما بالنسبة لمن يحاولون تقليد أبى مسلم فى طريقة التوفيق بين الآيات المنسوخة والناسخة ، ويحسبون الخطب فى ذلك سهلا ، مع أن انكشاف الأصل الذى بنى عليه أبو مسلم «منع النسخ» قد يكون على درجة من ظهور البطلان ومصادمة النصوص ، كالقول بالبداء أو غيره — يقتضى رد منحيه ردا قاطعا بغير التفات إلى أسلوبه فى التوفيق بين الآيات ، موضوع النسخ .

وقد يدلنا هذا المعنى على مبلغ المجازفة عند من يسارع إلى الأخذ بالجانب التطبيقى لمذهب لا تعرف أصوله ولا قواعده التى حصل التطبيق على أساسها غير المنظور .

٦ — اهتم المسلمون بالرد على منكرى النسخ اهتماما كبيرا ، كما يظهر ذلك فى كتب الأصول عامة ولم يكن مبعث اهتمامهم مخالفة أبى مسلم لكافتهم لأن الرد على إنكار مبدأ النسخ كان سابقا على حياة أبى مسلم ؛ ولأن أبا مسلم لم يعتبر هو الشخصية الخطيرة ، فى إنكار النسخ عند المسلمين .

بل أشير إليه بسبب طابع الانفرادية الذى حمله رأيه على إنكار النسخ ، بعد ما استقر

الأمر فى القرون : الأول ، والثانى ، والثالث عند علمـــاء المسلمين ، على جواز النسخ ووقوعه فى الشريعة والقرآن .

وإنما اهتم المسلمون بمناقشة فكرة النسخ والرد على منكريه بسبب عمل اليهود ، لأنهم من أول أمر الإسلام ، أظهروا طعنهم على النبى - صلى الله عليه وسلم - من أجل النسخ ، واعتبروا وجـــود النسخ دليلا على بشرية القرآن : كما حصل مثل هذا الطعن من قريش على النبى صلى الله عليه وسلم فيما روى ابن عباس أيضا ، على أن الطاعن من قريش لم يكن هو الذى يستفز المسلمين باستمرار . فالمفروض أن مثل هذه المطاعن التى كانت تصدر عن قريش انقطع صداها بانتصار الإسلام فى الجزيرة العربية كلها

ولكن الأمر ذا البال فى هذه القضية ، إنما كان هو طعن اليهود المستمر على الإسلام من جهة مسألة النسخ هذه .

ولذلك رأينا اسم اليهود وحدهم هو الاسم الظاهر المتعمد فى معرض المناقشات الإسلامية فى هذه المسألة .

والشبهة الأساسية التى يتعلق بها المنكرون للنسخ هى أن النسخ من قبيل البداء ، والبداء على الله محال فما هو البداء ؟ .

٧ — البداء فى أصل اللغة : الظهور بعد الخفاء . يقال بدا سور المدينة بعد أن كان خافيا ، ومنه قوله تعالى : « وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون » أى ظهر لهم من عاقبة أمرهم فى الآخرة ما كان خافيا عليهم فى الدنيا .

قالوا : إن الأمر بالشىء يدل على حسن المأمور به والنهى عن الشىء يدل على قبح المأمور به .

فإذا أمرنا الله بشىء كان ذلك الشىء المأمور به حسنا وصالحا ، فإذا عاد ونهانا عنه بذاته بعد ذلك كان ذلك النهى دليلا على أن ذلك الفعل الذى كان قد أمرنا به فى الماضى لم يكن حسنا ولا صالحا ، وإنما كان قبيحا وفاسدا ، وأن قبحه وفساده كان خافيا على الله فى أول الأمر حين أمر بفعله ثم بدا له من بعد ظهور قبحه وفساده فعمد إلى النهى عنه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

فهذا هو البداء وهو يستلزم إدخال النقص على علم الله فما أدى إليه من نسخ يكون باطلا وممنوعا

٨ — وقد كان الجواب عن هذه الشبهة حاضرا ميسورا عند علماء المسلمين :

ذلك أن لخصوصية الزمان أثرا فى حسن الأشياء وقبحها بالنسبة للمكلفين فقد يكون الشىء حسنا بالنسبة للمكلف فى زمان وصالحا له ، فيأمره الله به ثم يكون نفس الشىء فى زمان آخر بالنسبة للمكلف شرا وفسادا فينهى الله عنه . وقد يكون من أوضح الأمثلة على ذلك فى تصرفات الناس اليوم . الرياضة

البدنية ، مثل الكرة والمصارعة وحمل الأثقال فإن هذه الأنواع من الرياضة قد تكون حسنة وصالحة فى زمان الفتوة والشباب ، فيأمر بها الآمر ، ثم تكون مزاولة بعضها عند تقدم السن وضعف القلب ، هلاكا محققا ، فينهى عنها ، وليس بين أمره ونهيه سبيل إلى إنكار العقول ، فكيف إذا صدر مثل ذلك من الحكيم الخبير .

٩ — وأما أبو مسلم فالحق أن فلسفته وأدلته لم تنقل إلينا وإنما نقل إلينا جانب من تطبيقات مذهبه فقط ، وإنه لبعيد جدا — من أجل ذلك — أن نفترض أنه قد كان لأبى مسلم فلسفة صحيحة ، أو حجج مقبولة غابت عنا ، وأقصى ما نجد فى الباب أنهم ذكروا حجة فى الجانب الذى يتجه إليه ، وهى قوله تعالى فى وصف القرآن الكريم : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » قالوا عنه فى تقرير هذه الحجة : إن النسخ إبطال لحكم القرآن ، والقرآن منزه عن الإبطال فلا نسخ له ، والسنة كالقرآن فى وجوب التنزه عن الإبطال ، فعدم القائل بالفصل بينهما ، فلا نسخ فيها أيضا .

وليس الأمر كما قال صاحب هذا القول — فمعنى الآية أن هذا الكتاب العزيز منزه عن وقوع الخطأ فيه من جميع أقطاره ، وعامة جوانبه فى أحكامه ، وأخباره وبلاغته فلا يتناوله الخطأ من وجه .

والنسخ ليس من قبيل الخطأ ، ولا من قبيل الإبطال لأحكام القرآن ، وإنما هو من قبيل البيان لأحكامه ، والإعلام بانتهاء مدة بعضها لتحل محلها أحكام غيرها ، وكذلك شأن السنة .

١٠ — بعد ذلك نتجه إلى بيان أدلة القائلين بإثبات النسخ : أثبتوا جوازه بالعقل وبنص القرآن على وقوعه وباستخراج مواد وقوعه فى القرآن فعلا .

لا يمنع العقل من إمكان وقوع النسخ ، لأنه ممكن لذاته ، إذ لا يترتب على افتراض حصوله محال فكان جائزا — وبهذا تبدئ الخطوة الأولى فى إثبات الإمكان الفعلى وبطل زعم اليهود بامتناع النسخ عقلا ، إذ ليس بين ما هو ممكن عقلا ، وما هو محال عقلا إلا انتفاء ترتب المحال على ما نفترض وقوعه فى حيز الوجود فعلا . من الأشياء التى يدعى إمكانها .

وهذا الأسلوب فى الاستدلال مما لا تشبع معرفته عند شتى العصر ، حيث يشتبه على أذهانهم كثيرا الفرق الدقيق بين نوعين من المستحيل ، فلزم أن نفرغ بعض الضوء من نور الله ، على المسألة ازدادا وضوحا ،

وليتقرر بمنهجها صحة الاستدلال فى نفوس السائلين فى مواضع كثيرة .

الأمور التى ينكرها العقل تنقسم إلى قسمين بحسب السبب الداعى لهذا الإنكار :

أمور ينكرها العقل لأنه لم يألف وقوعها أو لم يألف نفيها فى تاريخ تجاريبه الطويلة ومشاهداته المتسلسلة وانطباعاته الذهنية المعتادة ، فهذه الأمور قد يسميها فى حال الوقوع أو فى حال النفى بالمستحيلات - فالذهن لم يألف مثلا أن ينقلب المحيط ذهبا ، ولا أن يتحول الجبل زئبقا ، ولا أن ينشق القمر فلقتين ، فيسمى ذلك كله إذا عرض عليه مستحيلا مع أنه ممكن فى ذاته ويحتمل حصوله وإن كان العقل قبل التأمل والنظر - يكاد يرفض احتمال حصوله لشدة غرابته ، وبعده عن مألوفه .

ويقرب هذا المعنى أننا لو سألنا العقل البشرى من قبل مائة عام عن عجائب الراديو والتلفزيون والعقل الألكترونى ، لحكم بأن ذلك مستحيل ، وإنما كان يستمد الحكم بالاستحالة على هذه العجائب ، من تصوراته العادية ، ومألوفاته السابقة ، مع أنه قد ثبت الآن - بعد انكشاف قوانين كونية جديدة - أن هذه - المستحيلات فى بادىء نظر العقل قبل مائة سنة مثلا - إنما هى ممكنات فى ذاتها تمثل واقع حياتنا الراهنة - فمثل هذه الأمور الممكنة فى ذاتها المستبعدة بحكم ما جرت به العادات ، وألف العقل من سير الأحداث الكونية الرتيبة ، يسميه علماؤنا رضى الله عنهم - مستحيلا عاديا .

وأمور أخرى يحكم العقل باستحالتها لذاتها على الإطلاق كاستحالة الجمع بين المتناقضين بالشروط المعتبرة لذلك - وكاستحالة إله آخر مع الله - فكل من هذين المثلين يسمى مستحيلا عقليا . وهو المستحيل الحقيقى فى استعمالات البرهان .

والفرق بين النوعين مما يطلق عليهما اسم المستحيل ، أن المستحيل العقلى غير قابل للوجود من حيث ذاته . فيكون ممكنا من هذه الناحية .

والضابط المميز لكل منهما أن المستحيل العادى إذا فرضت وجوده لم يترتب على فرض وجوده محال ، فلو فرضنا أن الجبل قد انقلب زئبقا ، وأن المحيط قد تحول ذهبا فلن يترتب على تحقق هذا الفرض فى الوجود محال ، بعكس ما لو افترضنا أن للبارى شريكا فإن هذا الفرض - إن تحقق - يستلزم محالا ثابتا يترتب على تحققه ، وهو انعدام العالم ، ذلك الموجود أمامنا حسا وعيانا .

بهذا الإيضاح اليسير المستطرد ، أمكننا أن نلحظ ما يحكم العقل باستحالته وما لا يحكم العقل باستحالته من الأشياء وأمكننا أن

نلحظ أن استبعاد فكرة النسخ على الشريعة أو استغرابها ، أمر ليس من شأنه أن يؤدى إلى إنكار وقوعه وقد دلت نصوص الشريعة وواقع هذه النصوص على ثبوت النسخ فعلا .

١١ — ورد من آيات القرآن فى إثبات النسخ آيتان هما أظهر الآيات دلالة على الموضوع وقد استدل بهما عامة العلماء : أولاهما — قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » .

المراد بالآية هنا هى الآية القرآنية — وإلى ذلك ذهب عامة المفسرين ، وعلماء الأصول .

والمراد بالنسخ الإزالة ، أو التبديل .

والمراد بلفظ « ننسها » فى أقرب التفاسير أحد معنيين — إما ذهابها عن الذكر وإما تركها على موضعها .

ويكون بيان الآية على المعنى الأول — كما ذهب إليه الحسن والأصم وأكثر المتكلمين : ما ننسخ من آية وأنتم تقرءونها ، أو ننسها أى — نذهب بها عن أذهانكم مما كنتم تتداولون قراءته فيما بينكم ، نأت بخير منها أو مثلها .

ويكون بيان الآية على المعنى الثانى حين نفسر النسخ بالتبديل ، والإنساء بالترك ما نبدل من آية على وجه من وجوه التبديل أو نقرها فى مكانها نأت بخير منها أو مثلها .

والمراد بالخير — على كلا الوجهين فى الآية — على ما اختار هو : ما كان أكثر مصلحة للمكلف سواء أكان أخف أو أثقل من الأحكام — لأن الله يصرف المكلف فى أنواع التكاليف ، على حسب ما يرى له من المصلحة لا بحسب هوى المكلف . وداعية نفسه .

وبيان الآية على هذا الوجه المستقيم — كما ذهب إليه جمهور المفسرين . والأصوليون حجة تامة فى إثبات النسخ جوازا ووقوعا .

لكن الشيخ محمد عبده أخذا ببعض كلام محيى الدين بن عربى المتصوف المشهور ، أورد تشكيكا على مفاد الآية . قال : إن المراد بالآية فى هذا الموضع إنما هو « المعجزة » ، وهو أولا قول بعيد عن المعنى المتبادر للفظ الآية حتى قال بعضهم : إن الآية حين تذكر فى القرآن يراد بها عرفا الآية القرآنية ، وأبين من ذلك أن سبب النزول الذى نزل عليه الآية قاض بعدم ترجيح معنى للآية غير مدلول الآية القرآنية .

ذلك أن سبب نزول الآية كما نص علماء التفسير هو طعن اليهود على النبى صلى الله عليه وسلم فى أمر النسخ : قالوا « ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه فنزلت الآية » إذن فقد كان موضوعها يمثل حالة واقعة .

والآية إذا وردت على سبب من أسباب النزول لا يجوز اطراح سبب نزولها فى فهم معناها كما أنه لا يجوز رفض سبب النزول بغير حجة ظاهرة لأن الأصل فى أسباب النزول وغيرها مما ينقله لنا أهل العلم الموثوق بهم الصحة والقبول حتى يقوم دليل على رفضها ، ولو جاز لنا أن نرفض رواية من هذه الروايات التى ينقلها إلينا أهل العلم بالتشهى ومخالفة المزاج لرفضنا كثيراً من النقول الدينية المعتبرة .

١٢ — وأما الآية الثانية فهى أقطع نص فى الدلالة على غرض قال تعالى : « وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل ، قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون . قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين » .

وسبب نزول الآية ما روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما قال - كان إذا نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية فيها لين تقول كفار قريش - والله ما محمد إلا يسخر بأصحابه ، اليوم يأمر بأمر وغدا ينهى عنه ، وإنه لا يقول هذه الأشياء إلا من عند نفسه . فأنزل الله قوله تعالى : « وإذا بدلنا آية مكان آية » ويلاحظ أن ذلك كان فى مكة وأن وقائع النسخ قد بدأت فى مكة أيضاً كما نبه على ذلك الإمام الشاطبى .

التبديل معناه رفع الشىء مع وضع غيره محله . وتبديل الآية رفعها ووضع غيرها مكانها وهو النسخ ، ويستحيل أن يكون « معنى الآية » فى هذا الموضوع غير الآية القرآنية لسبعة أسباب :

أولا : سبب النزول كما قدمنا .

ثانيا : التبادر الهاجم على النفس الذى لا ينكره من نفسه كل عارف باللغة .

ثالثا : دلالة قوله حكاية عنهم : « إنما أنت مفتر » فإن الظاهر من نعت الافتراء أنه لا يكون متعلقا إلا بما هو من جنس الكلام . ولا يعقل أن يكون الافتراء متعلقا بالآيات إذا فسرت الآية بالمعجزة ويساعدنا على ذلك الاستعمال المستمر فى القرآن وفى كلام العرب ، كقوله : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا » .

رابعا : قوله « قل نزله روح القدس » فإن المعروف عن روح القدس أو الروح المقدس وهو جبريل - أنه كان ينزل بالآيات القرآنية : بدلالة نص القرآن فى موضع آخر « نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين » .

خامسا : دلالة الآية اللاحقة لهذه الآية مباشرة وهى : « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون إليه أعجمى » فإن هذا السياق يدل على وحدة

(البقية على ص ١٠٨٤)

فيسمى ذلك الطبق . استفتته من الإطباق وعكسه الانفتاح . يتضح لنا مما سبق :

١ — أن الجهر فى رأى سيبويه مرتبط بالجهد الذى يحسه الناطق فى الصدر والذى يتسبب عنه تسليط هواء الرئتين على المخرج فيحدث الجهر فى المخرج نتيجة لإشباع الاعتماد أى ضغط الهواء على المخرج .

٢ — أن الهمس ضعف الاعتماد

٣ — أن الاعتماد هو ضغط هواء الرئتين على موضع اتصال الأعضاء للنطق .

٤ — أن الشدة إقفال المجرى الفموى فى طريق هواء الرئتين وإن انفتح مجرى الأنف .

٥ — أن الرخاوة تضييق المجرى الفموى تضييقا يسمح بحدوث أثر صوتى احتكاكى .

٦ — أن اللين والهوى هما توسيع مجرى الهواء مع تفاوت فى الدرجة .

٧ — يستعمل المخرج والموضع استعمالا واحدا .

٨ — الإطباق عنده ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى وعكسه الانفتاح .

ولا ينسى سيبويه أن يشرح فائدة دراسة الأصوات العربية بالنسبة لدراسة اللغة فيقول: « وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه . ومالا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه . وما تبدله استثقالا كما تدغم . وما تخفيه وهو بزنة المتحرك، ولكن لدراسة الأصوات فوائد أخرى أعم وأهم ، قد نبينها فى مقال آخر إن شاء الله .

دكتور تمام حسان .

أستاذ مساعد بكلية دار العلوم

(البقية على ص ١٠٧٦)

الموضوع وأن طعن قريش على النبى إنما كان يتناول مادة القرآن من حيث مصدره ومن حيث أغراضه فلا محل لدلالة (الآية) — على غير الآية الكلامية — فى هذا السياق .

سادسا : ومن ناحية أخرى لا يساعدنا الواقع التاريخى على أن النبى — صلى الله عليه وسلم كان يأتى بالآيات بمعنى المعجزات — ثم يبدلها فيرفع معجزة ويحل محلها معجزة أخرى . بل كانت سنة القرآن . أن يغلق فى وجوه السائلين باب الاستجابة لتنزيل الآيات الكونية وقد ثبت هذا المعنى فى مختلف سور القرآن قريبا من عشر مرات بأساليب مختلفة .

سابعا : وأيضا فإن المعجزة إذا وقعت فلا يمكن رفعها ولا تبديلها ، ومجىء آية أخرى أو معجزة أخرى لا يكون تبديلا لها ، بل يكون إضافة إليها ، أما الآية الكلامية فظاهر أن ترفع من موضعها ويحل غيرها محلها . وحسبنا هذه المعانى التى بيناها من وجوه دلالة الآية على النسخ ، وأظنبنا فيها ؛ لكى نقطع عن طريقها كل شاذ ، وكل تأويل باطل ؟

محمد سعاد جلال

مصطلحات سيبويه في أصوات العربية

للدكتور تمام حسان

جرى العرف العلمى فى دراسة الأصوات منذ القديم على تقسيم أصوات اللغة بحسب اعتبارات اقتضتها طبيعة النطق . ويمكن رد هذه الاعتبارات إلى أساسين هامين : أولهما حركى عضوى ، وثانيهما صوتى . فأما بحسب الأساس الأول فإن العلماء يقسمون أصوات اللغة ويصنفونها بحسب المخارج وهى أماكن يمكن تعيينها فى أعضاء النطق بوسائل مختلفة . ثم يصفون كيفية الحركة التى ولدت النطق ، وهذه الحركة لا تخرج فى مجموعها عن التحكم فى مجرى الهواء أو تضييق مجراه ، بحيث ينحبس تماما أو يحول مجراه إلى الأنف فى الحالة الأولى . وبحيث يشق طريقه شقا فى الحالة الثانية ، أو بحيث يخرج دون تدخل فى مجراه ، وهى الحالة الثالثة من حالات الهيئة العضوية للنطق . يستطيع العلماء إذن أن يعينوا على هذا الأساس مكان النطق وهيئة الحركة التى ينتجها النطق . وأما على الأساس الثانى وهو الصوتى فإن العرب جرى بتقسيم الأصوات لاعتبارات سمعية مختلفة . منها الأثر الآتى من صورة تسريح الهواء الرئوى ، ثم منها الأثر الآتى من اهتزاز الأوتار الصوتية أو عدم اهتزازها . ثم منها الأثر الآتى من هيئة حجرة الرنين الرئيسية فى عملية النطق وهى الفم . فأما أثر تسريح الهواء فيعطينا الشدة والرخاوة والتركيب والتوسط . وأما أثر اهتزاز الأوتار الصوتية أو عدمه فيعطينا الجهر والهمس ، وأما أثر هيئة حجرة الرنين الفموية فيعطينا التفخيم والترقيق . ويقصر المقام هنا عن شرح كل هذه المصطلحات ، فمن شاء أن يرى ذلك مفصلا فليرجع إلى كتابى « مناهج البحث فى اللغة » .

والمخارج العربية كما نفهمها فى أيامنا هذه فى ضوء تشريح الجهاز النطقى والمناهج الآلية التى تستخدم فى اللغة الحديث هى المخرج الحنجرى والحلقى واللهوى والطبقى والغارى واللثوى ثم الأسنانى اللثوى ، والأسنانى ، والشفوى الأسنانى ، والشفوى ، والأنفى . فالحنجرى مخرج الهمزة والهاء ، والحلقى مخرج العين والحاء ، واللهوى مخرج القاف ، والطبقى مخرج الغين والخاء والكاف ، والغارى مخرج الجيم والشين والياء ، واللثوى مخرج اللام والراء ، ويشترك مع الأنفى فى إخراج

النون ، والأسنانى اللثوى مخرج السين والصاد والزاى والثاء والطاء والدال والضاد ، ثم الأسنانى مخرج الثاء والظاء والذال ، والشفوى الأسنانى للفاء ، ويأتى الشفوى بعد ذلك للباء والواو ويشترك مع الأنفى فى إخراج الميم . وقد يتفرع من بعض هذه أصوات فرعية بحسب الموقع .

هذه مقدمة لابد منها للنظر فى مصطلحات سيبويه ومحاولة فهمها فى ضوء علمنا الحديث بهذه الدراسة اللغوية . وقد يكون من النافع هنا أن نأتى باقتباس من سيبويه يوضح لنا نظرته إلى ترتيب هذه الأصوات من القاصى إلى الدانى على نحو ما فعلنا ، وسنجد فرقا يسيرا بين ترتيبه لها وترتيبنا إياها . يقول « هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها . فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا : الهمزة والألف والهاء والعين والحاء والغين والخاء والكاف والقاف والضاد والجيم والشين والياء واللام والراء والنون والطاء والدال والتاء والصاد والزاى والسين والظاء والذال والثاء والفاء والباء والميم والواو . وتكون خمسة وثلاثين حرفا بحروف من فروع . وأصلها من التسعة والعشرين . . . إلخ » وأول ما يصادفنا هنا أن سيبويه يطلق الحرف ويريد به ما يشمل الصوت والحرف . والفرق بينهما فى علم اللغة الحديث أن الصوت هو العملية الحركية ذات الأثر السمعى وهو من أداء المتكلم فى نشاطه اللغوى العادى اليومى فكلنا ينطق فى كلامه أصواتا لغوية مسموعة . وأما الحرف فهو وحدة تصنيفية يقول بها دارس اللغة حين يقسم العدد الأكثر من الأصوات إلى العدد الأقل من الحروف ، إذ قد يشتمل الحرف الواحد على أكثر من صوت واحد ، كما يشتمل حرف الميم على أصوات مختلفة منها ذو الإظهار وذو الإخفاء وذو الإقلاب ، وكما يشتمل حرف النون على عدد من الأصوات يأتى كل منها فى بيئة صوتية خاصة ، حتى إن بعض أصوات النون كالذى فى « ينظر » ينطق بإخراج اللسان كإخراجه فى الظاء . ويلاحظ كذلك فى سرد سيبويه للحروف بحسب ترتيب مخارجها من القاصى إلى الدانى أمور :

١ ــ ذكر الألف بين ذوات المخارج ونحن نعتبرها نتيجة لهيئة حجرة الرنين الفموية لا لإقفال ولا تضييق فى مخرج بعينه ، شأنها فى ذلك شأن العلل والحركات .

٢ ــ أخر القاف فى الترتيب عن الغين والخاء والكاف مع أن القاف مخرجها عند اللهاة ومخرج الشلاث الأخريات فى الطبق وهو الجزء الرخو من سقف الفم أمام اللهاة مباشرة .

٣ — قدم الحنك الأعلى الذكر والمخرج وحقها أن تذكر فى موضع متأخر بأن توضع فى نهاية المجموعة التى قبل الظاء مباشرة .

يقول سيبويه : « ولحروف العربية ستة عشر مخرجا ، فللحلق منها ثلاثة : فأقصاها مخرجا الهمزة والهاء والألف ، ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء ، وأدناها مخرجا من الفم الغين والخاء ، ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف ، ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف ، ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء ، ومن بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس مخرج الضاد ، ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فوق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام ، ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون ، ومن مخرج النون غير أنه أدخل فى ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء ، ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء ، ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاى والسين والصاد ، ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء ، ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء ، ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو ، ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة » .

ويتضح من هذا النص المأخوذ من كتاب سيبويه أمور :

١ — أنه يطلق اصطلاح « الحلق » على كل مايلى وسط اللسان إلى الخلف فيشمل به مخارج الحنجرة glottis ، والحلق Pharynx ، واللهاة uvila ، والطبق velum ، وكل مانطق من الأصوات فى هذه الأماكن فهو حلقى فى نظره ؛ غير أنه يفرق بين أقصى الحلق وأوسطه وأدناه تفريقا فرعيا يستخدمه عند إرادة البسط . وكأن هذه المنطقة عند سيبويه كانت منطقة المجاهل ومن ثم اكتفى من ذكر أعضائها بالوصف بالأقصى والأوسط والأدنى دون أن يسمى هذه الأجزاء . وله فى ذلك كل العذر ، بل أعجب له كيف استطاع أن يصل إلى ما وصل إليه من درجات الدقة برغم ما أحاط به من الظروف .

٢ — صرفته عنايته فى نطق الضاد بتسريح الهواء من جانبى اللسان عند الأضراس عن ملاحظة الصلة بين طرف اللسان وبين الثنايا فى أثناء هذا النطق ، وحق نقطة الاتصال هنا أن تكون هى المخرج ، ولست أدرى لم لم يغفل عن هذه الصلة فى نطق اللام ولا سيما المفخمة فعين مخرجها الصحيح مع أن تسريح الهواء

فى نطق اللام يكون من جوانب اللسان كذلك .
وقد ترتب على هذا الخطأ أن رأينا سيبويه قلقا فى كلامه عن الضاد ويبدو هذا القلق فى محاولته تعيين موضع لها فى ترتيب الحروف بحسب المخارج كما يتضح ذلك فى الموازنة بين النصين السابقين إذ جعلها فى النص الأول سابقة على مجموعة الجيم والشين والياء وجعلها فى الثانى لاحقة لها .

٣ - يريد بما فويق الثنايا مخرج اللثة . ويسميها بعضهم مغارز الأسنان .

٤ - يقصد بأصول الثنايا الوجه الداخلى للأسنان الأربع العليا حتى تتصل بمغارزها وهو ما نسميه فى اصطلاحنا المخرج الأسنانى ، ولا يعقل أن يكون قد قصد به الثنيتين العليين فحسب ، لأن طرف اللسان حين ينطبق فى النطق على الثنيتين يصعب أن يزاح ويعزل عن الرباعيتين وهذا وجه جمع الثنية فى كلامه دون تثنيتها .

والمعروف أن للأوتار الصوتية من حيث الوضع أحوالا أربعا ؛ فهى إما أن تكون مقفلة إقفالا تاما فينحبس الهواء من ورائها فلا يقسرب أبدا كما يحدث من المرء عند التعنية وعند رفع حمل ثقيل ، وكذلك عند نطق الهمزة مشكلة بالسكون ، وهى فى هذه الحالة لا تحدث صوتا مطلقا ولا تكون فى حالة جهر ، وإما أن تتلاصق بخفة فتدع للهواء الرئوى فرصة التسرب من بينها فتهتز عند مروره من بينها محدثة أثرا سمعيا نسميه الجهر ، وإما أن تتقارب دون التصاق فيحتك الهواء الرئوى بها حين صعوده إلى خارج فيحدث ما نسميه الهمس ؛ ويكون هذا الهمس مسموعا كحين تسر إلى صديقك بخبر . وإما أن تتباعد فلا يسمع صعود الهواء من بينها كما فى حالة التنفس العادى الهادئ . وإذا أردت أن تختبر صوتا ما لترى ما إذا كان مجهورا أو مهموسا فانطقه مشكلا بالسكون وضع أطراف أصابعك على الحنجرة تحت الذقن وفيها الأوتار الصوتية ، فإن أحسست باهتزاز وارتعاش تحت أطراف أصابعك فهذا الصوت مجهور وإلا فهو مهموس .
يقول سيبويه : « فأما المجهورة فالهمزة والألف والعين والغين والقاف والجيم والياء والضاد واللام والنون والراء والطاء والدال والزاى والذال والباء والميم والواو فذلك تسعة عشر حرف وأما المهموسة فالهاء والخاء والكاف والشين والسين والتاء والضاد والثاء والفاء . فذلك عشرة أحرف » .

وقد ذكرنا أن نطق الهمزة إنما يتم بواسطة إقفال الأوتار الصوتية إقفالا تاما ثم تفتح هذه الأوتار فتحا سريعا مفاجئا فيحدث بذلك انفجار هو الذى يسمى الشدة التى هى غير الرخاوة ، ولا يمكن أن يكون مع إقفال

الأوتار الصوتية جهر، ومن ثم يخطئ سيبويه ومن نقل عنه من بعده فى اعتبار الهمزة حرفا مجهورا . فإذا كان لنا أن نتلمس الأسباب التى أوقعت سيبويه فى هذا الخطأ فلن نستطيع إلا التخمين ، والذى يبدو لى عند التخمين أن سيبويه حين نظر فى الهمزة وجدها ذات أحوال متقلبة فى نطق العرب، فهى تارة محققة وتارة مسهلة فى صورة مد وتارة ميسرة فى النطق مسببة عن اختلاف ضغط الهواء الصاعد أكثر مما هى مسببة عن حركة الأوتار الصوتية . وهى التى بين بين ، وتارة تكون للقطع وأخرى تكون للوصل . فلما لم يستطع أن يجمع هذه الأحوال جميعا تحت وصف واحد آثر أن يتغلب الأكثر من هذه الأقسام على الأقل . ولا شك أن المسهلة والواصلة والتى بين بين أكثر عددا من المحققة وذات القطع ، ثم لاشك أن الثلاث الأوليات وقد خرجت عن صورة الهمزة إلى صورة العلة أو الحركة أصبحت مجهورة ، وأن الأخيرتين هما المهموستان . ومن هنا رأى سيبويه أن يضع الهمزة على سبيل التغليب فى فصيلة الأصوات المجهورة ناسيا أن هذه الثلاث ليست همزات فى صورتها الحاضرة وأنها مد أو حركة ، وأن وصف الهمزة لا ينطبق إلا على المحققة بينها .

وأما وضع القاف بين الحروف المجهورة وهى فى نطقنا الحاضر مهموسة فلست أجرؤ على تخطئة سيبويه فى ذلك ، لأن بعض العرب كالسودانيين ينطقون فى يومنا هذا قافا مجهورة أقرب ما تكون إلى الغين . ولعل سيبويه يتكلم عن أخت لهذه القاف كانت تنطق فى أيامه ولو علمت يقينا أن القاف فى أيامه كانت تشبه القاف التى ننطقها الآن فى مصر فى كلامنا الفصيح ما توانيت عن تخطيئه .

وأما اعتبار الطاء مجهورة فلست أظن سيبويه فيه إلا مخطئا ، فكل طاء ينطقها العرب فى أيامنا هذه مهموسة ، ولو كان لجيل سيبويه من العرب طاء مخالفة لبقيت ولو فى لهجة عربية منعزلة غير هامة . وإذا لا نجد طاء مجهورة فى كلام العرب المعاصرين ولا على ألسنة القراء فلا بد أن نميل إلى اعتبار سيبويه مخطئا فى وصف الطاء بالجهر على أننى يجب أن أحرز قليلا فى اعتبار القراء المعاصرين مقياسا للنطق العربى القديم لأن من المؤكد أن الضاد العربية التى كانت اللغة تمتاز وتسمى بها قد تغيرت فى قراءة القرآن المعاصرة وأصبحت الضاد فى قراءة القرآن اليوم دالا مفخمة شديدة ، ويخرج الهواء عند نطقها على خط الوسط فى الفم . ولم تعد رخوة ولا يخرج الهواء فى نطقها من جانب اللسان .

ثم يقول سيبويه : « فالمجهورة حرف أشبع الاعتماد فى موضعه ومنع النفس أن يجرى

معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت ؛ فهذه حال المجهورة فى الحلق والفم . إلا أن النون والميم قد يعتمد لهما فى الفم والخياشيم ، فتصير فيهما غنة . والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أخل بهما » . ولقد سبق منذ قليل أن أوضحنا أن الجهر والهمس يتوقفان على اهتزاز الأوتار الصوتية التى فى الحنجرة أو عدم اهتزازها ، فما الذى يقصده سيبويه بالاعتماد فى الموضع ؟ يمكن عند النظر فى استعمال سيبويه لهذا اللفظ أن نرى أن سيبويه كان يرى فى قضية الجهر والهمس رأيا آخر غير الذى أوضحنا . فالذى يبدو أن سيبويه كان يرى الجهر والهمس حادثين من تفاوت كمية الجهد الذى يحس به فى صدره أثناء النطق . والمعروف أن حركة الحجاب الحاجز - وهى مظهر هذا الجهد - أوضح فى الجهر منها فى الهمس . كما يتضح من نطق السين والزاى مشكلتين بالسكون فى نفس واحد على التعاقب . ومرجع ذلك من الناحية العضوية إلى أن الأوتار الصوتية كما ذكرنا تتلاصق بعضها عند الجهر فتعوق هواء الرئة عن الخروج بعض الشيء . ولكنها تتقارب دون التصاق فى حالة الهمس فيكون تسرب الهواء منها أيسر ، وتكون حركة الحجاب الحاجز من ثم أقل عنفا . ولكن هذا التفسير العضوى لم يكن معروفا عند سيبويه ، كما لم يكن معروفا لديه كيف يحدث الجهر والهمس بالتفصيل ولا أظنه كان يعلم شيئا من طبيعة عمل الأوتار الصوتية . ومن ثم ظن سيبويه (على احتمال) أن الجهر والهمس مع ارتباطهما بتفاوت كمية الجهد فى الصدر إنما يحدثان فى المخرج ؛ فهذا المخرج يحدث فيه الجهر عند زيادة كمية الجهد الصدرى على حد تعبيره عند إشباع الاعتماد كما يحدث فيه الهمس عند إضعاف الاعتماد . وبهذا يتضح معنى الاعتماد فى تعريفه للمجهور فيما سبق . ويتضح كذلك فى تعريفه للمهموس بقوله : « وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد فى موضعه حتى جرى النفس معه . وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جرى النفس ، ولو أردت ذلك فى المجهورة لم تقدر عليه . وقد رد ابن سينا فى « أسباب حدوث الحروف » لفظ الاعتماد بنفس هذا المعنى .

ويبدو أن سيبويه يفرق تفريقا مقصودا بين اصطلاحى « الصوت » و « النفس » ، فيطلق لفظ الصوت على أى أثر سمعى مجهور أو مهموس يأتى الأذن من طريق النطق ، ثم يريد بالنفس الهواء المتسرب تسربا ملحوظا حين النطق ببعض الأصوات اللغوية كالفاء والحاء والسين وغيرها وهو الذى يسمى فى اصطلاح علم اللغة الحديث aspiration .

ويظهر أن سيبويه ظن الصوت من طبيعة لا تنفصل اتصالا وثيقا بطبيعة النفس ، فأوجد فى اصطلاحه تقابلا بل تضادا بين هذين المفهومين بحيث جعلهما يلتقيان فى نطق صوت واحد . فالنطق فى نظره إما أن يشتمل على صوت وإما أن يشتمل على نفس . فإذا عرفنا ذلك اتضح لنا التعريفان السابقان كل وضوح .

ويأتى بعد ذلك فهم سيبويه للشدة والرخاوة . يقول سيبويه : « ومن الحروف الشديد ، وهو الذى يمنع الصوت أن يجرى فيه وهو الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والتاء والدال والباء . وذلك أنك لو قلت الحج ثم مددت صوتك لم يجر ذلك » . ثم يقول : « ومنها حرف شديد يجرى معه الصوت لأن ذلك الصوت غنة من الأنف ، فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف ، لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت ، وكذلك الميم » . فإذا ذكرنا أن الصوت فى رأيه هو الأثر السمعى مجهورا كان أو مهموسا ، وأنه جعل النون والميم من بين الحروف الشديدة ، وأنه قال يجرى الصوت معها دون بقية الشديدة ، أدركنا ما يعنيه بالشدة . فالشدة فى نظره إقفال المجرى الفموى وإن كان مجرى الأنف مفتوحا . ويتضح ذلك من وصفه اللام والراء بالشدة ، فهو يعرف اللام بقوله : « ومنها المنحرف ، وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت ، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة ، وهو اللام » فاللام شديدة فى رأيه لأن اتصال طرف اللسان فى نطقها بما فويق الثنايا كان يمكن أن يمنع جرى الصوت فيهما ، لولا انحراف اللسان ترك للصوت فرصة الجريان من جانبه ، « وليس كالرخوة لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه وليس يخرج الصوت من موضع اللام ولكن من ناحيتى مستدق اللسان فويق ذلك » . والراء « حرف شديد يجرى فيه الصوت لتكريره إلخ » .

والرخاوة فى نظر سيبويه جريان الصوت فى نطق الحرف لضيق المخرج دون إقفاله . فهو يقول : « ومنها الرخوة ، وهى الهاء والحاء والغين والخاء والشين والصاد والضاد والزاى والسين والظاء والثاء والذال والفاء . وذلك إذا قلت الطس وانقض وأشباه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت » والعين فى نظره بين الرخوة والشديدة ، تصل إلى الترديد فيها لشبهها بالحاء .

واللين كما فى الياء والواو وهو اتساع المخرج لهواء الصوت . والهوى الذى الألف هو اتساع المخرج أكثر من ذلك . وأما الإطباق فهو ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى أثناء النطق بمخرج آخر وهو ما سميته

فيسمى ذلك الطبق . استفتته من الإطباق وعكسه الانفتاح . يتضح لنا مما سبق :

١ — أن الجهر فى رأى سيبويه مرتبط بالجهد الذى يحسه الناطق فى الصدر والذى يتسبب عنه تسليط هواء الرئتين على المخرج فيحدث الجهر فى المخرج نتيجة لإشباع الاعتماد أى ضغط الهواء على المخرج .

٢ — أن الهمس ضعف الاعتماد

٣ — أن الاعتماد هو ضغط هواء الرئتين على موضع اتصال الأعضاء للنطق .

٤ — أن الشدة إقفال المجرى الفموى فى طريق هواء الرئتين وإن انفتح مجرى الأنف .

٥ — أن الرخاوة تضييق المجرى الفموى تضييقا يسمح بحدوث أثر صوتى احتكاكى .

٦ — أن اللين والهوى هما توسيع مجرى الهواء مع تفاوت فى الدرجة .

٧ — يستعمل المخرج والموضع استعمالا واحدا .

٨ — الإطباق عنده ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى وعكسه الانفتاح .

ولا ينسى سيبويه أن يشرح فائدة دراسة الأصوات العربية بالنسبة لدراسة اللغة فيقول: « وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه . ومالا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه . وما تبدله استثقالا كما تدغم . وما تخفيه وهو بزنة المتحرك، ولكن لدراسة الأصوات فوائد أخرى أعم وأهم ، قد نبينها فى مقال آخر إن شاء الله .

دكتور تمام حسان .

أستاذ مساعد بكلية دار العلوم

(البقية على ص ١٠٧٦)

الموضوع وأن طعن قريش على النبى إنما كان يتناول مادة القرآن من حيث مصدره ومن حيث أغراضه فلا محل لدلالة (الآية) — على غير الآية الكلامية — فى هذا السياق .

سادسا : ومن ناحية أخرى لا يساعدنا الواقع التاريخى على أن النبى — صلى الله عليه وسلم كان يأتى بالآيات بمعنى المعجزات — ثم يبدلها فيرفع معجزة ويحل محلها معجزة أخرى . بل كانت سنة القرآن . أن يغلق فى وجوه السائلين باب الاستجابة لتنزيل الآيات الكونية وقد ثبت هذا المعنى فى مختلف سور القرآن قريبا من عشر مرات بأساليب مختلفة .

سابعا : وأيضا فإن المعجزة إذا وقعت فلا يمكن رفعها ولا تبديلها ، ومجىء آية أخرى أو معجزة أخرى لا يكون تبديلا لها ، بل يكون إضافة إليها ، أما الآية الكلامية فظاهر أن ترفع من موضعها ويحل غيرها محلها . وحسبنا هذه المعانى التى بيناها من وجوه دلالة الآية على النسخ ، وأظنبنا فيها ؛ لكى نقطع عن طريقها كل شاذ ، وكل تأويل باطل ؟

محمد سعاد جلال

١٠٨٥

كتابان غربيان

عن الإسلام والمسلمين

للدكتور محمد غلاب

١ — يقظة العالم الإسلامي للكاتب الألماني (فارنو) .

٢ — الإسلام والجزائر للكاتب الفرنسي بيير بونسوا .

أمامي الآن كتابان عميقان من أروع منتجات الفكر الغربي وأكثرها دقة ونزاهة وأحفظها على الروح العلمية وأحرصها على الحقيقة التاريخية ، لذلك رأيت أن أقف بك عند كل واحد منهما هنيهة لأطلعك على هذا اللون الذي يقضي الواجب الإسلامي قبل كل شيء بترجمته وإذاعته بين المسلمين ليروا كيف أن فريقا لا يستهان به من أفذاذ علماء الغرب ومفكريهم يكتبون عن الإسلام والمسلمين كتابة قيمة تشرف عقلياتهم . وتخلد أسماءهم وتسجل للإسلام عظمته وجلاله .

أما أول هذين الكتابين فعنوانه « يقظة العالم الإسلامي » تأليف الكاتب الألماني « فارنو » وهو كتاب عصري نشر في سنة ١٩٥٤ ويحتوي دراسة واسعة نزيهة مؤيدة بالمستندات القوية والأرقام الدقيقة تعقب فيها المؤلف بفطنة ملحوظة ، وحكمة ممتازة . ودقة فائقة ، وعناية تامة . أهم حركات البلاد الإسلامية ونهضاتها التاريخية في الجمهورية العربية المتحدة والهند وإيران وتركيا .

يشير المؤلف بديا في إلماعة تاريخية عاجلة إلى بناة العالم الإسلامي وتأليف كيانه ، ونمو امتداده الحربي والتجاري والسياسي والعقلي والعلمي ، يسجل في هذه الإشارة من مجد السلف ما يدفع الخلف إلى مواصلة الجهد ومضاعفة النشاط . وبعد أن ينتهي من تدوين ذلك الجلال التليد يقفز إلى أواخر القرن التاسع عشر فيشهدنا ثورة « عرابي » المفعمة بالإخلاص والشجاعة والوطنية والعزة والقومية ، والوقوف في وجه السلطة الطغيانية وسيرتها الاستعمارية . ثم ينزلق المؤلف إلى القرن العشرين ليصف ما اندلع فيه من ثورات العالم الإسلامي التحررية الباعثة على الإعجاب ، بل الإجلال ، وهو يمهد لتصويره هذا فيقول :

إن تلك المدنية العتيقة التي حسبتها أوروبا قد خضعت لها خضوعا أبديا ، قد استيقظت من سباتها ، ونفضت عن نفسها غبار العصور . ولا ريب أن العالم الإسلامي قد ظفر من هذه المدنية بمكانة ملحوظة ، ومكان عال ، إذ أنه يشبه أن يكون قارة قائمة بين أوروبا وآسيا ، ومن ثم فإن يقظة هذه القارة الضخمة التي تعدل سبع سكان الكرة الأرضية ، سيكون لها تأثير حاسم في تقرير مصير العالم ، ولذا يصح أن تنعت هذه اليقظة بعظمى ثورات القرن العشرين .

وأياما كان ، فإن المؤلف يجزم بأن الحربين العالميتين قد أعانتا العالم الإسلامي على تحطيم القيود التي كبله بها الاستعمار ، وتفتيت الإطارات التي أحاطه بها الظلم والطغيان وأتاحت له الفرص المواتية ، ليسترد مكانته الرفيعة ، ويستعيد منزلته العالية ، ويسترجع بمخالبه حقوقه من بين فكي الاستعمار .

ولقد اقتضت هذه الحركة التي تهدف إلى العودة للمنزلة الطبيعية ، وترمي إلى الظفر بالحقوق كاملة وثيقتين ممتزجتين لا سبيل إلى التفريق بينهما . وهما الوثبة الدينية والوثبة السياسية . وهنا يجزم المؤلف بأنه إذا حاول البعض الفصل بين النهضات الدينية والنهضات السياسية في الأديان الأخرى ، فإن ذلك بالنسبة إلى الإسلام غير ممكن . وهو يرى أن مصر والهند هما مصدرا الحركات الإسلامية الناهضة .

وبذلك يأخذ المؤلف في تحليل تلك الحركات النهوضية في دقة وتحديد وتقدير للأمور دون أن يحيد عن احترام الإسلام وقداسته ، وما اشتملت عليه أصوله وتعاليمه من الوسائل المثلى لتحقيق السيادة والسعادة ولا يقصد ألبته بالسيادة الطغيان واستعباد الغير ، أو الاستبداد بالأمم والجماعات أو الأفراد ، ولا يرمي من وراء السعادة إلى الرفاهية أو الميوعة ، وإنما أراد بهما معنييهما الفلسفيين والأخلاقيين اللذين هما على قمة الرفعة والسمو ، فقصد بالسيادة التحرر من عبودية الجشع والبهيمية ، فرض سلطان الروح على المادة ، وأراد بالسعادة سعادة الضمير والمجتمع . وبهذا ينتهي إلى أن هذا الدين يشتمل على جميع المثل العليا والمبادئ السامية التي لا نظير لها في أي دين آخر . والتي هي كفيلة بمنح أتباعه الحق في قيادة الأمم وتزعم الشعوب عن جدارة واستحقاق .

ومما يسترعي الانتباه أن المؤلف يعالج — في نزاهة وحيدة وصراحة — خطة العالم الغربي إزاء العالم الإسلامي ، ويبين ما اشتملت عليه تلك الخطة من الأنانية البغيضة وفقدان العدالة الذاتية بل فقدان المعالم الإنسانية

أحيانا مما يجعل الثورة فى مقدمة الأمور المشروعة ، بل الواجبة المحتومة .

وهو يسجل على الأخص أن تلك الثورات لم يكن يقدر لها النجاح لولا أنها مؤسسة على مشاعر داخلية غير قابلة للمقاومة ، سداها العبقرية ، ولحمتها الإيمان . وأن مصر قد ضربت الرقم القياسى فى هذا بثورتها الأخيرة : وهنا يقف المؤلف عند ثورتنا الحالية وقفة جاذبية وانعطاف ناشئين عن إعجاب ، بل إجلال ؛ لأنها تهدف إلى تطهير البلاد من نظام فاسد متعطن ، وترمى إلى تحريرها من استعمار بغيض متعسف ، ولأنها وضعت أمور البلاد فى أيدى أبنائها الحقيقيين .

وما أبدع إلحاح المؤلف هنا على أجنبية الأسرة البائدة وجهلها التام بدين البلاد ولغتها وأخلاقها ، وتقاليدها ، وعرفها ، وتراثها الأدبى . وقوامها الروحى ، وإلحاحه كذلك فى أن الضباط الأحرار هم من صميم الشعب وأعماقه إلى حد أنه يجزم فى رشاقة أن وجوه الكثيرين منهم تذكر المرء بوجوه التماثيل القائمة فى دار الآثار المصرية .

ولا يفوت هـــذا المؤلف أن يسجل أن ثورة ٢٣ يونية كانت ثورة سلمية هادئة ، جديرة بأرقى المدنيات وأسماها . ولا غرو ، فهل هناك مدنية أسمى من مدنية مصر ؟ .

وأخيراً يختتم بحوثه بملاحظات عامة يؤكد فيها أن الإسلام يتفق أكثر من المسيحية مع الأنظمة الزمنية الصالحة للحكومات والمجتمعات ، وأن الإسلام فى جوهره فوق الأوطان والقوميات ، وأنه يلعب دور عنصر الجمع والتأليف والتنميم ، ولا ريب أن هذه هى غاية المؤتمر الإسلامى وهدفه الأعظم .

* * *

أما ثانى هذين الكتابين فعنوانه : « الإسلام والجزائر » تأليف الكاتب الفرنسى المعاصر « بيير بونسواى » والجزائر فى عرف أولئك المؤلفين الذين تناولوا هذا الموضوع بالدرس والبحث هو : شىء مادى رمز به لسر سماوى لم تكشف حقيقته إلا لصفوة ممتازة اختارتها العناية الإلهية من بين أهل الأديان السماوية ، وأماطت عنها الحجب والأستار فتبينت أن ديانتها إذا لم يلحقها التحريف الذى يؤدى إلى الانحراف ، فإنها ستجد أن مصدرها كلها واحد لا يقبل التعدد ولا التغاير على أى نحو من الأنحاء ، وأن أتباعها جميعهم إخوة نشئوا من أصل واحد ووجهوا من لدن السماء إلى غاية واحدة . وبالتالى سيجدون فى مبادئ هذه الديانات دعوة حارة إلى المحبة والوئام والسلام ، وإلى إذعان الأخ الأقل علماً ونوراً ، لنصيحة الأخ الأعلم وإرشاده .

ويقرر هذا المؤلف أنه قد وجدت بالفعل فى العصور الوسيطة هذه الصفوة الممتازة

من أهل الأديان السماوية ، وأنها قد تيقنت من أن الإسلام هو أرشدها وأحكمها ، وأنه هو المنوط بزعامتها وقيادتها إلى الخير وأنه بالتالى هو الذى يجب أن يخطو الخطوة الأولى نحو الوئام والسلام ، وأنه قد قام أثناء عدة قرون فى هذا الوئام بدور الملهم والمرشد ، وأن تلك الصفوة - على اختلاف أديانها فى الظاهر - كانت مقتنعة برسالة الإسلام فى هذا المضمار : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله » .

ولقد كانت هذه الصفوة تنظر إلى الإسلام على أنه جماع النبوة العالمية وأنه هو النبوة التشريعية الأخيرة التى ستسود قبل نهاية الزمن ، وأن النبى محمدا هو خاتم النبيين وأنه تلقى من السماء جوامع الكلم . ومن ثم فإن الإسلام يشتمل على وسائل روحية لأنواع من التجاوب الخاص مع الصور الفطرية الأخرى التى تندرج مع مؤسسيها - كموسى وعيسى - فى نظام إسلامى كلى رفيع من أنظمة الكون ، ومن ثم أيضا كان الإسلام هو الوسيط الكونى .

هذا الكتاب هو حلقة من سلسلة مؤلفات غربية حديثة اتجه مؤلفوها لأمر ما ، إلى الدراسات الفطرية ، وهى تفسح بين صفحاتها أمكنة واسعة تتحدث فيها عن الفطرة التى فطر الله الناس عليها حديثا كله احترام وإجلال ، ولما كانوا قد تبينوا من بحوثهم الطويلة المستأنية أن الإسلام هو دين الفطرة بالمعنى الكامل لهذه العبارة ، فقد اختصوه بالصدارة فى هذه البحوث ، ولكن ينبغى أن نعلم أن هذه الدراسات لا تعنى بالإسلام لتحكم عليه من نواحيه الظاهرية ، بل هى تنشغل به من تلك الوجهة الخاصة التى يتضح فيها أن الإسلام - بوساطة رسالته الفوق الطبيعية التى تعرضها تعاليمه المحبوكة عرضا وافيا - مستعد لتلقى جميع صور الإيحاءات الحقيقية ، والإلهامات العلوية ، وإنه يستطيع أن يؤول جميع النصوص السماوية والرمزية لكى يوفق بينها فى مراميها الرفيعة ، ويدخلها فى نظام إسلامى يمكن أن يشمل إطاره الكون بتمامه .

ولا ريب أن هذا التعبير من جانب مؤلفنا عن « إطار الإسلام الشامل للكون بتمامه » قد ذكرنا بعبارة الأستاذ ماسينيون فى كتابه : « محاولة حول أصول المفردات الاصطلاحية للتصوف الإسلامى » حيث يقول ما نصه :

« إنما بفضل التصوف كان الإسلام ديناً دوليا وعالما . إنه دون بفضل الأعمال التقية التى قام بها الصوفية فى زياراتهم لبلاد غير المؤمنين ، أى بفضل المثل الرائع الذى قدمه

نساك المسلمين من شيوخ الطرق الكبرى، والشطرية، والنقشبندية الذين كانوا يتعلمون لغات الهنود. وسكان جزائر الهند الشرقية، ويتدمجون في حياتهم. هذا المثل هو الذي هدى أولئك القوم إلى الإسلام أكثر مما فعل الغزاة، وإنه عام؛ لأن الصوفية هم أول من فهموا الأثر الخالد الفعال للدين الحنيفي، وهو وجود توحيد عقلي طبيعي لجميع بني الإنسان».

ونحن نحسب أن شهادة الأستاذ ماسينيون بأن «الأثر الخالد الفعال للدين الحنيفي هو وجود توحيد عقلي طبيعي لجميع بني الإنسان» هي شهادة لا يستهان بها، بل هي قيمة لا ينبغي الإغضاء عنها.

ومن ذلك أيضا ما حدثنا به المستشرق الهولندي سنوك هورجرونج في كتابه «سياسة هولاندا تجاه الإسلام» إذ يقول:

«إن الإسلام بفضل تصوفه قد وجد وسيلة صعوده إلى مكانة مرتفعة يستطيع منها أن يرى أبعد من الآفاق الخاصة. أي أن هذا التصوف مشتمل على شيء من دولية الدين».

ومما هو جدير بالعناية أن مؤلف هذا الكتاب يلح في أن يبرز للعيان أن فكرة انحراف الغرب عن جادة الصواب، وفكرة ابتعاده عن كل ما هو إلهي ابتعاداً تزداد فداحته على مر الأيام، قد جعلتا تتضحان لدى الصفوة الغربية لاسيما منذ ظهور «رينيه جينون» (الشيخ عبد الواحد يحيى)، وإن كان ذلك لا يمنع من أن يكون هذا الانحراف قد بدأ يظهر للمستنيرين من الغربيين منذ العصور الوسيطة كما يشير إلى ذلك هذا الكتاب حين يحدثنا عن أقصوصة انتقال السر السماوي من الغرب إلى الشرق مقره الحقيقي بعد أن عجزت أوروبا عن الاسترشاد به، والإفادة منه بإعلان انحرافها عن النظام الكوني والفطرة العامة اللذين كان الواجب يقضي عليها بأن تظل وفية لهما لو أنها اتبعت كتابها السماوي الحقيقي.

ولا يفوتنا قبل أن نغادر هذا المجال أن نشير إلى تلك الفكرة الضالة التي سجلها ذلك الكاتب العصري المضحك والتي رد عليها الأستاذ العقاد في العدد السابق من مجلة الأزهر بما فيه الكفاية، والتي لا نتعرض لها إلا من ناحية أن «الشيء بالشيء يذكر»، كما يقولون، والتي مؤداها «أن الشيوعية غزوة جديدة تهدد العالم الغربي في كيانه كما هدده الإسلام في القرن السابع الميلادي... وأن خطة ستالين في تشييع الثورة الآسيوية وزعمائها على قبول الشيوعية ليست إلا تكراراً لخطط القادة الآسيويين أمثال: محمود الغزنوي، وطغرل بك، وألب أرسلان. وأن هذه الخطط جميعاً تعتمد على سلاح الدولة وسلاح

العقيدة ، وتتخذ العقيدة أحيانا وسيلة لطلب السياسة ، كما تحل السياسة أحيانا أخرى وسيلة لطلب العقيدة » .

ونحن لا يسعنا إلا أن نقول لهذا المؤلف : إن المدققين من العلماء والباحثين الغربيين أمثال الأساتذة : ماسينيون ، وسنوك هورجرونج ، وبيير بونسراى قد أجمعوا على أن الإسلام لم يغز العالم القديم بالعنف ولا بالقسر ، بل غزاه وسيغزو العالم الحديث أيضا بالفضائل العالية ، والمبادئ السامية ، والمثل الرائعة . فينبغى — إذا كنت تكتب لوجه الحقيقة فى ذاتها — أن تحذو حذو بنى جلدتك من النزهاء ، ولا تتبع الأغراض والأهواء ، فتضلك عن سواء السبيل .

يبين مما تقدم أن هناك نوعين من الكتب يعرضان للإسلام والمسلمين ، وأن أحدهما لا يساوى فى السوق العلمية الورق الذى يكتب عليه ، ولكن مؤسسات الدعاية السياسية الثرية النشيطة تنشر هذه الكتب بين ظهرانينا ، وترغمنا — بعوامل الحياة المختلفة — على قراءتها ، فيتأثر بها البسطاء والأبرياء من مواطنينا تأثرا وخيم العاقبة .

والنوع الآخر هو هذه الكتب القيمة الدقيقة أمثال الكتابين اللذين تناولناهما هنا . وهذا النوع لا يكاد يجد مشجعا ولا نصيرا ، رغم أن أبسط الواجبات يقضى بتشجيعه والعمل على نشره بين ربوع المسلمين بكل الوسائل الممكنة .

والآن — وإلى أن تتم يقظة الأمة الإسلامية ويتنبه المهيمنون على الثقافة إلى هذا الخطر — ينبغى أن نقرر أن جميع هذه النماذج من الكتب الغربية التى تسجل سمو الإسلام ، يجب أن تعتبر كتبا نافعة لا يصح لنا نبذها أو إهمالها ما دام أنها تبرز ناحية من نواحى هيبة الإسلام . وجانبا من جوانب عظمته الباهرة أمام العالم الحديث .

الدكتور محمد غلاب

الإسلام والمسلمون فى أمريكا

للدكتور محمود يوسف الشواربى

إن المسلمين فى الولايات المتحدة ليسوا مركزين فى ولاية بعينها من مختلف الولايات الأمريكية التى يبلغ عددها ٥٠ ولاية، ولكنهم موزعون على عدد كبير من الولايات فى مختلف أنحاء أمريكا، ومن الطبيعى أنه كلما وجدت مجموعة منهم فى مدينة من المدن فإنها تأخذ فى إنشاء جمعية إسلامية ترعى شئونهم وتقوى من أواصر المودة بينهم وتنهض بالصالح العام للمجموعة دينيا واجتماعيا وماديا.

ومن الأمثلة التى يسوقها على ذلك مدينة نيويورك نفسها. فهذه المدينة بالذات تعتبر كبرى المدن الأمريكية ويقطنها حوالى عشرة ملايين من الناس. ولهذا فإنه لا غرابة أن نرى بها ما يزيد على بضع وعشرين جمعية إسلامية.

بيد أنه يجب أن نذكر هنا أن كل جمعية من هذه الجمعيات ترعى مصالح المسلمين من أبناء دولة من دول العالم الإسلامى، ولهذا السبب اتجه التفكير إلى إنشاء مجلس إسلامى ينسق الجهود بين هذه الجمعيات المختلفة.

ولقد انبعثت الفكرة نفسها حيث تنشأ مجالس إسلامية فى المدن الكبرى التى توجد بها أكثر من جمعية إسلامية واحدة وأن ينسق النشاط العام لجميع مسلمى أمريكا عن طريق اتحاد عام لهذه المجالس الإسلامية على أن يشمل إلى جانب ذلك الجمعيات الإسلامية الفردية الموجودة فى مناطق مختلفة من الولايات المتحدة.

ولقد تم بالفعل قيام هذا الاتحاد العام الذى لا يشمل الجمعيات الإسلامية فى الولايات المتحدة فحسب بل يشمل الجمعيات الإسلامية فى كندا كذلك ولقد أخذ هذا الاتحاد العام يقيم مؤتمرات إسلامية سنوية فى كبرى المدن الأمريكية

ولقد كان للسيد عبد الله عجرم الفضل فى تنظيم الاتحاد العام للجمعيات الإسلامية وعقد أول مؤتمر للمسلمين فى المدينة التى يقطنها وهى مدينة (سيدار رابيدز) بولاية إيوا التى لا تبعد سوى ٨٠ ميلا غربى نهر المسيسبى الشهير الذى يشبه نهر النيل فى كثير من الوجوه.

ويرجع الفضل إلى السيد عجرم فى تكتيل الجالية الإسلامية المحدودة العدد فى ولاية إيوا ثم وجه بعد ذلك عنايته نحو جمع شمل

المسلمين وتنظيم نشاطهم فى اتحاد عام يحفظ عليهم كيانهم ، ولقد تم ذلك بالفعل ووجهت الدعوة لعقد أول مؤتمر إسلامى فى أمريكا فى مدينة (سيدار رابيدز) فى يوم ٢٨ يونيو سنة ١٩٥٢ وحضره حوالى ٤٠٠ مسلم من مختلف أنحاء الولايات المتحدة وكندا وانتخب السيد عبد الله عجرم رئيسا لهذا المؤتمر وظل يوالى نشاطه حتى تم عقد المؤتمر الإسلامى الثانى لمسلمى الولايات المتحدة وكندا فى شهر يوليو سنة ١٩٥٣ بمدينة (توليدو) بولاية أوهايو .

ولقد عقد المؤتمر الإسلامى الثالث بمدينة شيكاغو وذلك فى شهر يوليو سنة ١٩٥٤ وحضره ما يقرب من ألف مسلم من مسلمى أمريكا وكندا . ولقد دعيت كعضو شرفى فى هذا المؤتمر . وهناك تناقشنا حول وجوب إنشاء اتحاد عام للجمعيات الإسلامية فى الولايات المتحدة وكندا ، وتم وضع القانون التأسيسى لهذا الاتحاد . وتم انتخاب السيد عبد الله عجرم أول رئيس له .

ولقد أصدر ذلك الاتحاد فى ذلك العام بيانا بدستوره جاء فيه (ومن أهداف الجاليات الإسلامية فى أمريكا تنفيذا لأوامر القرآن الكريم : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » ، تعلن إنشاء اتحاد الجمعيات الإسلامية فى الولايات المتحدة وكندا .

والمسلمون حيث يكونون فى أى عصر يعيشون مسئولين أفراداً وجماعات عن تعليم أنفسهم وتدريبها على اتباع المثل العليا الإسلام ونشرها ، وهذه المثل هى العزة والكرامة ، وتقدير قيمة جميع أفراد البشر وإشاعة الحب والأخوة بين جميع الناس .

من ذلك يتضح جليا أن قيام الاتحاد العام للجمعيات الإسلامية فى الولايات المتحدة وكندا . قد عقدت عليه آمال كثيرة فهو المؤسسة الوحيدة الدائمة التى تتكون من جميع الجاليات الإسلامية التى تتألف من المواطنين الأمريكيين أنفسهم والتى يمكن عن طريقها نشر الثقافة الإسلامية على أوسع نطاق ممكن بين المسلمين والأمريكيين ، وتوطيد العلاقات بين مسلمى مختلف الولايات الأمريكية ، وكذلك بينهم وبين إخوانهم فى العالم الإسلامى .

ويمثل الاتحاد العام للجمعيات الإسلامية فى الولايات المتحدة وكندا جاهدا على النهوض بالنواحى الدينية والثقافية والاجتماعية للمسلمين فى تلك البلاد والعمل على نشر التراث الإسلامى وتفسير تعاليم الإسلام وشرحها وبيان مبادئه السامية التى يشترك فيها مع الأديان الأخرى لزملائهم من غير المسلمين من الأمريكان .

ولقد عقد الاتحاد مؤتمره الرابع فى لندن بولاية أوستاريو بكندا حيث انتخب السيد

حسن ابراهيم رئيسا له وهو شاب ممتاز ولد في أمريكا من أب مسلم لبناني مهاجر وأم إيطالية ، ويعمل الآن محاسبا بمدينة (سوث بند) بولاية انديانا . وقد عمل ضابطا بالجيش الأمريكي قبل ذلك لمدة عشرة أعوام.

ولقد عقد المؤتمر الخامس للاتحاد في ولاية سنة ١٩٥٦ بمدينة نيويورك ، كما عقد مؤتمره السادس في مدينة ديترويت بولاية ميتشجان ، وذلك في شهر يوليو من عام ١٩٥٧ حيث انتخب الأستاذ قاسم علوان رئيسا للاتحاد في ذلك العام وهو من مواليد أمريكا ويعتبر والده السيد أحمد علوان من أوائل المهاجرين المسلمين حيث ترك لبنان عام ١٩٠٢ واستقر بمدينة آشلند بولاية كونتكي بأمريكا . ولقد خدم السيد قاسم في الجيش الأمريكي إبان الحرب العظمى الثانية ثم عاد فأتم دراسته الجامعية حيث حصل على درجة البكالوريوس في إدارة الأعمال . ولقد زاول عدة أعمال مختلفة بعد انهاء دراسته ثم استقر به المقام أخيراً في مدينة توليدو بولاية أوهايو . حيث افتتح مطعما كبيراً يديره بنفسه .

ولقد عقد الاتحاد مؤتمره السابع في يوليو سنة ١٩٥٨ بمدينة واشنطون حيث أعيد انتخاب السيد قاسم علوان رئيسا للاتحاد للمرة الثانية .

وأما المؤتمر الثامن للاتحاد فقد عقد خلال شهر يوليو سنة ١٩٥٩ في مدينة بتشمان بولاية إنديانا وقد حضره ما يزيد على ألف مسلم من مختلف أنحاء الولايات المتحدة وكندا وانتخب السيد محمد خليل رئيسا للاتحاد .

ويعرف السيد محمد خليل بين إخوانه بدماثة خلقه ، وهو شخصية محبوبة وقد وفدت أسرته من لبنان في أوائل هذا القرن ولها بها المقام في مدينة ديترويت بولاية ميتشجان والرئيس الحالي للاتحاد موظف ببلدية ديترويت ويبلغ من العمر ٣٦ عاما وهو من كبار الرياضيين المعروفين في تلك المدينة .

ولقد عقد الاتحاد مؤتمره التاسع في أستاريو بكندا وأعيد انتخاب السيد محمد خليل رئيسا للاتحاد للمرة الثانية .

وفي صيف العام الماضي أي شهر أغسطس عام ١٩٦٠ استضافت الجمهورية العربية المتحدة كلا من السيد قاسم علوان والسيد محمد خليل وهما الرئيس السابق والرئيس الحالي للاتحاد العام للجمعيات الإسلامية في الولايات المتحدة وكندا حيث شاهدا أهم المنشآت والهيئات الإسلامية في كل من إقليمي الجمهورية .

كما أقامت لهما جمعية التعارف الدولي بالإسلام حفلة استقبال حيث تعرفوا خلالها على أعضاء الجمعية بالقاهرة وقابلوا الكثيرين

(البقية على صفحة ١١٠٧)

لها معجز إن تأملته
فما سر إعجازه مبلس[1]
أما العود من قبلها أخرس
وفى يدها ينطق الأخرس
كأن المدامة من لحظها
ونار الغرام بها تقبس

ولا يخرج القاضى الفاضل فى تشبيهاته الغزلية عما ألفته العربية من التشبيهات ، ولكنه فى كثير من الأحيان يحور ويولد ، حتى يصبح التشبيه طريفا مقبولا ، وها هو ذا يشبه وجه من يحب بالهلال ، فيميل به عن الطريق المألوف ، ويقول :

قلت إذ قلّب المدلل وجها
طالبا من سمائه شوالا
وعيون الرائين قد أبصروه
فتناسوا به الهلال ، وهالا :
خذ مراة ، وانظر محياك منها
يبد منها السحاب منك هلالا

وهكذا يجرى القاضى الفاضل فى أكثر تشبيهاته فى الغزل .

ولا يفوتنى قبل أن أتم فصل غزله أن أشير إلى أمنية تمناها ، ودفعته إليها رغبته فى قرب حبيبه ، فكان ذلك سبباً للدعاء عليه ، فقد تمنى ، وحبيبه مريض ، أن يكون أحد مضاجعه ، وألا تفارق الحمى حبيبه أبدا ، فقال :

ألا ليتنى إحدى مضاجع سُقّر
وياليتها ليست تجافى له جنبا

(البقية فى العدد القادم)

الدكتور أحمد أحمد بدوى

(١) أبلس : يئس وتحير .

(بقية المنشور على ص ١٠٩٣)

من قادة الفكر الإسلامى وتناقشوا معهم فى رسالة الجمعية وكيف يجب أن توالى هذه الرسالة الإنسانية حتى تتأكد الصلة بين المسلمين فى بلاد العالم الإسلامى وبين إخوانهم المقيمين فى أمريكا .

ولعله يسر القارئ الكريم أن المؤتمر التاسع للاتحاد قرر أن يعقد مؤتمره العاشر فى يوليو من عام ١٩٦١ بمدينة القاهرة وستنظم رحلة جوية لجميع أعضاء المؤتمر من الولايات المتحدة إلى القاهرة حيث يعقدون مؤتمرهم وينزلون ضيوفا على الجمهورية العربية المتحدة ثم يزورون بعد ذلك أهم مدن دول الشرق العربى وخصوصاً الأماكن المقدسة فيها وبالأخص مكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس فلا يسعنا إزاء ذلك إلا الترحيب بهم فأهلا بهم بين ذويهم وسهلا بهم داخل أراضيهم .

الدكتور محمود يوسف الشوارى

مصر وفلسطين كانتا وحدة

للأستاذ حسن عبد العزيز نصر

الوزير اليازورى

كانت بلاد الشام أيام الفاطميين - وبخاصة فلسطين - تابعة لمصر ، فكان يحمل خراجها إليها ، وتعد ولاية من ولاياتها ويعد أبناؤها مصريين لهم ما لإخوانهم المصريين ، وعليهم ما عليهم ، لا يقف حائل يحول دون تحقيق طموحهم وترقيتهم فى المناصب الحكومية ، فالقاضى الفاضل ، وقاضى القضاة أبو الفرج النابلسى والصلاح الصفدى ، استطاعوا أن يصلوا فى مصر إلى أرقى المناصب الحكومية ولكنهم كانوا فى نجاحهم دون أبى محمد الحسن بن على بن عبد الرحمن اليازورى ، ذلك الوزير الخطير الذى استطاع أن يرقى إلى رتبة الوزارة وأن يلقب بأرفع الألقاب ويعطى أفضل النعوت » .

واليازورى هذا منسوب إلى يازور [1] . إحدى قرى فلسطين على الساحل ، ولد هذا الوزير فيها حينما كان أبوه متولياً قضاءها ، فلما مات خلفه فى منصبه ، ثم عزل ، فسافر للحجاز وأدى الفريضة ، ثم قصد مصر وسعى لدى قاضى القضاة فيها ليعود إلى مكانه فى بلده فلم ينجح ، وفى هذه الأثناء وصل إلى عدة الدولة الأستاذ رفق أمين سر والدة الخليفة المستنصر ، فأعانه وأدخله دار القضاء ولما قتل أبو سعد التسترى ، متولى أمور أم الخليفة ، أشار عليها رفق باليازورى ففعلت ، وجعلته مدير خاصتها ووزيرها المستشار فى كل أمورها ، فتوطد مركزه وقوى حزبه ، ؛ وفى هذه الأثناء عزل قاسم ابن عبد العزيز بن النعمان المغربى عن القضاء بمصر ، فخشى الجرجرائى الوزير من اليازورى أن يقوى أمره فيأخذ الوزارة منه فعزم على أن يشغله بالقضاء ، فأحله محل القاضى المعزول ، على أن يظل أيضاً مدير خاصة والدة الخليفة .

وما زال يرتفع مقامه ويعلو صيته إلى أن دعى ليتولى الوزارة حينما صرف عنها الوزير أبو البركات الجرجرائى ، فلم يقبلها لأن الأمور كانت حينئذ مضطربة ، وكانت الفوضى شاملة الدواوين والإدارة الحكومية ، فعين غيره وزيراً بالنيابة ، حتى يجد الخليفة حلا

(١) تقع هذه القرية بين يافا والرملة . وهى الآن آهلة بالسكان .

لانفراج الأزمة الوزارية المستحكمة ، وكان بين القبائل العربية والمغاربة وحشة وجفوة ، وكان يمثل القبائل العربية فى بلاط الخليفة رجل عربى من بيت ملك شامخ ، هو ناصر الدولة الحمدانى خشى ناصر الدولة [1] - إن طال الزمن على فراغ الوزارة - أن يعين فيها رجل يكون مناوئاً لمصالح العرب . فشجعه على قبولها وأرسل إليه الرسل يحثه على ذلك ، وبعد لأى وتردد قبلها اليازورى فى سنة ٤٤٢ هـ ، فخلع عليه ولقبه بالألقاب التشريفية ، فنهض فيها نهضة مباركة ، واستطاع أن يرد العدل إلى نصابه والأمور إلى مواضعها .

وكان اليازورى يحافظ على كرامة الخلافة وعلى شرف المنصب الذى يتقلده . وقد جرت العادة فى زمنه على أن كل رسالة يتلقاها الوزير الفاطمى من البلاد التابعة لمصر ، تمهر مع اسم مرسلها بكلمة (عبدكم) ، فكانت ملوك الأطراف توفيه حقه من التبجيل ، ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا المعز بن باديس الصنهاجى أمير إفريقية ، فقد أرسل إليه رسالة مهرها بكلمة (صنيعتكم) . فغضب اليازورى منه ، وراجع سفير المعز بالقاهرة بشأن رسالة مولاه . فلم تجد مراجعته نفعا ، وأصر الصنهاجى على شق عصا الطاعة حتى كاتب الدولة العباسية يعلن لها الدعوة فى المغرب . فلما تحقق اليازورى من خيانة الصنهاجى وأن خطره قد استشرى ، بعث إلى زغبة ورياح (وهما قبيلتان عربيتان كانتا تحلان إفريقية) ، هدايا وطرفاً ، وأموالا كثيرة ، وأصلح بينهم ووحد صفوفهم وجمع كلمتهم وأمرهم بمناجزة الطاغية الصنهاجى ، فقاموا بما أمرهم به خير قيام وطاردوا الصنهاجى من مكان إلى مكان ، وهو كالظليم المذعور يفر من مربض إلى مربض حتى ألجأوه قهراً إلى المهدية [1] . وسبيت نساؤه وشتت جمعه ، وأخذت أمواله إلى القاهرة فوزعت على الفقراء . وطيف بغلمانه فى الشوارع لإدخال الرهبة فى نفوس من تحدثه نفسه بالانتقاض على المملكة ، وبعد قليل من هذا الانتصار العظيم تمرد بعض قبائل العرب فى البحيرة ، فسير إليهم اليازورى ناصر الدولة ، لثقته به ، ولكونه عربيا - فسار ناصر الدولة للبحيرة . يقود جيشاً كثيفاً ، وكان حاشدوه كثيرين وجلهم من المغاربة والمرتزقة والأتراك والسودان ، وكانوا يسعون للقضاء

(١) ناصر الدولة هذا ، غير ناصر الدولة صاحب الموصل ، هذا وقد قتل ناصر الدولة « الفاطمى » شر قتلة إذ هاجمه الأتراك وهو جالس فى صحن بيته متلفعا بالعباءة وبادروه بالسيوف حتى قضوا عليه .

(١) المهدية ، هى التى اختطها المهدى ، مؤسس الدولة الفاطمية ، وتقع الآن فى تونس .

عليه . فأرجفوا فى المدينة أن العساكر أبيدت ، وأن المتمردين قادمون للقاهرة ، فاضطرب الناس ، واستعدوا للطوارئ ، وانتشر الخوف فيهم ، ولكن اليازورى ظل هادئاً لم تحركه العواصف الهائجة ، ولم يثر روعه ماأرجف به شانئوه ، وإنه لجالس فى حديقة قصره وإذا بالحمام الزاجل يسقط بجانبه يحمل خبر انكسار بنى قرة فى كوم شريك[1] انكساراً فاحشا فركب اليازورى لساعته ليخبر القصر الملكى بالانتصار ، فاستقبله المستنصر فرحا مسروراً ، لما علم بخذلان العصاة ولكى يمحو ما علق فى ذهن العامة من أراجيف المرجفين ، أصدر رقعة تشتمل على تفخيمه وتزيد فى ألقابه ، فكان منها أن قطعت قول كل مبغض .

فى هذه المدة كان الفساد ينخر جسم الخلافة العباسية العليلة . وكانت دولة آل بويه تحتضر ، فانتهز أحد مماليكها ويسمى البساسيرى ، ونازع آخر ملوكها السلطنة ، ونصب نفسه أميراً الأمراء ، ولم يكن الخليفة راضيا عن البساسيرى لاسيما حين علم الخليفة بأنه يكاتب الفاطميين سراً ليقيم لهم الدعوة فى بغداد ، واستغل السلجوقيون هذه الفرصة . فهجموا على دار البساسيرى ، وأعملوا فيها السلب والنهب ، وحوكم ونفى فى بغداد ، وحرم عليه دخولها فاستشاط غضبا وقصد الشام . فاجتمع لديه كل ناقم وانضم تحت لوائه كل موتور ، فأعلن الثورة على الدولة العباسية ، وكان اليازورى فى ذلك ، ولكن اليازورى كان يتصف بهدوء الأعصاب والتزمت والحذر - وهى صفات لازمة لكل زعيم - فلم يندفع وراء شىء غير مضمون العاقبة ، بل تردد وأحجم عن الجواب حتى وجد الأمر حقيقة لاشك فيها ، فطمع حينئذ فى أن تقوم الدعوة لمولاه فى عاصمة العباسيين ، وسير حينئذ إليه الأموال الكثيرة والجنود فعظم أمر البساسيرى بهم واستشرى خطره على الدولة العباسية .

وزحف قاصداً فتح بغداد فخرج إليه السلجوقيون يمنعونه فما أن التقى الجمعان حتى انكسر شوكتهم ، وما هو إلا أن بغداد فخرج منها طغرل بك تابع الزحف بقوة عظيمة من المصريين والسوريين والفلسطينيين ، فافتتحها عنوة فى أوائل ذى القعدة سنة ٤٥٠هـ بعد معارك دامية كان القتال فيها بين الفريقين ليل نهار وأعلن البساسيرى - أى البساسيرى - حينئذ خلع الخليفة العباسى وأعلن إقامة الدعوة الفاطمية ، ثم تابع الفتح وإقامة الدعوة فاستولى على واسط والبصرة ، وأرسل شعار الخلافة إلى الخليفة الفاطمى ، واستقر

(١) اسم مكان فى البحيرة وقعت فيه هذه المعركة الفاصلة .

له الأمر في المشرق والمغرب السكة باسم الفاطميين . وهكذا استطاع الوزير اليازوري بواسطة البساسيري وغيره أن يقيم الدعوة لسيده على منابر المشرق والمغرب وأن يضرب بمقامع من حديد ، على يد كل من تحدثه نفسه بالثورة . واستقامت الأمور له وهدأت أحوال المملكة ، إلا أن الوزير اليازوري كان محسوداً وحساده كثيرين ، وكانوا من طوائف عدة وجنسيات متباينة ، كان محسوداً من المغاربة بطانة الفاطميين ، وكان محسوداً من الأتراك ، وهم الوصوليون الذين يأتون على غيرهم ما يريدونه لأنفسهم .

وكان مبغوضاً من السودان ، أخوال الخليفة لأنه لم يفضلهم على غيرهم ، وهكذا تألبت عليه هذه الفرق لتحط من قدره ، وتنزله من دست الحكم ، ودأبت على دس الدسائس وصنع المؤامرات ، وترويج الوشايات ، حتى صدق المنتصر فأقلعه عنه ، ولم يبق عليه إلا أن ينتقم منه ، بعد أن وثق به مدة تسع سنوات خدمه فيها اليازوري أجل الخدمات فجعل مملكة شامخاً والأمن فيه موطداً ، فاتهمه بأنه يراسل طغرل بك السلجوقي ، ويحسن له المجيء لهدم الدولة الفاطمية ، كما ألصق به تهمة إرسال الأموال الفاطمية إلى القدس والخليل بفلسطين(١) .

فقبض عليه في أول المحرم سنة ٤٥٠ هـ وأبعده مع زوجاته وأولاده إلى (تنيس(٢)) حيث ظل محبوساً فيها حتى أنفذ إليه الخليفة سيافاً قطع رأسه ، ثم أرسلت جثته إلى القاهرة فألقيت في مزبلة ثلاثة أيام ، أخرج بعدها وغسل وحنط وكفن ودفن ، وهكذا

---

(١) قامت الدعوة الفاطمية في بغداد حين فتحها البساسيري ، ولا معنى لأن يقيم البساسيري الدعوة الفاطميين ، بدون أن يكون مبعوثاً منهم محارباً بعالمهم ورجالهم خاضعاً لأمرهم .

(٢) كانت تنيس قديماً مدينة كبيرة ، ومقامها في الوجه البحري قريباً من دمياط ، ولما ولي مصر عنبسة بن اسحق الضبي الخارجي الثغر الورع - وكان مكروهاً من الرعية لورعه - . . نزل الروم دمياط يوم عرفة سنة ثمان وثلاثين ومائتين فملكوها وما فيها وقتلوا بها جماً كثيراً ، وسبوا النساء والأطفال وأهل الذمة ، فنهض إليهم الوالي في نحو من جيشه مع جمع كبير من الناس ، فلم يدركوهم ، ومضى الروم إلى تنيس فأقاموا بأشتومها ، فلم يتبعهم عنبسة ، : فقال يحيى ابن الفضل للمتوكل :

أترضى بأن يوطا حريمك عنوة
وأن يستذل المسلمون ويحربوا
حمار أتى دمياط والروم وثب
بتنيس منه رأى عين وأقرب
مقيمون بالأشتوم يبغون مثلها
أصابوه من دمياط والحرب ترتب
فلا تلسنا إنا بحار مضيعة ،
بمصر ، وإن الله قد كاد يذهب

ذهب اليازورى ضحية إخلاصه لمولاه . وكان الساعى فى ذلك أخلص أوفيائه وأصفيائه ونعنى به البابلى الوزير الذى خلفه فى منصبه .

وقد أجمع المؤرخون على أن توليـــة اليازورى الوزارة كانت رحمة على المصريين الذين كانوا هـدفا لكل طامع فى ثروتهم ، فعم فى زمنه الرخاء ، وزالت الشدة التى كانت مخيمة على البلاد قبل حكمه .

يقول الدكتور حسن إبراهيم حسن « وبعد زيارة نصرى خسرو بقليـل حلت بالقاهرة الأيام السيئة ، وعاودتها المصائب التى لم تشعر بها قبل قرن من تأسيسها وقبض على نواصى العناصر المتألبة المعادية فى هذه الأثناء الوزير اليازورى مدة تسع سنين ، وبذل قصارى جهده فى معالجة خطر المجاعة التى كانت تهدد البلاد ، تلك المجاعة التى يصحبها غالبا الوباء والبؤس العام ، وما يتبع ذلك من الفوضى والجرائم ووجد اليازورى فى مخازن الغلال التى كان مستولياً عليها ما أبعد ذلك الخطر مدة حياته ، غير أنه بعد قتله بقليل لم يكن هناك من يقف فى وجه هذه العناصر المتفاقمة . ويبين لنا مبلغ تزعزع مراكز الحكومة بعد قتل اليازورى ، ما كان من تعاقب أربعين وزارة مختلفة فى تسع سنوات » .

وزيرها اليازورى فأمرته بذلك ، (بتفضيل البعيد على الأتراك) ! ! فلم يقبل وساس الأمور أحسن سياسة ، إلى أن قتل ، ووزر بعده البابلى وأمرته بذلك فأخذ بأسباب ما أمرته به ، فتغيرت نياتهم وصار فى قلب كل طائفة من الأخرى إحن ، فكانت بذور الخراب » (١) .

° ° °

هذا هو وزيرنا اليازورى الذى سعى لكى يوحد الأقطار العربية بزعامة مصر ، وكان ذلك قبل تسعة قرون فلم يكتب لعمله التمام .

حسن عبد العزيز نصر

---

(١) فى ابن ميسر ص ١٠ أن البابلى سعى فى قتل اليازورى كل السعى ، وقابل إحسانه بهذا الجزاء ، ويقال : إنه جرد إليه من قتله بغير أمر المستنصر ، فلما اطلع الخليفة على ذلك أنكره وحقد على البابلى ، وعزله بعد شهرين من توليته الوزارة .

وفى ابن منجب ص ٤٠ أن اليازورى كان لا يأذن بدخول أحد عليه يوم الجمعة إلا البابلى لدالته عليه ، ولم ينتفع اليازورى بشىء من ذلك ، لما قبض عليه ، ورد التدبير إلى هذا الوزير بل سيره إلى تنيس واجتهد فى قتله .

شعر القاضي الفاضل

للدكتور أحمد أحمد بدوى

اشتهر القاضى الفاضل فى الأدب العربى برسائله النثرية وطريقته الفاضلية فى الكتابة وحجب ذلك شهرته بالشعر ، مع أن الرجل كان حريصاً على أن يكون كاتبا شاعرا معا ؛ فله ديوان شعر كبير جمع فنون الشعر المعروفة فى عصره .

وكان الفاضل يؤمن بمجد الشعر وخلوده ، ويرى الدهر عاجزا عن القضاء عليه ، وعد الفاضل من مفاخره أنه ذو شعر خالد على الزمن .

وشعره يمتاز ، كما يمتاز نثره بحب الصناعة اللفظية ، فهو لا يكاد يدع نوعا منها ، إذا تأتى له استخدامه ، ولهذه الناحية من خصائص شعره أعجب رجال الصناعة به ، ومثلوا لألوانها المختلفة بشعره ، فسجلوا له أعظم تقدير وإعجاب ، أما أولئك الذين لا تعنيهم هذه الصناعة فلا يرتفعون فى تقديرهم شعره إلى هذا المستوى ، كصاحب قلادة النحر ، فإنه قال : « وله فى النظم أشياء حسنة »(١) .

والواقع أنك لا تكاد تجد قطعة تخلو من لون من ألوان هذه الصناعة التى أتقن القاضى الفاضل سبكها .

وإلى جانب ذلك لا يسرف الفاضل فى استعمال الألفاظ الغريبة ، وعبارته محكمة النسج ، ومعانيه واضحة إلا فى القليل .

وكان لعصره أثر كبير فى شعره ، وإذا كان هذا الشعر الذى بين أيدينا لم يتحدث إلا قليلا عن الحروب الصليبية التى دارت فى عهد صلاح الدين ، وكان الفاضل وزيره ، فذلك لأنه أشبع تلك الرغبة فيما كتبه من رسائل كانت لها قيمة كبيرة فى عصره .

وتعددت أغراض شعره ، ولهذا أرى من الخير أن أخص كل غرض بكلمة :

الغزل :

هو من الفنون التى أكثر منها القاضى الفاضل ، وإن لا يشرك به غرضا غيره أو قاله فى مفتتح أغراض أخرى ، وهو كالغزل التقليدى المتوارث ، حديث عن الرضا

(١) قلادة النحر ١ : ٣٧٦ .

والعتب ، والهجر والبين ، ولذة الوصل بعد الهجر ، وثقل الوشاة ، وبغض العذال والرقباء ، وعدم الإصغاء إلى لومهم وما يزعمونه من النصح .

وليس ما قاله الفاضل من ذلك كله ناشئا عن رغبته فى التمرن على بليغ القول من غير أن يكون صادرا عن عاطفة حقيقية صادقة . بل إنك لتحس بحرارة هذه العاطفة تظهر فى الحين بعد الحين ، وأظهر ما يتجلى فيه ذلك ما أنشأه فى حبيبه المريض ، إذ يقول :

يا يوسف الحسن الذى أنا مذ شكا
فى سجن يوسف من أسى وتأسف
يا سقمه ، رفقاً بمدنف جفنه
وترفقاً أيضا بقلب المدنف
لو كان من رسم القلوب تصرف
أخفيت عن جسمى لك القلب الحنى
أو كانت الحمى تقيد نارها
بالماء كانت من دموعى تنطفى

أو حين يقول :

لكل حبيب يا حبيب رقيب
ومن كل جسم للسقام نصيب
وإنى فى أهلى ودارى ، لما أرى
عليك من السقم الغريب ـ غريب
أغيب برغمى ، ثم أحضر عنده
فأنظر آثار الضنى ، فأغيب

أو حين يقول :

ما سرت فى حلب ولا عوض
إلى مجاورة ذاتك العرض
أفديك بالقلب العليل ، وبالطر
ف الذى بك ليس يغتمض

وأقول إذ عادوك من مرض
بالعائدين ، ولا بك المرض

ولا عجب فمرض الحبيب خليق أن يثير فى النفس أعنف العواطف وأصدقها .

وقد أشاد القاضى الفاضل بالجمال ، وماله من صفات تلذ السمع ، وتشوق البصر . ومن أكبر ما تغنى به هذه الهالة من النور ، تشع من وجه الحبيب ، فتغمره بالسناء ، وتحيطه بالضياء . فتسمعه يقول .

زارت ، فزارك فى الظلام ضياء
عفيت به عن لحمها الرقباء

ويقول :

ومضى شمس الوجه لم يهد الهوى
فى خاطرى إلا سراج ضيائه

ويقول :

بأبى بدر يضىء به
خاطرى إن لاح أو غربا

ويقول :

وأفرط أنوارا ، فضل مكانه
وأفرطت إشفاقا ، فضل مكانى

وتغنى بالقدود اللينة ، والخصر الأهيف ، والعيون النجل ، والحواجب المقوسة ،

والخيلان تزيد بياض الخد ... والأسنان كالأقحوان ، والخدود كشقائق النعمان :

ضرب اللثام على شقيـ
ـق ، والشفاه على قداح
وأظن ورد الخد يسـ
ـقى من مراشفه براح

ويقول :

يا هلالا ، إذا أنار ضللنا
وقضيبا إذا تثنى ثنانا
بينما جلنار خدك يبدو
إذ رأينا فى صدرك الرمانا

ومن أجل ما قاله فى ذلك وصفه لين الخدود ونعومتها التى لم يذقها بغير عينه وما ذاق إلا ناظرى لين خدها

وعن وصفه قلت : الخدود نواعم

وأسرف الفاضل كثيراً فى تشبيه شعر الصدغ بالعقرب ، وولد من ذلك معانى كثيرة كانت معينا لمن جاء بعده من الشعراء ، يقتبسون منها ، ويستقون من ينبوعها ، ويطول بى القول إذا أنا تتبعته فى هذه المعانى ، وحسبى أن أشير إلى غزارتها ؛ فهذا الشعر حينا جزء من ليل هام بالحبيب . فقبل خده وأسبل عليه جزءاً منه :

سرت فكأن الليل قبل خدها
فأبقى به قطعاً ، وأسبل عقربا

... فى موطن الحب غربى
فهذا الدجى فى صبحها قد تغربا

وهذه العقرب تحول بينه وبين روض الخد ، فهى الحاجز بينه وبين السعادة :

على كل خير مانع ، وبحسنه
يرق ، ويجفو . رقبة للمراقب
فيمنع ورد الخد شوك ملاصق
ومن دون روض الخد شوك العقارب

وهى عقرب عجيبة فى لسبها :

فقربها أبعد من لسبها
وبعدها أدنى من اللسب

وعجيبة فى خلقتها :

ما عقرب إلا لها شوكة
وعقرب الخد لها وردة

وهى من المسك ، ولكن جمر الخد لا يأكلها ، أو هى بقية من ليلة لم يوقظها الفجر :

وعقرب فى الخد من مسكة
أمسك أن يأكلها الجمر
بقية من ليلة الرضا
نامت ، وما أيقظها الفجر

إلى غير ذلك من خواطر صورها .

كما أكثر من الحديث عن ورد الخدود وتلهبها .

وحيناً يجعل فى صف الحسن ، فيراه جمل لقدرة الله :

شرفت آيات الجمال فلم تكن
وإلى تمييزها لدى
آية فى الحسن تشهد لى
كان من آياته عجبا

أو هو بعض ولدان دار النعيم ، أكثر جمالا من القضيب والحقف والظبى والهلال :

لا كمثل القضيب ، والحقـ
ـف ، وريم النقا ، ووجه الهلال
تلك أسماؤكم ، وسميتموها
لوجوه أخرى ذوات جمال
وعلى قاتلى لباس من الحسـ
ـن تعالى عن الطراز العالى

وحيناً يوازن بين من يهوى وبين القمر ، فيرى القمر أقل بهجة وحسنا :

فلـ ـيرغم القمر الذى
فى وجهه أثر الرغام (١)
إن قلت : حسن الوجه نا
ل فلم ينل حسن القوام
ما كان مضروب الغما
م نظير مضروب اللثام

ويقول فى أخرى :

أقسم يا بدر لو عقلت ، وقد
أبصرت تلك الأنوار لم تنر

(١) الرغام : التراب .

لا تقف ، واستعن بأجنـ
ـحة السحب إلى وكر مغرب ، وطر
ما أنت يا شيخنا الكبير كمن
أضحى كبير الجمال فى الصغر

ووصف لنا القاضى بين ما وصف حديث الحبيب ، ووعده ، وعتابه ؛ أما حديثه فالروض :

رب بستان حديث بيننا
فتح العتب به ورد الخجل
بل هو در يقتنى ، وإن الألفاظ تخرج من فمه متعثرة ؛ لأنها سكرت بخمر ريقه العذب :

فيالك من در من اللفظ مقتنى
ويالك من خمر من اللفظ تعصر
يمجمج ألفاظا بخمرة ريقه
سكارى الخطى فى ذيلها تتعثر

وأما وعده فسراب :

قالوا : تعلل ، إن بقيت ، بوعده
هيهات ، غيرى غره بسرابه

وهو مع ذلك يقنع به ، ويرضى :

لقنعت من عدة
ووصل بالخيال وبالمحال

ويتمنى هذا الوعد الكاذب :

يا مانعى حتى مواعيده
من لى بوعد منك كذاب

بل يرى فى الوعد الممطول لذة ونعيما :

يا من ينفرنا بمطلهم
وبه جرت قدما رسومهم
في المطـــل معنى لست تعرفه
لا زال مطـــولا غريمهم
دع مطلهم ، فالمطل يذكره
وعسى على الذكرى نديمهم
في المطل تعذيب يطيب له
يا طيب ما فيه نعيمهم

وأما العتاب فهو - مع قسوته - محبب إليه ، لأنه عنوان الحب ، ودليل الصلة القلبية القوية :

حشد الذنوب عليّ يوم عتابي
حتى لأذكرني بيوم حسابي
أهلا بهذا العتب ، فهو مبشري
إني لأحبابي من الأحباب

يشعر الفاضل بأن الحبيب يسكن القلب ويملكه هذا الخاطر ملكا قويا ، فيحس كأن الحبيب يشعر بما يجول في نفسه من أمان وإحساسات :

ذكرتك ذكرى ، أنت في القلب ربما
شعرت بها في القلب كيف تجول

ويعجب كيف استطاع أن يسكن القلب ، وفيه نيران متقدة من الحب :

أسكان قلبي ، كيف جاورتم الأسى
به ، وهو نار بالدموع تسيل

بل هو قلبه الذي لا يستطيع هجرانه :

ويأمرني من لا أطيق بهجرها
وحسبي به لو كان ينظرها حسبي
يشير على جسمي بفرقة قلبه
بقيت كذا هل كان جسم بلا قلب

فلا غرابة أن يرحل القلب برحيل الحبيب فهو وطن وفي لأهله ، يرحل برحيلهم ، ويقيم بإقامتهم :

أستصحبا قلبي ، وكان محله
وإن كان من جور الفراق محيلا
عجبت لدار من وفاء بأهلها
أجدت ، وقد راموا الرحيل رحيلا

وقد أوحى الفراق إلى الفاضل بخواطر كثيرة من الشوق واللوعة لفقد الأحباء والقلوب معهم :

وكم بت عطشانا إلى مورد الكرى
وإن كنت في بحر الدموع غريقا
فريقين ودعنا : فريقا أحبة
تعز علينا ، والقلوب فريقا
ولا روح في الشكوى وأية راحة
بما سر أعداء ، وساء صديقا

ويرى دارهم قد نقشت على قلبه وعينه ، فلا يبرح رسمها ماثلا أمامه ، أما الضوء الذي ينير الحياة فقد رحلوا به ، ولا نستطيع الشمس والقمر أن يعوضاه عما فقد :

إني فقـــدت أحبتي نظرا
ووجدت بعدهم الثوى (١) أثرا

(١) الثوى : الهلاك .

تركوا على عينى ديارهم
وعلى فؤادى الشوق والفكرا
ظعنوا بنور لست أسأله
لا الشمس بعدهم ولا القمرا

ويرق حين يرسل التحية إلى الحبيب المفارق ، فيقول :

يا لمعة البرق ، بل يا هبة الريح
روحى بجسمى إلى من عنده روحى
خذى لهم من سلامى عنبرا عبقا
وأوقديه بنار من تباريحى
ناشدتك الله إلا كنت مخبرة
عنى بأنهم ذكرى وتسبيحى

وإذا كان الفراق يثير فيه اللوعة والأسى ، فلا جرم كان يخافه ، ويخشى نذره . ويتمنى أن لم أخلف الدهر هذه النذر :

يرى نذرا للبين صرح وعدها
على إذا ما الدهر أخلفها نذر

وليس بكثير فى الحب خوف الفراق ، فإن الحبيب هو الذى يكسب الدنيا بهجة . ويملؤها جمالا ويبعث فيها الأمل ، ويحيى ميت الأمانى . وقد صور الفاضل هذا الإحساس فى قوله :

وقد كانت الدنيا التى لم يكن بها
إذا اخضر منها جانب جف جانب
بدت لى بها دنياى خضراء كلها
فلا منظر إلا وفيه مآرب

وإذا كانت الدموع تلازم بعض أحوال الحب . فقد أطال الفاضل فى الحديث عنها ، ووصفها ووصف مصدرها . فالدموع هى التى تكشف الشوق وتصفه :

ولولا دموع يكشف الشوق وصفها
لما وصف الشوق الذى بى واصف

والدمع كتاب الحبيب لا يكذب ، يرسله المحب ، ليقبل ترابا سار عليه الحبيب :

كتاب إليه من فؤاد معنون
وما كان فى العنوان لا عن ولا إلى
ومن رأى قلبى أن يقبل تربه
فيرسل ثغر الدمع عنه مقبلا

وليس هذا الدمع سوى دماء تسيل منه ، يروى بها ورد الخدود :

ترى من دموعى قبل ترجع من دم
سقيت ، فأطلعت الأقاح شريقا
فلما جرحت القلب صارت مدامعى
دماء ، فأورت وجنتيك شقيقا

ويرى تلازما بين الحب والدموع :

ما دام وجه ينجلى عن روضة
فعلى عين تنجلى عن منهل

وهى التى تطرز ما كسته الصبا لديار الحبيب من التراب بعد فراقهم لها . وعنوان ما بقلبه من هموم وأشجان ، وهو يعجب كيف تسح عينه الدمع بحارا ، ثم لا يغرق الحب ، بل ظل حيا قويا :

وقد أغرق الدنيا بدمع جفونه

ولم يتفق فى ذلك أن يغرق الحب

وأكثر كذلك من الحديث عن العذل والعذال ، فهو يحتمل الآلام فى سبيل الحب . ويخفى كربه فى قلبه كى لا يسر العذول بإظهار آلامه :

وفى القلب كرب لا أسر عذوله

يقول إذا ماضقت بالكرب : واكربى

ويشعر بالعذول ثقيل الظل . لا يطيق لكلامه حملا ، تلمس هذا الإحساس فى جمع القاضى بين العذول والجبل فى قوله يخاطب العاذل :

وما يخف على قلبى حديثك لى

لا والذى خلق الإنسان والجبلا

ويخبر العذول بأنه لن يصغى إلى حديثه ، ولو أنفق فى لومه عاما كاملا :

دع اللوم يا عاذلى

فما أنت بالعادل

ولا تكثرن الملام

وأقصر ، فهذ الكلام

على الصب مثل الكلام (١)

ولو قمت فى كل عام

تلوم إلى القابل

فما أنا بالقابل

ويرى فى العذل جلاء يصقل الحب :

وما الحب إلا الحسام الصدئ

إذا العذل مر به يصقل

وحينا يثور ، فيرى فى اتباع العذل حزما ، ويراه هدى لو أن له قلبا يصغى ، أو أذنا تسمع :

لعمرى لقد بصرت لو نفع الهدى

وحقا لقد أسمعت إن سمع الصم

أعاذل ، ما الحزم إلا اتباعه

طريقك . لكن ربما قلب الحزم

ووقف القاضى الفاضل على الديار يتعرفها ويسألها ، كما وقف الأقدمون ، ولكنه لم يكثر من ذلك ، ولم يطل فيه والديار التى يبكيها ديار تعفيها الرياح . ولم تبق على رسومها ، فتسمعه يقول :

عرفت داركم . والركب ينكرها

قلبى ، وإن جهلت عينى . يخبرها

ما كادها الريح قدما حين ينسفها

وإنما خلفهم أمسى يسيرها

يا دار كنت لأفلاك الهوى فلكا

فما استطعتك أفلاكا أسيرها

وحينا يغلب عليه مذهب أبى نواس ، فيأبى الوقوف على الأطلال العافية ، ويقول :

ويستوقف العشاق فى الربع إن عفا

سواى ، على ربع عفا لا أوقف

ويأخذ القاضى عن بشار مبالغته فى وصف

---

(١) الكلام : جمع كلم ، وهو : الجرح

نفسه بالضآلة ، حتى لا تكاد تتبينه العين وإذا كان الفاضل ضئيلا فقد أسرف مبالغا فى وصف هذه الضآلة حين يقول :

مثل الكتاب ضنى ، ومثل براعه
بل خطه ، بل شكله المتفانى
لم يبق منى فى العيون بقية
والله يبقى لى الذى أفنانى

كما نلمس هذه المغالاة فى وصف آلامه وهمومه ، إذ يقول :

وما الغيث إلا من دموعى ساكب
ولا الرعد إلا من حنينى ناتح
ولا العمر إلا من أسى متراكم
ولا البرق إلا من زفيرى لاح

وحينا يصف أساه وصفا معتدلا فيقول :

لو كان منه باسما لى الصباح
ما كتم التقطيب عنى الأقاح
فما لعين عن رياض رضا
ولا لبرح [1] عن فؤادى براح
لا مرحاً صرت ، ولا مشتهى
أفقدنى فقد الملاح المراح

ويتسم أكثر غزل القاضى الفاضل بمسحة من الألم قبل أن تفارقه ، فأكثره أنين وشكوى ، وقل أن تجد فيه فرحة اللقاء أو سرور الوصل ، كقوله :

يا ليلة بات فيها البدر معتنقى
والناس بالبدر والظلماء فى شغل
بتنا نفض عقوداً للحديث ، فإن
فصلتها فبتشذير من القبل
قل فى الزلال إذا وافى على ظمأ
فقد دللت على التفصيل بالجمل

وقوله :

وبات يحيينى على رغم كاشح
بما لم أكن - لولا الرضا - أتمناه
يخمرين : خمر فوق وردة خده
برق ، وخمر فى أقاح تناياه
فولى ضياء الصبح من خوف نرعه
وولى ظلام الليل خوف محياه
وقد غبت من فرط السرور بقربه
كأنى ما ألقاه ليلة ألقاه

وأجاد القاضى الفاضل فى تشبيه بمغنية مجيدة ، ووصفها ، ووصف مجلس غنائها ، ووصف العود فى يدها ، إذ يقول :

تلذ بجنتها أعين
وفيها الذى تشتهى الأنفس
لها نظرة إذ تحشى بها
يغض لها عينه النرجس
وجاءت بعود لها خاطب
فزم لهيبته المجلس
إذا هى جست مضت بالصوا
ب ، فالناس من بعدها حبس

(١) البرح : الشدة والأذى .

لها معجز إن تأملته
فما سر إعجازه مبلس[1]
أما العود من قبلها أخرس
وفى يدها ينطق الأخرس
كأن المدامة من لحظها
ونار الغرام بها تقبس

ولا يخرج القاضى الفاضل فى تشبيهاته الغزلية عما ألفته العربية من التشبيهات ، ولكنه فى كثير من الأحيان يحور ويولد ، حتى يصبح التشبيه طريفا مقبولا ، وها هو ذا يشبه وجه من يحب بالهلال ، فيميل به عن الطريق المألوف ، ويقول :

قلت إذ قلّب المدلل وجها
طالبا من سمائه شوالا
وعيون الرائين قد أبصروه
فتناسوا به الهلال ، وهالا :
خذ مراة ، وانظر محياك منها
يبد منها السحاب منك هلالا

وهكذا يجرى القاضى الفاضل فى أكثر تشبيهاته فى الغزل .

ولا يفوتنى قبل أن أتم فصل غزله أن أشير إلى أمنية تمناها ، ودفعته إليها رغبته فى قرب حبيبه ، فكان ذلك سبباً للدعاء عليه ، فقد تمنى ، وحبيبه مريض ، أن يكون أحد مضاجعه ، وألا تفارق الحمى حبيبه أبدا ، فقال :

ألا ليتنى إحدى مضاجع سُقّر
وياليتها ليست تجافى له جنبا

(البقية فى العدد القادم)

الدكتور أحمد أحمد بدوى

(١) أبلس : يئس وتحير .

(بقية المنشور على ص ١٠٩٣)

من قادة الفكر الإسلامى وتناقشوا معهم فى رسالة الجمعية وكيف يجب أن توالى هذه الرسالة الإنسانية حتى تتأكد الصلة بين المسلمين فى بلاد العالم الإسلامى وبين إخوانهم المقيمين فى أمريكا .

ولعله يسر القارئ الكريم أن المؤتمر التاسع للاتحاد قرر أن يعقد مؤتمره العاشر فى يوليو من عام ١٩٦١ بمدينة القاهرة وستنظم رحلة جوية لجميع أعضاء المؤتمر من الولايات المتحدة إلى القاهرة حيث يعقدون مؤتمرهم وينزلون ضيوفا على الجمهورية العربية المتحدة ثم يزورون بعد ذلك أهم مدن دول الشرق العربى وخصوصاً الأماكن المقدسة فيها وبالأخص مكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس فلا يسعنا إزاء ذلك إلا الترحيب بهم فأهلا بهم بين ذويهم وسهلا بهم داخل أراضيهم .

الدكتور محمود يوسف الشوارى

شيء من النقد ...!

للأستاذ على العمارى

— ٢ —

نتابع فى هذا العدد الحديث عن قصيدة « الطيف » للبارودى وهى تنيف على ستين بيتا . وليس منها فى الغرض الذى قيلت فيه غير أربعة عشر بيتا ، وقد ظهر أخذ البارودى عن المتقدمين واضحا فى هذه المعانى ، وهو لم يأخذ عن المتقدمين أحسن معانيهم ، وإنما أخذ أهونها . ونحب أن نعرض صورة موجزة كل الإيجاز لحديث المتقدمين عن الطيف .

قال الشريف المرتضى فى أماليه : أول من ابتدأ هذا المعنى — القول فى الطيف — قيس ابن الخطيم ، وكل الناس فيه عيال عليه . فى قوله :

ما تمنعى يقظى وقد تؤتينه
فى النوم غير مصرد محسوب (١)
كان المنى بلقائها فمنيتها
فلهوت من لهو امرئ مكذوب

وقال أبو تمام :

زار الخيال لها ، لا ، بل أزاركه
فكر ، إذا نام فكر الناس لم ينم
ظبى تقنصته لما نصبت له
فى آخر الليل أشراكا من الحُلُمُ
ثم اغتدى وبنا من ذكره سقم
باق ، وإن كان معسولا من السقم

وله :

ما زارك الخيال ولكنه
لك بالفكر زرت طيف الخيال

ثم جاء البحترى فأكثر من الحديث عن الطيف ، حتى نسب إليه فقيل : (خيال البحترى) ومن ذلك قوله :

أرانى لا انفك فى كل ليلة
تعاودنى فيه المالكية مضجعى
أمر بقلب من ألم مسلم
وأثنى ببين من حبيب مودع

ويقول صاحب العمدة : إن أول من جرد الخيال طرفة بن العبد فى قوله :

فقل لخيال الحنظلية ينقلب
إليها فإنى واصل حبل من وصل

ومن قول البحترى فى الخيال :

(١) التصريد : التقليل ، وفى السقى ، دون الرى .

هـذا الحبيب فرحبا بخياله
أنى اهتدى والليل فى سربانه !
بل كيف زار ودونه مجهولة
من سبسب قفر يمور بآله !
سار تجاوز من شقائق عالج
بعد المدى ، من سهله وجباله

وكذلك :

أمنك تأوب الطيف الطروب
حبيب جاء يُهدى من حبيب
تخطى رقبة الواشين (شرقا)
وبعد مسافة الخرق المجوب (٢)
يكاذبنى وأصدقه ودادا
ومن عجب مصادقة الكذوب

هؤلاء الشعراء تناولوا معانى فى الطيف ، فصاحبة قيس تعطى فى المنام ما تمنعه فى اليقظة وأن المنى فى لقائها تحققت بلقاء خيالها . والشاعر لها ، ولكنه لهو امرئ مكذوب لا حقيقة له . وأبو تمام جعل الخيال زائرا ثم أضرب فجعل الفكر هو الذى جلب الخيال وقد نصب لهذا الطيف شباكا من الأحلام فاصطاده ولما جاء الصبح ذهب الخيال ، وترك سقما ، ولكنه سقم حلو . وهو تعبير جميل (معسولا من السقم) .

(١) السبسب : المفازة . المور : الاضطراب ، والآل : السراب . وعالج : اسم مكان .
(٢) الخرق : الارض الواسعة . المجوب : المقطوع

أما البحترى فصرف القول ، فهو فى كل ليلة تزوره المالكية فى النوم يسر ، ويشجى ، يسلم عليه الحبيب ثم يودعه ، ويعجب كيف اهتدى إليه هذا الطيف ، فى ظلمات الليل ، وكيف وصل ودونه أرض مجهولة واسعة ، يضل سالكها ، وينقطع السائر فيها دون الوصول إلى غايته ، ولكن هذا الخيال ، تجاوز الرمال ، والجبال والسهول ، ولم يعبأ بظلام الليل ... وهكذا .

فماذا صنع البارودى ، ابتدأ بأن طيف سميرة (تأوب) وهو لفظ البحترى ، ثم جعله يطوى سترته الظلماء ، ويتخطى الأرض . ويتحمل أهوال الظلام ، ويعجب كما يعجب البحترى : كيف وصل إليه . ودونه محيط من البحر الجنوبى زاخر ؟ وتقصير البارودى ، ليس فقط فى هذا الاتباع الواضح ، وإنما هو فى عدم تسجيله ما يحدثه الطيف من انفعال فى النفس ، فالبارودى لم يدخلنا قلبه لنرى فيه مشاعره وأحاسيسه التى أثارها الطيف ، بل جعل يحدثنا عن رحلة الطيف ، من مصر إليه ، ثم عودته سريعا ، وعن صاحبة الطيف التى لم تدر ما الليل وما السرى . ولقد جهدت أن أعرف الحالة النفسية التى كان عليها البارودى فى نومه عندما زاره خيال سميرة ، هل كان متألما حزينا ، هل اضطربت أوصاله حين

قام من نومه فلم يجد شيئا أمامه ؟ هل قال كما قال الشاعر العربي الأول :

وإني لأستغشي وما بي غشية
لعل خيالا منك يلقى خياليا

على أي حال ، لم يدخلنا الشاعر نفسه ، ولم يطلعنا على وجدانه ، فقط ، بيت واحد أشار به إلى ارتياحه لوجود الطيف حيث قال:

ألم ولم يلبث وسار وليته
أقام ، ولو طالت على الدياجر

أما أوصافه ، فهي (من الظاهر) وأعتقد أنها لا تأثير لها على أحد ، فنفس القارئ لا تنفعل إذا لم ينقل إليها الشاعر انفعاله .

وواضح من شعر المتقدمين أن بعضهم يجعل الطيف تابعا من الفكر . وعلى ذلك جاء قول أبي تمام : (لا ، بل أزارك فكر) . وبعضهم يجعله وافدا من خارج النفس ، يتخطى إليها الأهوال (١) ، أما البارودي فقد خلط بين المذهبين ، فجعله أولا متأوبا ، جائيا إليه بقطع الليالي ، ثم جعله تابعا من الخواطر (وما الطيف إلا ما تريه الخواطر) ثم عاد إلى المعنى الأول فقال إنه تخطى إليه البحار والقفار ، والليل والنهار ، فلم يثبت على مذهب واحد ، مما يدلنا على أنه يغالي في التقليد ، فيغفل عن التناقض بين المعاني ، على أن قوله (وما الطيف إلا ما تريه الخواطر) - وإن تضمن ، أنه دائما يذكر بنته هذه ، فطيفها إبراز لما في نفسه - هو أشبه بالتعاريف المنطقية .

ومن اتباع البارودي وتقصيره قوله :

ولولا تكاليف السيادة لم يخب
جبان ، ولم يحو الفضيلة ثائر

فقد أخذه من قول المتنبي :

لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر والإقدام قتال

والفرق بينهما جد واضح ، لا يحتاج إلى بيان .

وقوله :

فلا أنا إن أدناني الوجد باسم
ولا أنا إن أقصاني العدم باسر

وقد سبق إلى هذا المعنى - وأجاد - حاتم ابن عبد الله الطائي ، حيث يقول :

رضينا زمانا بالتصعلك والغنى
وكلا سقاناه بكأسيهما الدهر

(١) بهذه المناسبة ، عرض سويد بن أبي كاهل اليشكري للطيف في قوله :

هيج الشوق خيال زائر
من حبيب خفر فيه قدع
شاحط جاز إلى أرحائنا
عصب الغراب طروما لم يرع
آنس كان إذا ما اعتادني
حال دون النوم مني فامتنع

وقد ضبط شارحا المفضليات « أحمد شاكر ، وعبد السلام هارون » كلمتي « شاحط وآنس » بالكسر ، وقالا : إنهما نعتان لحبيب ، والذي عندي أنهما بالرفع وصفان للخيال .

فما زادنا بأواً على ذى قرابه
غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر

ومن عرض لهذا المعنى واجادُ هدبة بن خشرم العذرى :

ولست بمفراح إذا الدهر سرنى
ولا جازع من صرفه المتقلب

فالصياغة فى النصين أقوى من صياغة البارودى ، والمعنى واضح فيهما ، و (إذا) فى قول هدبة أجود من (إن) فى قول البارودى ، لدلالة إذا على التحقق ، ودلالة إن على الشك ، وقد نفى هدبة شدة الفرح ، كما نفى الجزع ، لأن الذى يعاب به الإنسان أن يبطره الغنى ، أو يخضعه الفقر ، كما نفى الجزع ، لأن الذى يعاب به الإنسان أن يبطره الغنى ، أو يخضعه الفقر كما نفى حاتم أن يكون الغنى زاده كبرا على ذوى قرابته ، أو أزرى الفقر بأحسابه ، ثم إنه قال إنه ذاق الغنى والفقر ، ورضى بهما ، والبارودى نفى أن يبتسم عند الغنى ، وليس هذا مما يعاب على أحد ، ولكنه يريد المبالغة ، ثم إنه ذكر أدنى وأقصى ، دون أن يعدديهما العقول ، فلا يدرى القارئ ما أدناه الغنى ، وما أقصاه الفقر ، هل أدناه من الناس ، أو من طيبات الحياة ـ مثلا ـ وذكر المعقول هنا ، مع أنه يرفع الغموض ، يعطى معنى جديدا ، والنسج ـ كما هو ظاهر ـ ضعيف .

ومن ذلك قوله :

فقد يستجم المال والمجد غائب
وقد لا يكون المال والمجد حاضر

فهو ينظر إلى قول المتنبى ، ويعارضه :

فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله
ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

ويوافق قول الآخر :

قد يدرك المجد الفتى ورداؤه
خلق ، وجيب قميصه مرقوع

وسر جمال هذا البيت الأخير ، أن الشاعر أولا نص على الذى يدرك المجد ، مع الفقر وهو (الفتى) فليس كل إنسان يستطيع هذا ، وثانيا صور هذا الفقر بصورة تبعد الأمل فى أن يدرك هذا الفتى المجد ، أما كثرة المال عند البارودى ، وقلته ، أو عدمه ، فليس فيه هذه الصورة ، التى قصد الشاعر أن يكون عليها من يدرك المجد لعلو نفسه ، وصدق عزيمته ، ثم المجد حاضر ، والمجد غائب ، أضعف بكثير من (يدرك) لأنه ليس فيها نص على أن الفقير قد انصف بالمجد إلا بطريق الكناية ، والحقيقة هنا أقوى ، فلو قال ، قد يصبح الفقير ماجدا مثلا ، لكان أحسن من قوله (والمجد حاضر) .

وفى البيت خطأ آخر ، وهو إدخال (قد) على الفعل المنفى . قال صاحب القاموس : « وقد الحرفية مختصة بالفعل المتصرف

الخبرى المثبت المجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس ، وأما قول الشاعر (وقد لا تعدم الحسناء ذاما) فهو شاذ .

ومن أخذ البارودى قوله :

فما الفقر إن لم يدنس العرض فاضح
ولا المال إن لم يشرف المرء ساتر

ومن الذين سبقوه بهذا المعنى السموءل بن عاديا :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها
فليس إلى حسن الثناء سبيل

وكل ما فعله البارودى أنه جعل معنى بيتى السموءل فى بيت واحد ، وهذا الإيجاز إن كان فضيلة فهو يصغر أمام عذوبة ألفاظ السموءل ، وإيضاحه المعنى ، وتأكيده أن لا سبيل إلى الثناء الحسن . إذا كانت النفس صغيرة ، مهما كان عندها من مال وجاه ، وتعميمه فى جمال كل هيئة يظهر فيها الإنسان إذا تنزه عرضه عن اللؤم .

٢ — وقد تحدث البارودى عن الصبر حديثا مضطربا فقال :

صبرت على كره لما قد أصابنى
ومن لم يجد مندوحة فهو صابر

وما الحلم عند الخطب والمرء عاجز
بمستحسن كالحلم والمرء قادر

ولكن إذا قل النصير وأعوزت
دواعى المنى فالصبر فيه المعاذر

إذا المرء لم يركن إلى الله فى الذى
يحاذره من دهره فهو خاسر

وإن هو لم يصبر على ما أصابه
فليس له فى معرض الحق ناصر

فمع أنه أخذ معنى البيت الأول من قول أبى العتاهية :

ليس لمن ليست له حيلة
موجودة خير من الصبر

ومعنى البيت الثانى من قول المتنبى :

كل حلم أتى بغير اقتدار
حجة لاجىء إليها اللئام

مع هذا قد أخطأ فهم معنى بعض الألفاظ ، واضطرب فى شعوره العام ؛ فهو لم يحمد صبره لأنه على كره ، ثم جعل هذا الصبر حلما فى البيت الثانى . ومعلوم أن الجزع لا يعد حلما ، ولا يسمى حلما . وهذا ظاهر من بيت المتنبى ، ثم عاد فامتدح الصبر على الإطلاق فى البيت الأخير ، وجعل فى الصبر المعاذير إذا لم يجد الإنسان نصيرا فى البيت الرابع ...

ولولا أن الحديث يطول لذكرنا أكثر معانى البارودى ورجعناها إلى أصلها ، مع بيان تقصيره عن السابقين .

٣ — معانى البارودى — فى جملتها — عادية ، لا تحتاج إلى إمعان نظر وربما خفيت

على بعض القارئين ، ولكن ذلك غير راجع لصعوبتها ولسمتها ، وإنما يرجع إلى عدم فهم معانى الألفاظ ، فإذا فهمها القارئ لم يجد فى المعنى دقة . ولا بد للشاعر أن يرتفع بالقارئ عن المعانى العادية . وفى ذلك يقول (بول فاليرى) : « إن الشعر هو الكلام الذى يراد منه أن يحتمل من المعانى . ومن الموسيقى أكثر مما يحتمله الكلام العادى ، والشاعر المجيد حقا ، يمتاز من غير المجيد بأنه إذا تحدث إليك لم يمكنك أن تسير معه كما تسير مع نفسك ، وإنما يضطرك أن تفكر وأن تجهد نفسك فى أن تفهمه وتحسه وتشعر به » .

وهذا الرأى قديم فى بلاغتنا العربية ، وما حديثهم - ولا سيما الشيخ عبد القاهر - فى التشبيه القريب المبتذل . والبعيد الغريب إلا صبابة منه .

٤ — الشاعر الفحل لا يضع كلمة إلا إذا قصد من ورائها فائدة ، وقد يقتضى كلامه قبل القافية فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى جديداً ، والأمثلة على ذلك كثيرة من الشعر الجيد . ولكننا نجد فى هذه القصيدة قوافى لم يدع إليها داع غير تكملة البيت ، وتحقيق القافية ، من ذلك قوله :

فهن كعنقود الثريا تألقت
كواكبه فى الأفق فهى سوافر

ولا أرى حاجة إلى هذه العبارة الأخيرة (هى سوافر) فالسفور الظهور ، وقد ذكر أن هذه الكواكب تألقت فى الأفق ، والتألق يتضمن الظهور وزيادة . ومن ذلك (الدنيا بين الأنام تقامر) فالعبارة قلقة ، فنحن نعرف أن المقامر هو لاعب القمار ، ولا نذكر تعبيراً فيه أن إنسانا قامر بين اثنين ، والبارودى يريد أن الدنيا تداول بين الناس ، فتعطى هذا ما تحرمه ذاك . . ولكن الكلمة لا تفيد هذا المعنى بوضوح ، مع اضطرار العبارة .

وقد تكون الكلمة كالكلف فى الوجه الجميل ، فيفسد جماله . فالطيف هذا الكائن اللطيف الذى سرى ليلا ، يناسبه أن تحدوه نزوات الشوق ، لأن الحداء — وهو الغناء الإبل لتسير — مناسب هنا . ولكن ليس من المناسب أن تزجره هذه النزوات (٥) ، فالزجر السوق بعنف والأصوات المزعجة الحادة التى تدفع الإبل إلى السير حين تميل إلى الإبطاء والتريث ، وليس مما يتفق مع غرض البارودى أن يصور الطيف بصورة من يحتاج إلى الزجر . فوق عنف الكلمة وعدم ملاءمتها للطيف ، وفى القصيدة كلمات غير مستقرة فى موضعها . وإنما هذا الذى سقناه أنموذج منها . قال أبو بكر الباقلانى

(٥) فى قول البارودى : تخطى إلى الأرض وجدا وماله ... سوى نزوات الشوق حاد وزاجر

فى كتابه إعجاز القرآن : « وعلى هذا الشعر تذهب بزيادة حرف ، أو نقصان حرف ، فيصير إلى الركاكة وتعود ملاحته بذلك ملوحة ، وفصاحته عيا ، وبراعته تكلفا » .

٥ — أخذ النقاد القدامى على الفرزدق قوله :

إذا التقت الأبصار أبصرت وجهه
مضيئاً ، وأعناق الكماة خضوع

فقالوا : أساء القسمة ، وأخطأ الترتيب ، وإنما كان يجب أن يقول أبصرته ساميا ، وأعناق الرجال خضوع أو أبصرت لونه مضيئاً وألوان الكماة كاسفة ، وعملا بهذه النظرية نقول إن البارودى أخطأ الترتيب فى قوله :

تقل دواعى النفس وهى ضعيفة
وتقوى هموم القلب وهو مغامر

حيث قابل القلة بالقوة ، ومطالب النفس بعزائم القلب ، وفى قوله :

هنالك يعلو الحق ، والحق واضح
ويسفل كعب الزور ، والزور عاثر

فقد كان يجب أن يقول ، والحق ناهض والزور عاثر أو : والحق واضح والزور غامض ، كما قال الأقدمون : الحق أبلج ، والباطل لجلج . وفى الحق ، نظرة الأقدمين دقيقة ، وجديرة بالاعتبار والتقدير ، فالذوق السليم يتطلب المواءمة بين المتقابلات ، فإذا قوبل اللفظ بما ليس إلفاً له كان الكلام نابيا .

٦ — يعيب نقاد البيانية غث بارد ، من ذلك قوله (ويسفل كعب الزور) وقد عاب النقاد على أبى تمام قوله :

وكم أحرزت منكم على قبح قدها
صروف النوى من مرهف حسن القد

حيث أضاف القد إلى النوى ، فجاء بتشبيه بعيد ، وإنما أوقعه فيه قصد المماثلة بين القد والقد ، وكذلك عيب عليه قوله :

بلونك أما كعب عرضك فى الورى
فعال ، وأما خد مالك أسفل

فقوله (كعب عرضك) و (خد مالك) مما يستقبح ويستنكر ، ومراده من ذلك أن عرضك مصون ، ومالك مبتذل إلا أنه عبر أقبح تعبير .

ومن ذلك نقد القدماء لهذا البيت :

وجذبت رقاب الوصل أسياف هجرها
وقدت لرجل البين نعلين من خدى

فقد قيل : ما أهجن (رجل البين) وأقبح استعارتها ، ولو كانت الفصاحة بأسرها فيها ، وكذلك (رقاب الوصل) . قلت ويشبه هذين (كعب الزور) فى قول البارودى .

ومن التعبيرات القاصرة قوله : (ويا قرب ما التف عليه الضمائر) فقد جعل الضمائر تلتف على الأحباب ، والتفاف الضمائر تعبير غير سائغ ولا مقبول .

وكلة (عاريا) فى قوله :

فلا غرو أن حزت المكارم عاريا

فقد يشهد السيف الوغى وهو حاسر

كلة ساقطة ، وهو يريد أنه عار من المال ، ولكن عدم تقييد الكلمة يوهم معنى غير جميل ، وبهذه المناسبة أقول : إن البارودى كرر كلة السيف فى هذه القصيدة ، حتى أمل ، حقيقة أن السيف لا يفارق خيال البارودى ، ولكن حين يكثر ترداد كلمة بعينها تفقد قوتها :

٧ — من أغلاطه النحوية دخول الواو على الفعل المضارع بعد إلا فى قوله :

وعما قليل ينتهى الأمر كله

فما أول ، إلا ويتلوه آخر

ونظم الكلام فما أول إلا يتلوه آخر ، وكذلك إدخال قد على الفعل المضارع المنفى كما سبق ، ومن أغلاطه اللغوية استعمال كلة (ترامت) فى قوله :

فقد حاطنى فى ظلمة الحبس بعد ما

ترامت بأفلاذ القلوب الخناجر

فقد استعملها بمعنى رمت . والذى فى لسان العرب . ترامى به الأمر إلى كذا أى صار ، وأفضى إليه ، وكأنه تفاعل من الرمى . أى رمته الأقدار إليه ، وترامى القوم بالسهام إذا رمى بعضهم بعضا ، وقد ارتمت به البلاد وترامت ، وترامت تتابعت ، وازدادت ، وترامى الجرح إلى فساد أى تراخى ، وصار عفنا فاسدا ، وترامى أمر فلان إلى الظفر أو الخذلان صار إليه ، وتراماه الشباب أى تم ، واستعمال البارودى يفيد أن الخناجر يقذف بعضها بعضا بأفلاذ القلوب ، وهو فاسد ، وفى قوله :

عقيلة أتراب تواثين حولها

كما دار بالبدر النجوم الزواهر

يريد أخواتها . والأخوات لا يقال لهن أتراب ، لأن الترب المقارن فى السن ، وتواثين معناها تتابعن ولا معنى لتتابع حولها ، إلا على تأويل بعيد ؟

على العمارى

أسد بن الفرات الفقيه الغازى

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

« انفروا خفافاً وثقالا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » .

هذه دعوة الإسلام التى دفعت المسلمين جميعا ، علماء وفقهاء ومحدثين وجنداً لأن يبيعوا أنفسهم وأموالهم فى ساحات المجد والفخار فى البر والبحر فى السهل والجبل ، يطلبون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ولم تحل بين علمائهم وفقهائهم وبين الخروج للغزو مجالس العلم وحلقات الدرس ، ولم يقعدهم عن الجهاد تصدر الفتيا ولا نامت ظهورهم بالفقه ، والحديث الذى ساحوا الأقطار فى سبيل التحقق من صحته .

فبينما الشيخ القاضى « أسد بن الفرات » يجلس للفتيا يبين للناس ما قامت عليه الشريعة الإسلامية من أصول وقواعد ، والناس مأخوذون بعلمه عاكفون على درسه ، والشيخ يعلو صيته وترتفع شهرته بين الأقطار ، وقد قارب السبعين من عمره . إذا بمؤذن يستنفر المسلمين للجهاد فى سبيل الله ، فقد عزم « زيادة الله ابن الأغلب » صاحب إفريقية من قبل الدولة العباسية ، على فتح جزيرة صقلية .

وما يكاد الشيخ وهو فى حلقة الدرس يسمع هذا النداء حتى يهب إلى الجهاد يطلب إحدى الحسنيين . تاركا دروسه ومحابره وأقلامه ، راغبا فى هذا الشرف الذى أتيح له فى آخر أيامه ، فهذه هى الفرصة التى قد لا تسنح مرة أخرى .

فيذهب إلى « زيادة الله » يعرض عليه رغبته ويطلب منه السماح له بالتطوع فى صفوف المجاهدين . ويحاول « زيادة الله » أن يثنى الشيخ عن عزمه ذاكراً : أنه يجاهد فى تعليم المسلمين دينهم وشريعتهم ، وأن هذا لا يقل عن جهاده فى قتال أعدائهم ، ولكن هيهات ، فقد عقد الشيخ النية ووطد العزم .

وأمام إصراره اختاره الوالى أميراً على الجيش الغازى لما يعرفه فيه من عزم ومضاء وهمة عالية . وبذلك اجتمع « لأسد بن الفرات » مشيخة القضاء وإمارة الجيش .

* * *

ولد (ابن الفرات) سنة خمس وأربعين ومائة من الهجرة فى (حران) بديار بكر ، ثم انتقلت به أسرته إلى تونس ، وهناك نشأ نشأته العلمية الفقهية . فقد أخذ الفقه عن الفقيه المالكى « على بن زياد » ثم درس الحديث والأثر . فلما وثق من نفسه وأدرك أنه قادر على الجلوس للتدريس ، جلس يعلم الناس بتونس والقيروان .

ولكن ما لبث أن أحس أنه بحاجة إلى التزود من مذهبه ولقاء العلماء والسماع منهم والانتفاع بعلمهم ، فرحل إلى المدينة حيث أدرك الإمام (مالكا) وتلقى عنه موطأه . وروى عن مذهبه ، ثم رأى أن يقارن بين هذا المذهب ومذهب أبى حنيفة الذى عرف بفقه الرأى والقياس ، فانتقل إلى العراق حيث لقى القاضى (أبا يوسف) و (محمد بن الحسن) صاحبى أبى حنيفة ، وسمع منهما فقه أبى حنيفة وناقشهما فى الأصول والقواعد التى اتخذها أبو حنيفة أساسا لمذهبه ، وقد أعجب به (أبو يوسف ومحمد) فنقلا عنه أيضا موطأ الإمام مالك .

وبعد أن أفاد من سياحته علما وفهما وحذقا وتجربة وشافه العلماء وقارن بين مذاهب الفقه وروايات الحديث ، قرر العودة إلى موطن علمه وفقهه (القيروان بإفريقية) .

وفى طريق عودته مر بمصر وعرض على الفقيه المالكى (عبد الرحمن بن القاسم)[1] ما سمعه من فقه الحنفية . فأفتاه فيه بحكم مالك .

وهناك فى القيروان تولى القضاء وشرع يضع للمجتمع الأسس الفقهية فى المعاملات .

* * *

ولما أذن مؤذن الجهاد وتولى « أسد بن الفرات » إمارة الجيش ، تزاحم الناس من حوله كما كانوا يتزاحمون عليه فى درسه ، وتنافسوا فى طلب الغزو معه ، ولا غرابة فى ذلك ، فهو الذى كثيرا ما غزا بهم ميادين العلم والدين ، يرشدهم ويهديهم .

ولما اكتملت عدة الغزو ، خرج بجنده إلى مقر الأسطول الإسلامى الإفريقى (بسوسة) وقد تجمعت السفن . وحشدت الخيول ، ودقت الطبول ، ونشرت الألوية ، وخفقت البنود ، وتكاثفت الجموع فى فرح عارم وشوق جارف إلى الموقعة . وقد تملكت الناس نشوة الفتح . وتمثل أمامهم المجد

---

(١) هو الفقيه المالكى عبد الرحمن بن القاسم المصرى تتلمذ على الإمام مالك عشرين سنة حتى نضج فى فقهه وأخذ عنه وعن « الليث » وعن « مسلم بن خالد » ومن آثاره « المدونة » فى فقه المالكية وهى فتاوى سأله عنها ابن الفرات ونقلها إلى المغرب . وكان ابن القاسم معروفا بجانب علمه بالتقوى والورع والزهد . حتى أنه كان لا يقبل جوائز السلطان وإليه يرجع الفضل فى انتشار المذهب المالكى بمصر . وتوفى بمصر سنة ١٩١ هـ .

المنتظر ... وأسد واقف ينظر إليهم ، فلما رأى هذا المشهد الرائع أخذته الأريحية فاعتلى سفينة القيادة التى أعدت له ووقف خطيبا يحدث الجنود المتأهبين للقتال عن عصاميته ويوضح لهم أن الذى رفعه إلى هذه المكانة من علو الشأن وإمارة الجيش ، هو العلم والبحث والدرس ، وأنه ليس من آبائه قائد ولاحاكم ولا وال ولا أمير ولاسلطان .

خطب الجنود فألهب فيهم العزائم وبعث فى نفوسهم الثقة بالنصر فقال :

« أيها الناس ، والله ما ولى لى أب ولاجد ولاية قط ، وما رأى أحد من سلفى ما رأيت ولا بلغ ما بلغت ، وكل الذى أعدنى وهيأنى ، قلبى وعلمى فأجهدوا أنفسكم وأتعبوا أبدانكم فى طلب الحق وفى تدوين العلم ، وجالدوا عدوكم واصبروا على الشدائد فإنكم بذلك تنالون فخر الدنيا وسعادة الآخرة » .

وتحرك الأسطول الإسلامى من شواطئ إفريقية فى شهر ربيع الأول سنة ٢١٢ متجها إلى صقلية مزودا بالإيمان محصنا باليقين واثقا من النصر الذى وعد الله به عباده المجاهدين وهيأه لهم فى مواطن كثيرة ، مندفعين إلى بيع أنفسهم فى سبيل الله الذى يقول :

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ، فمن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

وهناك فى صقلية فى ميدان المعركة شرع الشيخ (أسد) يقود المعركة ، فدك الحصون وهدم القلاع وحطم قوى المدافعين وبعث فى قلوب الناس الخوف والفزع وانتصر على مدينة (إغرار) أحد حصون الجزيرة .

ولما بلغ (سرقوسة) وكانت من أقوى حصون صقلية ، حاصرها حصارا شديدا ، ولكن الأجل لم يمهله حتى يتم فتحها ، فقد انتشر الطاعون بين الجنود فمات (ابن الفرات) على أسوارها ومات معه عدد كبير من الجند ، ولم يفته وهو على فراش الموت أن يوصى قواده وجنده بإتمام الفتح ، كما عهد بإمارة الجيش إلى (محمد بن أبى الجوارى) الذى دخل (سرقوسة) واستولى على غيرها من بلدان الجزيرة .

وقد كان هذا الفتح حافزا لعزائم المسلمين الذين فتح إخوان لهم منذ مائة وعشرين سنة بلاد الأندلس وأصبحت لهم فيها دولة قوية ، دفعهم هذا للنظر إلى آفاق جديدة ، فأعدوا العدة لغزو إيطاليا واستولوا على جنوبها وملكوا مدينة (نابولى) عروس إيطاليا كما بلغوا ضواحى روما .

ولما رأى ذلك (يوحنا الثامن) بابا روما في ذلك الحين ، خشي أن يستولي المسلمون على روما ويصبح معقل المسيحية في أيدي المسلمين ففاوضهم على دفع الجزية ليعودوا من حيث أتوا .

كما كان استيلاء المسلمين على صقلية وأهم مدن إيطاليا سبيلا إلى سيادتهم المطلقة على البحر الأبيض مما جعل (البنادقة) يخشونهم فصانعوهم وطلبوا ودهم زمنا طويلا .

كما لم يكن فتح العرب لصقلية فتحا حربيا أو دينيا فقط بل كان فتحا للعلوم والحضارة وللفنون والصناعات. إذ قامت فيها نهضة شاملة على أيدي الفاتحين وسلالة الغازين وأبناء المسلمين ، فظهر في صقلية الإسلامية العلماء والباحثون والشعراء.(١) والحكماء والمهندسون والمؤرخون والقواد ، وقد بقيت آثار المسلمين زمنا طويلا ، ويقول (جوستاف لوبون) صاحب (حضارة العرب) :

« إن إمامة الثقافة والصناعة بقيت للمسلمين حتى سنة ١١٩٤ ميلادية ، وكانت المراسيم تكتب بالعربية » .

هذه لمحة خاطفة عن سيرة رجل من رجالات الإسلام بدأ حياته فقيها يعلم الناس أمور دينهم ، وختمها قائدا يفتح البلدان ويدك الحصون ، وكان يقول عن نفسه : (أنا أسد ـ وهو خير الوحوش ، وابن الفرات وهو خير الماء ، وجدي سنان وهو خير السلاح .

عبد الموجود عبد الحافظ

---

١ — منهم الشاعر المبدع (ابن حمدوس) الذي يقول في صقلية بعد أن أخرج المسلمون منها : =

= ذكرت صقلية والأسى
يهيج للنفس تذكارها
فإن كنت ، أخرجت من جنة
فإني أحدث أخبارها

التعليم القومي والتعليم الأجنبي

يقول رابندرانات تاغور الحكيم والشاعر الهندي :

التعليم بلغتنا هو الذي أنعش روحنا وأحيانا ، ورأيي أن التعليم ينبغي أن يكون كالأكل ، بمعنى أنه عند ما يسيغ الآكل اللقمة الأولى تتنبه معدته إلى عملها قبل أن تمتلئ ، ويتمكن حينئذ عصيرها من أن يؤثر كما يجب . ونقيض ذلك التعليم الأجنبي: فإن اللقمة الأولى تؤذن الطاعم بخلع سطري أسنانه أو تزلزل فمه . وفي اللحظة التي يبتدئ يعرف فيها أن اللقمة ليست من جنس الحجارة — وإنما هي من السكر وقابلة للهضم — يكون قد ولى نصف عمره ، وبينما هو يعالج مضغ كتابتها ونحوها تبقى روحه جائعة ، فإذا تذوقها تكون شهيته قد ذهبت .

رجل الدين وثقافة عصره

للأستاذ محمود الشرقاوى

كان رجل الدين ، إلى عهد قريب ، يشتغل إلى جانب الدين « بالعلم » ، فهو الذى يعلم الصبيان فى « الكتاب » ، وهو الذى يصلى بالناس ، ويفتيهم فى طلاقهم وأيمانهم ومواريثهم ، ويزوج شبابهم ويصالحهم فى خصوماتهم . وهو ، فى نفس الوقت ، الذى يكتب لهم « التحويطة » والحجاب ، ليتبخر بهما المحموم ويعلقهما المريض ، وهو الذى يكتب على « الطبق » ليغسل ما كتب فيشرب ماءه المريض فيشفى بإذن الله . ويكتب للعقيم رموزاً فى سطور فتحمل بإذن الله أيضا . ولعل هذا كله مايزال رجل الدين يمارسه فى بعض بلاد الشرق . ولم يكن ذلك عيباً فى رجل الدين ، بل كان فضيلة وكرامة . كان هذا الذى يمارسه هو « العلم » فى أقدار الناس ومعارف الحياة يوم ذاك . وكانت ممارسة رجل الدين لهذا « العلم » هى المشاركة العملية فى الحياة العامة والأثر الذى يقدمه رجل الدين للناس فيدخل به على نفوسهم الطمأنينة والبهجة والخير أيضا . حقيقة أن هذا الوضع وهذا « العلم » نفسه أثر من آثار اختلاط السحر بالكهانة فى فجر التاريخ الإنسانى . ولكن الناس كان يرضيهم ، بل يغبطهم ، هذا الوضع ، وكانوا يشعرون بأن رجل الدين جزء مكمل لحياتهم الاجتماعية ، بل جزء ضرورى حيوى ، يشعرون بفراغ كبير إذا افتقدوه ، ويقدمون له مايستطيعون من البذل والمعونة والكرامة ليسد فى مجتمعهم وحياتهم هذا الفراغ . وهذه فترة من فترات التاريخ الاجتماعى والدينى للإنسانية كلها ، مرت بها كل جماعة ومر بها كل دين .

ولم تكن ممارسة هذا « العلم » عيباً فى رجل الدين . ولكن العيب والخطأ هو فى أن ينصرف العالم عن هذا « العلم » ويضعه حيث يجب أن يكون فى « متحف » التاريخ . ويبقى بعض رجال الدين على عقيدة أن هذه المخلفات البدائية مازال من « العلم » الذى يمارسه رجل الدين .

وقد كان مفهوم « العلم » فى بعض العصور يختلف كل الاختلاف عن مفهومه الحديث ، وهما يجب أن يكون فى واقع الأمر . كان مفهومه عندئذ يتصف بصفتين بارزتين . أولاهما أنه قائم على الاستيعاب والحفظ . وحظ « العالم » من الاستظهار أعظم كثيراً

جداً من حظه من الفهم والتأمل والإدراك. والثانية الإحاطة والشمول. فكلما كان الرجل محيطا بعدد كبير من العلوم. أو بطرف من كثير من العلوم، كلما ارتفع قدره ورجح وزنه بين العلماء، كان ذلك شأنهم فى علوم اللغة والأدب. فنحن نجد، مثلا، عالما يشتق اسمه، أو لقبه، من أوائل أسماء العلوم التى يعرفها، أو يزعم أنه يعرفها، فيسمى نفسه «كشاجم» ويقول إن كل حرف من حروف هذا اللقب يشير إلى علم من هذه العلوم. فحرف «الكاف» يشير إلى أنه كاتب، وحرف «الشين» يعنى أنه شاعر وحرف «الألف» يشير إلى أنه أديب. و«الجيم» تشير إلى أنه منجم و«الميم» متصوف.

وكذلك كان شأنهم فى علوم الفقه. فنحن نجد الشيخ الأجهورى، مثلا، لا يكفيه أو يرضيه أن يكون فقيها فقط - وما ذلك بالشىء القليل - بل يقحم نفسه فى شىء غريب من العلم أو من المعرفة، هو الطب، أو «أدب المائدة» فينظم أبياتا من الشعر يذكر فيها ما يجب أن يقدم على الطعام من ألوان الفاكهة وما يؤخر، وما يجب أن يتوسط. فيقول هذه الأبيات:

قدم على الطعام توتا، خوخا
ومشمشاً، والتين، والبطيخا
وبعده الإجاص، كمثرى، عنب
كذاك تفاح، ومثله الرطب
ومعه الخيار، والجميز
قثاً، ورمان، كذاك الجوز

ونجد الشيخ عبد الله الشرقاوى لا يكفيه أو يرضيه أن يكون فقيها من أكبر فقهاء الشافعية، فيضع كتابا فى تاريخ مصر (١). لا يملك من يقرؤه نفسه من الضحك العريض والعجب المنكر والسخرية البالغة، ونجد غير هؤلاء أمثلة كثيرة لهذا الخلط العجيب بين أنواع العلم وألوان المعرفة.

وهذه، كما قلنا، فترة مرت بها الجماعات والديانات والنحل والمذاهب وليس شىء منها معيباً، فى زمنه وحينه وبيئته.

ولكن الفكر الدينى، والعلم الدينى أيضا، كائن حىّ متطور، ويجب أن يدرك رجاله ذلك، ورجال هذا الفكر لهم حق القيادة والتوجيه. وعليهم، بمقتضى ذلك، تبعات ثقيلة هى تبعات (الأمانة) والقيادة والسيادة.

ومن هذه التبعات أن يكون القائد الموجه متصلا بحياة عصره: ثقافة وإدراكا ومتابعة

(١) اسمه: «تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين»، طبع بالمطبعة الوهبية بالقاهرة سنة ١٢٨٩. (انظر تلخيصا له فى الجزء الأول من كتابنا «دراسات فى تاريخ الجبرتى، مصر فى القرن الثامن عشر» ص: ٥٤ - ٥٧ من الطبعة الثانية).

وشمولا وعمقا . أى أن يكون محيطا بحياة الناس فى عصره إحاطة تامة ، كما وكيفا ، كما يقول العلماء . ولا أقصد « حياة الناس » فى بلده ووطنه وحدهما . بل أقصد ما هو أوسع من ذلك وأشمل ، فنحن الآن فى عصر أصبح العالم كله تكاد « حياة الناس » فيه أن تكون متصلة بل متلاحمة ، مهما اختلفت أوطانهم بين المشرق والمغرب ، واختلفت ألوانهم بين الأبيض والأصفر والأسود ، واختلفت أديانهم بين الإسلام والنصرانية واليهودية والوثنية . يكاد العالم كله الآن أن يكون (قريتنا الكبرى) كما يقول «توم بين»[1].

ورجل الدين ، كما قلنا ، له حق القيادة والسيادة والتوجيه ، أو يجب أن يكون له ذلك . فمن واجب هذا القائد السيد أن يحيط بحياة الناس فى « قريته » الكبرى تلك ، وأن يتأثر بها حتى يؤثر فيها . وأول شىء نريد أن يحيط به رجل الدين هو « الثقافة » ثقافة « القرية الكبرى » لا « ثقافة » بعينها يراها هو ويكتفى بها ويدور حولها .

وليس ذلك بدعاً فى تاريخنا الدينى ولا فى سيرة رجال الدين من سلفنا فى عصور النور والمعرفة والحرية والجرأة القائمة على سعة الأفق والثقة بالنفس .

فقد ذكر ابن حجر فى الإصابة أنه كان يقرأ التوراة . ويروى ابن سعد فى « الطبقات الكبرى » عن شريك التابعى الجليل أنه قال : (رأيت عبد الله بن عمر يقرأ بالسريانية) .

وكذلك روى الكندى فى كتابه : « تاريخ مصر وقضاتها »[1] أن خير بن نعيم[2] كان يسمع كلام القبط بلغتهم ، ويخاطبهم بها . وكذلك يسمع شهادة الشهود منهم ، ويحكم بشهادتهم كما سمعها منهم بنفسه .

والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التى تحض على تعلم العلم ، من كل نوع ، يحفظها ويعرفها كل دارس وباحث .

والأمثلة على ذلك كثيرة من تاريخنا الإسلامى فى عهود السيادة والحرية والجرأة القائمة على الفهم وسعة الأفق والثقة بالنفس كما قلنا من قبل .

* * *

الفهم وسعة الأفق والثقة بالنفس ، والإحاطة الكاملة الشاملة الواعية العميقة لثقافة العصر : ثقافة « قريتنا الكبرى » فى ماضيها القديم وحاضرها الناشئ ، هذا الفهم وهذه الثقافة يجرنا الحديث عنهما إلى الحديث

(١) مفكر انجليزى عاصر الحرب الأمريكية الاستقلالية وناصرها ضد وطنه انجلترا وكان من مؤيدى الثورة الفرنسية ضد الملوك والكنسة وسجن فى باريس فكتب فى سجنه كتابه «عصر العقل».

(١) ص : ٣٤٩ [الذيل] .

(٢) تولى قضاء مصر من سنة ١٢٠ إلى ١٢٧ .

عن « الأمانة » و « الواجب » . الأمانة للدين وللحياة وللنفس وللناس . هؤلاء الناس الذين يتطلعون إلى « رجل الدين » هادياً ومرشداً ومبشراً ونذيراً والذين يجعل رجل الدين نفسه قوّاماً عليهم وخادماً في الوقت نفسه . و « الواجب » الذي يحرص رجل الدين — أو يجب أن يحرص — على أدائه غير منحرف ولا مشوب ولا خوّار ولا زائف ولا ناقص . والحديث عن هذه « الأمانة » وهذا « الواجب » ينتهي بنا إلى الحديث عن المواجهة والمجابهة والصراحة والصدق ، بل إلى الحديث عن « التحدي » إذا لزم الأمر . التحدي لبعض الضلالات والجهالات التي يؤمن بها بعض الناس وكثير من العامة يعتقدون أنها من الدين وما هي منه في شيء . و « التحدي » ببعض الآراء يخشاها بعض الناس وكثير من العامة يخافونها على الدين وهي لا تضره ولا تسيء إليه ولا تجانبه ، وليست الخشية منها إلا انسياقاً وراء المألوف ، والمتعارف ، والمتبوع .

رجل الدين المخلص المؤمن بعقيدته ودعوته ورأيه — ما دام هذا الرأي قائماً على أساس من الدين — يجب أن يؤمن أيضاً بالشجاعة والمواجهة والمجابهة في إظهار رأيه هذا ، والمدافعة عنه والمناضلة في سبيله ، ما دام يعتقد أن إفشاء هذا الرأي فيه خير للناس وخير لدينه وعقيدته .

سيلقى رجل الدين هذا عنتاً ورَهَقاً وتهمة أيضاً . ولكنه « الواجب » و « الأمانة » . وكل متصدر لعمل عام ، يجب أن يصبر ويجابه ، فهذا هو جزاء الإخلاص والشجاعة والصدق والإيمان بالدعوة والرسالة والرأي والبعد عن المداراة والمتابعة والرياء الذي هو من الشرك .

الإنتساب للدين والرأي شيء والإيمان به والتسليم له والشجاعةُ فيه شيء آخر ، وفي رسالة القديس بولس التي وجهها لأهل روما كلمة صادقة هي : « إنا الختان لا يجعل الإنسان ابنا لإبراهيم . وإنما أبناء إبراهيم هم الذين يسلكون في خطوات الإيمان » ، ومن أعظم الإيمان الشجاعة والإخلاص للعقيدة والرأي ومجابهةُ المخدوعين والخادعين بكلمة الحق . والعامة في كل عصر وموطن يعكفون على مألوفهم يشقّ عليهم أن يخرجوا منه ولو كان باطلا بيّن البطلان . والناس أعداء ما جهلوا .

ونحن نعلم أن ما نطلبه وندعو إليه ونحرص عليه لأنفسنا ولغيرنا من المخلصين ليس شيئاً هينا ولا يسيرا . ولكنا نعلم أيضا أن الرسالة العامة ، والأمانة والتصدّي لإرشاد الناس وخدمتهم والبيانَ عن دين الله الحق ، كل ذلك يستحق أن يلقى في سبيله المؤمن المخلص ما يلقى من العنت والرَّهق والتهمة أيضا

وفي تاريخ الناس وتاريخ العقيدة المثلُ

والعبرة . فقد صدم السيد المسيح عواطف المخدوعين والمنافقين وتجار الدين من اليهود وجهر فى وجوههم بكلمة الحق . فكانت مصادمته عواطف الجماهير، حتى فى ضلالاتهم وأباطيلهم ، جريمة لم يغفروها له . حتى كان عندهم أعظم جرماً من « باباس » : الشرير القاتل السفاح . . !

فنحن نرى فى قصة الأناجيل عن صلب السيد المسيح أن « بيلاطس » الحاكم الوثنى كان من حقه أن يعفو فى يوم العيد عن واحد من المسجونين . وكان بيلاطس يتحرج من قتل السيد المسيح ولكنه يتحرج أيضا من الظهور بمظهر المخالف لرغبة الشعب ، ورجال الدين . فأخرج لهم السيد المسيح وإلى جانبه باباس القاتل . وخيرهم فى أن يعفو عن واحد منهم يختارونه . فكان رأى المخدوعين والمنافقين وتجار الدين من اليهود أن يعفو عن القاتل ويأمر بصلب السيد المسيح . وكلما حاورهم بيلاطس فى رأيهم هذا وجادلهم وسألهم : ماذا فعل بكم هذا المسيح ؟ صاحوا به : ليصلب . . ليصلب .

وكان جرم السيد المسيح فى نظر هؤلاء الجماهير أنه « خرج على تقاليدهم » فكان جرمه هذا أعظم هولا من القتل وسفك الدم ظلما .

ورأى الحاكم الوثنى « بيلاطس » ألا مفر من صلب السيد المسيح . والعفو عن باباس القاتل السفاح . . . !

هكذا تصور الأناجيل قصة الصلب وغضب الجماهير ، وعلماء « اليهود على نبى الله المسيح .

* * *

ولنضرب مثلا من الحياة القائمة : فقد رأينا قبل شهور فى القاهرة أن موسيقياً هو أعظم عازف فى أوربا وأمريكا أشهر إسلامه على يد شيخ الأزهر(١) ، وسماه الشيخ « محمد الأزهرى » وباركه واختار له من يفقهه فى الدين ، وبقى الشيخ محمد الأزهرى ، الذى كان اسمه من قبل مستر ليروس ، يعزف موسيقاه ويغنى لمستمعيه فى « هلتون » وهم يشربون ويصخبون ، وقد يرقصون ويتخاصرون .

ونظرة رجل الدين حيال هذا المثل تختلف: صاحب النظرة المحيطة المتصل بحياة عصره وثقافته ، يؤمن بأن الفن والموسيقى جزء لا غنى عنه فى ثقافة العصر وفى حياة الناس ، بل هو زاد لأرواحهم وقلوبهم . ويعرف أن أصحابها من أرق الناس إحساسا وعاطفة ، وأكرمهم خلقا وأقومهم ضميرا ، فهو عند ذلك يبارك إيمان هذا المسلم الجديد ، ويرضى منه بقوله : « إننى أرى فى الإسلام عظمة الدين الحى وجلال الوحدانية » ويغبطه منه أنه ، كما قال أيضا ، يصلى الفريضة ويقرأ

(البقية على صفحة ١١٣١)

(١) نشرنا خبر إسلامه واجتماعه بالأستاذ الأكبر فى ص ٥٥٠ من مجلة الأزهر « عدد جمادى الآخرة من هذه السنة » .

لم يسخر لى الله الشجر فكيف أنمو ؟ وإذا لم يسخر الفلاح الأمير فكيف يسمو ؟ » .

وفى مقالة أخرى بالرسالة تحت عنوان (ثوروا على الفقر قبل أن يثور) (٩١٥ ١٩٥١/١/١٥) استعراض لحفلات عيد ميلاد رأس السنة تلك التى يقيمها الأمراء والباشوات فى سرف فاحش « من مآدب ومراقص فاضت بالنعيم وتلألأت بالجواهر ، والتحمت بالرقص ، وطفحت بالخمر ، وضجت بالجاز ، والتهبت بالقبل وعرضت على الأنظار الطاعمة ألوفا مؤلفة من الجنيهات المصرية ، تمثلت فى الأجساد المترفة البضة حللا وفراء وعقودا ومشابك وخواتم » مع مقارنة مبكية بالفلاح الذى يكابد كرب العيش ، وغصص الفاقة ، ومض الأمراض ، وعنت المتلاك ، فيأكل أخشب الطعام ولا يغتذى ، ويلبس أخشن الثياب ولا يستتر ، ويعمل أشق الأعمال ولا يكافأ ، وينتج أعظم الإنتاج ولا يشارك » .

وبعد : فهذه حقائق ونصوص مؤيدة بالمرجع والتاريخ ، وإنى أقدمها صحيفة لامعة فى سجل الرأى الحر ، والأدب الحى ، والصحافة الهادفة ، وإذا كانت مقالات فولتير وروسو قد بشرت بثورة فرنسا فلم لا تكون مقالات الرسالة قد بشرت بثورة ٢٣ يوليو ، فجاءت ثمرة مشتهاة من شجرة مباركة ! بل إن أحد زعماء الثورة العراقية قد اعترف صراحة على صفحات أخبار اليوم بفضل الرسالة عليه مما يثبت أن أثر الرسالة عام فى كل مكان يقرأ العربية ويعتز بالقرآن.

محمد رجب البيومى

(بقية المنشور على ص ١١٢٤)

القرآن . ويجد صاحب هذه النظرة المحيطة فى بعض ما فعل النبى عليه السلام معتمداً له وسنداً ، ويستأنس به [١] .

وبعض آخر من رجال الدين ينظر إلى جانب معيّن فى القضية ، فيرى ملابسة الرجل وشهوده لأمر من المنكر وإعانته عليه ، وقد يقول إن الغناء والموسيقى حرام ، ويكفيه ذلك قولا فى القضية .

محمود الشرقاوى

سكرتير التحرير

---

(١) انظر مثلا حديث : « إيمان ثقيف » وقدوم وفدهم على النبى عليه السلام فى الجزء ٤ من مسند الإمام أحمد ، ص : ٢١٨ .

وانظر قصة : « فتى من الأنصار كان يصلى مع النبى عليه الصلاة السلام ولا يدع شيئا من الفواحش إلا ركبه » . . . الخ فى ص : ٣٩٨ من تفسير الكشاف ، الجزء ٢ من طبعة المطبعة الأميرية .

وقائع ونصوص :

استدراك وتعقيب

للأستاذ محمد رجب البيومى

قرأت المقال المخلص الصادق الذى كتبته الأستاذة الدكتورة نعمات أحمد فؤاد تحت عنوان مولد رسالة بعدد فبراير سنة ١٩٦١ من المجلة ، فأعجبنى نزاهته الأمينة ، وإنصافه الرشيد ، ولكنى وقد كنت أحد أعضاء أسرة الرسالة أراه فى حاجة إلى تعقيب يفصل ما كان بين الرسالة وأمراء الإقطاع فى أسرة محمد على من صيال وثورة ، إذ أن الكاتبة الفاضلة قد اكتفت بالبعض عن الكل ، والرسالة ملك للتاريخ الأدبى المعاصر إذ كانت ديوان العرب المشترك ، وسجل الأدب الحديث وكتاب الشرق الجديد ، ومن حقها على كتابها أن يظهروا للناس ما يعلمون ، وقد عوّدنى الأستاذ الزيات ألا يحذف حرفا واحداً من جميع ما أنشره لديه ، وإنى لأرجوه متشددا أن يتيح لمقالى هذا مكانه من النشر ، ولن أكون فيه أديبا أحفل وأعلل ، ولكنى تمسكا بالحيدة التامة سأكون راوية فقط أذكر الحادثة والنص ، مستنداً إلى المصدر والتاريخ :

كان الأمير السابق محمد على يرى نفسه عميداً للأسرة المالكة فهو يحرص على تتبع ما يقال عن ملوكها وأمرائها فى الصحف والكتب ، وقد خصص له أجراء من القراء يوافونه بكل ما يتم منه رائحة نقد أو مؤاخذة ولم يكن لتفكيره المحدود - يعتقد بادئ ذى بدء أن الرسالة وهى صحيفة الأدب تتعرض للسياسة والحكم ، فظلت ردحاً طويلا بمنجاة من ثورته ، رغم ما كانت تفيض به من نقد صارخ وهجوم حاد على الأمراء الدخلاء والإقطاع الوبىء ، فكان الزيات يملأ افتتاحياتها بالثورة الصارخة كأن يقول بالعدد ١٨٥ (١٨ / ١ / ١٩٣٧) معرضا بالأمير يوسف كمال : « ما الذى يحبس هذا الأمير المترف أن ينفق على سلاح وطنه مثل ما ينفق على سلاح صيده ويبذل فى سبيل أمته بعض ما يبذل فى سبيل شهوته .

يريد الوطن الضعيف الأعزل من أولئك الذين ربيهم على دلال المترف ، وقلبهم فى أعطاف النعيم ، خلنا جلودهم بخيره ، وأفعم خزائنهم بذهبه ، وبسط ملكهم على أكثر أرضه ومد نفوذهم على معظم بنيه ، أن

يعززوه ليقيء عليهم ، ويسلحوه ليدافع عنهم » .

أقول : كانت هذه القذائف وأمثالها تنطلق من افتتاحيات الرسالة دون أن تجلجل فى سمع الأمير الكبير ، حتى جاءه النبأ ذات يوم أن الرسالة تطعن فى « سعيد » صاحب مأساة القناة فتنقل ملخصا لكتاب فرنسى يقول فيه مؤلفه (الرسالة ٢٣٥ - (٣/١ / ١٩٣٨) :

« إن محمدا عليا لم يعجبه أن يرى ولده سعيدا ذا جسم ضخم كثير اللحم والشحم ، فحرم عليه ألوانا من الطعام وأمر ألا يقدم إليه شيء منها ، ثم عهد به إلى فردننند دلسيبس صديقه الحميم فعلمه ركوب الخيل وحبب إليه فنونا من الألعاب والرياضة البدنية . ولكن هذه الرياضة كانت تجهد الأمير الصغير وتورثه جوعا شديدا ، ولم تكن مقادير الطعام الذى تقدم إليه لترد مسغبته ، فكان يتسرق من القصر ويهرول إلى منزل فردننند فتقدم له أطباق المكرونة فيقبل عليها إقبالا شديدا ، ومن هنا تضاعف هيام سعيد بفردننند ، فلما ولى أمر مصر بعد عباس كان فردننند قد ترك القطر وتقلب فى مناصب سياسية هامة .

وما إن علم بتربع صديقه سعيد على أريكة مصر حتى أرسل إليه بهنئه ، فأرسل سعيد يستدعيه ، وكانت ذكريات أطباق المكرونة أول حديث دار بينهما بعد هذا الفراق الطويل وفى نفس اللحظة تكلم دلسيبس عن مشروع قناة السويس فوافقه سعيد ونسى وصايا أبيه » .

ولم يكد الأمير يقرأ المقال حتى اتصل فى ثورة هائجة برئيس الوزراء ، ليطلب معاقبة الرسالة ، وكان الرئيس السابق محمد محمود صاحب الأمر فى البلاد ، وفضيلته الأولى ترفعه المتكبر على الأمراء والنبلاء ، فرد فى حزم : إن الرسالة قد ترجمت مقالا قرأه جميع الناس فى الشرق والغرب ، فإذا استطاع الأمير أن يمنع المقال فى أوربا فليمنعه فى مصر!

وقد طوى محمد على نفسه على أسف وثورة لرد الرئيس وأخذ ينتهز الفرص والأسباب .

ثم جاء مقال (فلاحون وأمراء) بالعدد (٣٠٩) ٥/٦/١٩٣٩ وقصته مشهورة ذائعة تناولتها الدكتورة الفاضلة بالحديث ، وقد وقف فيها محمد محمود موقفا مشرفا إذ أمر باشتراك الوزارة فى أعداد الرسالة ، وهاج القصر الملكى ومعه الأمراء والنبلاء ووصلت الضجة إلى صاحب الرسالة . فأشار عليه بعض الأصدقاء أن يهادن القوم وقتا ما ، ولكنه واجه الموقف فى تحد سافر ، وواصل حملته فى الثورة على الكبراء والدخلاء وظهرت أعداد الرسالة فى سنة ١٩٣٩ تحمل طابع النقمة على الدخلاء والإقطاعيين . ولك أن تقرأ افتتاحية العدد (٣١٠) لتجد الزيات

يقول فى ١٩٣٩/٦/١٢ عقب مقال (فلاحون وأمراء) مباشرة دون إمهال :

« ليس لأغنياتنا وطن إنما لهم قصور لإتلاف النعمة ، ومزارع لعصر الفلاح ، وبرك لصيد البط ، وميادين لسباق الخيل ، وأندية لقتل الوقت ، ومنازه لإظهار الأبهة وما عدا ذلك من أرض الوطن ومعنى الوطن فهم لا يعرفونه ولا يفقهونه ، هل سمعت أن غنيا من الأغنياء ، أو أميراً من الأمراء قال إن له وطنا فتبرع له بطائرة للجيش ، أو بجائزة فى المعارف ، أو بملجأ فى الأوقاف .

ثم يقول فى افتتاحية العـــدد (٣١٢) ١٩٣٩/٦/٢٦ بعد أسبوعين فقط :

« إن حالنا أشبه بحال الأمير أو الغنى الذى أوتى الملك عفواً من غير حيلة ، واستولى على ريعه صفواً من غير كلفة ، فشعوره به شعور بأثره لا بعينه ، وحرصه عليه حرص على ثمره لا على شجره ... فأنا من حق أن أقول للأمير الذى يملك ثروتنا وسمعتنا على الفتون والمجون ، وللغنى الذى يخمد نهضتنا بالكزازة واللؤم : إنكم علق تعيشون على دماء الناس ، وأنكاد تتلذذون بكفران النعم ، ولصوص تعيث أيديكم فى مال الأمة ، فحياتكم على الأرض غرور ولهو ، ونسبتكم إلى الوطن زور وباطل » .

هذه صيحات مزعجة كانت تقض مضاجع الدخلاء دون أن يجدوا طريقا لمحاربة الرسالة ، فرئيس تحريرها من أعلام الفكر فى لغة العرب ، وكتابها صفوة الأدباء فى الشرق ، والمنصفون من رؤساء الوزارة يرعون لها مكانتها العالية بين المثقفين ، ورسالتها الموجهة فى دنيا الفكر والعزة والتحرر ... ! ولكن حدثا رائعا لم يستطع الأمير محمد على صبرا عليه ، فقد أخذت الرسالة لأول مرة فى تاريخ الصحافة المصرية تنشر تاريخ الزعيم البطل أحمد عرابى على نحو يتجه إلى إدانة توفيق بالخيانة وتهمة القصر بالجريمة ، وتوفيق والد محمد على وأقرب الناس إليه . فكيف يسكت عن سبه واتهامه فى صحيفة ذائعة تقود العقول ، وتوجه مجرى التفكير !! وقد أخذت مقالات الأستاذ الجريء محمود الخفيف بالرسالة تتوالى فى قوة وإخلاص ، وكل مقال يزيل اللثام عن جريمة أو يكشف القناع عن مأساة ، وصورة عرابى البطل تزين كل عدد من الأعداد ! ! والأمير حائر مدهوش يتجه إلى القصر فيجده - لنزاع كان بين فؤاد ومحمد على - لا يهتم بتوفيق اهتماما حاسما يوقف النشر ، وإنما همه إذ ذاك أن يحفظ سير فؤاد وإسماعيل وإبراهيم ومحمد على الكبير !! والمقالات الرنانة تدوى فى مجلة شهيرة جهيرة حتى تصل إلى العشرين !! ويوحى تسلسلها المنتظم أن الأستاذ الخفيف ومن ورائه الزيات سيمدان حبل الحديث

حتى يكشف كل مستور فاضح من الخيانة والإجرام ، وكانت الحرب العالمية الثانية على الأبواب ، فاتجه الأمير إلى السفارة البريطانية ، يعلمها أن مقالات عرابي بالرسالة ستثير الشعور فى الشرق العربى ضد الانجليز فهم أبطال الاحتلال وتوفيق صنيعتهم الأول ، واقتنع السير مايلز لامبسون (اللورد كلير فيما بعد) فأمر الرقابة أن توقف النشر ، وصدر العدد (٣٢٨) من الرسالة ، وبه هذه الكلمات :

« اضطررنا لقطع سلسلة البحث فى تاريخ عرابي نظراً للظروف الحاضرة ، وسنعود إلى وصلها فى الوقت المناسب » .

ولم ير الأستاذ الخفيف بعد ذلك أن ينشر مقالات متتابعة عن عرابي فتتعرض إلى ماتعرضت له المقالات الأولى من مصادرة ، ولكنه كتب مؤلفا ضخما عن الزعيم ثم نشرته مرة واحدة مطبعة الرسالة ، واستقبله الزيات استقبالا حافلا فخصص له افتتاحية العدد (٧٣٤) ١٩٤٧/٧/٢٨ وفيها يقول :

« هذا الكتاب هو الحق الذى اختفى منذ خمسة وستين عاما لم يظهر فى خلالها على لسان ولا قلم حتى ظهر أخيراً على ضوء هذا اليراع النبيل رائع البيان ، ساطع الحجة ، والحق كالصبح لابد أن ينبلج مهما يتطاول الليل ويحلو لك ظلامه ، لقد استعجمت مذاهب العدل فى قضية عرابي نلثى قرن حتى أبانه الكاتب النزيه محمود الخفيف فإذا عرابي زعيمنا الصادق وقائدنا الشجاع ، وموقظنا المبكر وأن هذا الكتاب أول كتاب فى بابه » .

وقبل أن أترك هذه الحادثة أسجل إعجابى بالكاتب النزيه والمؤرخ الغيور أستاذنا محمود الخفيف فقد أصدر كتابه الأمين فى وقت تكالب فيه المتملقون على تنزيه توفيق وتسفيه عرابي فجاء كتابه صبحا وضيئا يمحو الظلام .

على أن الأستاذ الزيات لم ينس ثأره من محمد على فقد هاجمه مهاجمة عنيفة ، وكانت مأساة الكوليرا فى سنة ١٩٤٧ سبيله إلى ذلك ، إذ فتك الوباء بالضعفاء من الفقراء فتكا ذريعا ، وانتظر الناس من الإقطاعيين أن يمدوا يد العون للمنكوبين فما استشعر الرحمة أحد من هؤلاء !! وظهر الأمير السابق بحديث ثقيل كريه فى جريدة الأهرام يعلن فيه تمسكه بآداب الدين ، وتعاليم الإسلام ، ويحمد الله على هدايته وتوفيقه فيما أحرز من نجاح ، وأصاب من اطمئنان ! ! وكان هذا الكلام نشازا مزعجا فى هذه المحنة الشعبية الأليمة ، فقرأه الزيات ونقده نقدا لاذعا فى افتتاحية العدد (٧٤٨) ١٩٤٧/١١/٣ ، وفيه يقول :

« يقول الأمير : إنى أشهد الله على أن كل توفيق

أصبحه ... وكل خير فيه منذ نشأته إلى اليوم كان مرجعه التزامه بأوامر الدين وانتهائه بنواهيه .

جميل ، من سمو الولى أن يعتقد الدين ويعمل به ويتعصب له ، فى وقت نسى الناس فيه الله ، فعبد الأمراء الشهوة ، وألّه الأغنياء المال ، ولكن لماذا اقتصر أمير الأمراء من فضائل الإسلام على المحبة والسلام والصلاة والصيام ، وقد كنا نطمع فى صدق إيمانه وسمو بيانه أن يذكر كذلك الزكاة والإحسان والبر والتعاون ليعلم أولئك الأمراء الذين أسلموا ولم يؤمنوا أن الدين عمل ومعاملة ، وتثقيف وتكليف ، وإيثار وتضحية ، نعم كنا نطمع فى سمو الأمير أن يدعو إلى الجهة العملية من الدين عسى أن يستجيب له أولئك الذوات المدللون المرفهون الذين مزقهم الوطن كرها على بنيه . وآثرهم للشعب جهلا على نفسه ، وحق الله ضئيل بجانب حق الشيطان الذى يولم الولائم الفاجرة ، ويقيم السهرات الداعرة ، ويجود على انجلترا الخثون من غير طلب ، وينفق على تركيا العقوق من غير حساب ، ولكن حق الله على ضآلته ثقيل لأنه ينفق على العامل والفلاح ، وحق الشيطان على ضخامته خفيف لأنه ينفق فى الميسر والراح » .

وهذا كلام ثائر ، فيه من الهجوم واللذع ما تتحجر حمم مشتعلة إذا وقد اوصله أجراء الأمير إليه ، فقرأه فى غضب ، واتصل بالنقراشى رئيس الوزراء ، فطمأنه فى رفق مصطنع ، إذ أن هوى النقراشى رحمه الله كان مع الرسالة ، وقد عرض ذات مرة على الأستاذ الزيات أن يرأس تحرير جريدة الدستور اليومية بمرتب ضخم فاعتذر الأستاذ بأن سياسته قومية لا حزبية ، وأن الرسالة تشغله عن كل شىء .

والحق أن ظروف صاحب الرسالة وبيئته الريفية قد ألزمته إلزاما بمحاربة الإقطاع فى مصر ، فقد شهد عن كثب مآسيه ، ورأت نفسه الشاعرة آلاف الضحايا من المعدمين ، وآحاد الجناة من الأمراء وذوى الألقاب ، وإنه ليتحدث صريحا عن بيئته الريفية فيقول فى الرسالة (٢٨٩) ١٦ يناير سنة ١٩٣٩ :

« أعرف فى بعض مراكز الغربية عشرين بلدة يملكها من الشرق أمير ، ومن الغرب باشا ، فليس لأحد من الأهلين فيها شبر أرض ولا جذع شجرة . إنما هم أجراء أو مستأجرون سخرتهم الغفلة والاستكانة لرجلين كسائر الرجال ، ليس لبطنيهما سعة البحر ، ولا لعزميهما قوة الدهر ، ولكن لهما عينين كعين الجحيم لا تمتلئ ، ونفسين كجوف الرمل لا يرتوى ، فهما يعصران من أجساد هذه الألوف الجاهدة ذهبا يكتنز ، وقصورا تشاد

وسلطانا يرهب ، وقطعانا تسعى ومراكب تطير . ولذائذ تنال . وهما لا يتركان لفلاحيهما المساكين ما يمسك الروح ويستر البدن ، يأخذون الدور التي يأوون إليها ، والبهائم التي يزرعون عليها ، فإذا فزعوا إلى فضل الأمير أو الباشا زم بأنفه واستكبر أن يفتح عينيه على هذا الهوان والقذر ، ولعله ساعتئذ كان يمسح خرطوم كلبه أو برجل عرف جواده » .

هذه الدراية التامة بمأساة الأجراء من الفعلة ، والضحايا من العملة جعلته يعرض قضاياهم الأليمة وصورهم الدامية عرضا يستنزف الدموع ! فهو يختلط بهم في قريته ، ويؤاكلهم في بيته ثم يروى عن أحدهم فيقول بالرسالة (٤٤٨ - ٢ فبراير سنة ١٩٤٢) :

« كان لي عند الباشا ثمن أربعين مقطفا صنفرتها من الخوص لدائرته ، فلما جئته أقتضيه الثمن أنكره وأكبره ، وتهجم على بالكلام العنيف . وقال محتجا لسبابه واغتصابه : إن صنفر الخوص عمل العاجز ، وإن رجلا في مثل صحتك وقوتك لا يجدر به غير الفاس والكريك ، فقلت له في هدوء : يا باشا إن نصيحتك إياى على نفاستها وقداستها لا تبرر أكلك حقي ، ومن اليسير على أن أنزل لك عن هذه القروش ثم لا أنقص شيئا ، ولكنك قد تزيد شيئا وكلما زاد مالك ساء حالك . أنا فقير لأني مصاب في جيبي ، وأنت فقير لأنك مصاب في معدتك ، فأنا أشتهي ولا أجد ، وأنت تجد ولا تشتهي وحرماني مؤقت ، وحرمانك مؤبد . وجيبي المفتوق يرتقه الرفاء بقرش . ومعدتك البالية لا يجددها الطبيب بمليون » ! ! .

وقد أخذت حملات الرسالة على الإقطاع وأمراء الأسرة تمتد شيئا فشيئا حتى تحولت في سنتيها الأخيرتين إلى مظاهرة رنانة ! ولن أتحدث عن تنديد الرسالة بالأميرة فتحية فقد تعرضت لها الدكتورة نعمات بالتفصيل ، ولكني أعلن أن الرسالة قد تنبأت بالثورة المباركة حين كتب الأستاذ الزيات مقالة هي يارياح الخريف بالرسالة (٩٥٤) ١٥ / ١٠ / ١٩٥١ وقد هاجم فيها أساليب الحكم والسياسة ، ثم قال عن أسرة محمد علي :

« هي يارياح الخريف هي ، هي واقلعي ذلك النبات الدنيء الذي يتطفل على أشجار الوادي فيتغذى على أصولها ويتسلق على فروعها ، حتى إذا أدرك الهواء والضياء والرفعة التف بعساليجه وكلاليبه على أعاليها التفاف الأفعوان ، فيكظم أنفاسها فلا تتنسم ، ويشل حركتها فلا تميس ، ثم يقول مشيراً بأطرافه الرخوة إلى كل عابر ! ألست أنا الأمير وهذا الشجر هو الفلاح ، وإذا

لم يسخر لى الله الشجر فكيف أنمو ؟ وإذا لم يسخر الفلاح الأمير فكيف يسمو ؟ » .

وفى مقالة أخرى بالرسالة تحت عنوان (ثوروا على الفقر قبل أن يثور) (٩١٥ ١٩٥١/١/١٥) استعراض لحفلات عيد ميلاد رأس السنة تلك التى يقيمها الأمراء والباشوات فى سرف فاحش « من مآدب ومراقص فاضت بالنعيم وتلألأت بالجواهر ، والتحمت بالرقص ، وطفحت بالخمر ، وضجت بالجاز ، والتهبت بالقبل وعرضت على الأنظار الطاعمة ألوفا مؤلفة من الجنيهات المصرية ، تمثلت فى الأجساد المترفة البضة حللا وفراء وعقودا ومشابك وخواتم » مع مقارنة مبكية بالفلاح الذى يكابد كرب العيش ، وغصص الفاقة ، ومض الأمراض ، وعنت المتلاك ، فيأكل أخشب الطعام ولا يغتذى ، ويلبس أخشن الثياب ولا يستتر ، ويعمل أشق الأعمال ولا يكافأ ، وينتج أعظم الإنتاج ولا يشارك » .

وبعد : فهذه حقائق ونصوص مؤيدة بالمرجع والتاريخ ، وإنى أقدمها صحيفة لامعة فى سجل الرأى الحر ، والأدب الحى ، والصحافة الهادفة ، وإذا كانت مقالات فولتير وروسو قد بشرت بثورة فرنسا فلم لا تكون مقالات الرسالة قد بشرت بثورة ٢٣ يوليو ، فجاءت ثمرة مشتهاة من شجرة مباركة ! بل إن أحد زعماء الثورة العراقية قد اعترف صراحة على صفحات أخبار اليوم بفضل الرسالة عليه مما يثبت أن أثر الرسالة عام فى كل مكان يقرأ العربية ويعتز بالقرآن.

محمد رجب البيومى

(بقية المنشور على ص ١١٢٤)

القرآن . ويجد صاحب هذه النظرة المحيطة فى بعض ما فعل النبى عليه السلام معتمداً له وسنداً ، ويستأنس به [١] .

وبعض آخر من رجال الدين ينظر إلى جانب معيّن فى القضية ، فيرى ملابسة الرجل وشهوده لأمر من المنكر وإعانته عليه ، وقد يقول إن الغناء والموسيقى حرام ، ويكفيه ذلك قولا فى القضية .

محمود الشرقاوى

سكرتير التحرير

---

(١) انظر مثلا حديث : « إيمان ثقيف » وقدوم وفدهم على النبى عليه السلام فى الجزء ٤ من مسند الإمام أحمد ، ص : ٢١٨ .

وانظر قصة : « فتى من الأنصار كان يصلى مع النبى عليه الصلاة السلام ولا يدع شيئا من الفواحش إلا ركبه » . . . الخ فى ص : ٣٩٨ من تفسير الكشاف ، الجزء ٢ من طبعة المطبعة الأميرية .

الحسن البصري الزاهد العابد

للدكتور جمال الدين الرمادي

حينما عرف الغزالي التصوف في إحياء علوم الدين قال : إن التصوف أمر باطن لا يستطلع عليه ، ولا يمكن ضبط الحكم بحقيقته ، بل بأمور ظاهرة يعول عليها أهل العراق في إطلاق اسم الصوفي ، والتفضيل أن يلاحظ في الصوفي خمس صفات : الصلاح والفقر وزي الصوفية ، وألا يكون مشتغلا بحرفة ، وأن يكون مخالطا لهم بطريق المساكنة . وقد وافق كثير من علماء المتصوفة الغزالي على تعريفه ، بل لقد اشترط بعضهم اشتراطات أخرى شديدة على المتصوفة ولا محل لذكرها الآن .

ولكن المهم أن هنالك فئة من الزهاد والعباد سبقوا حركة التصوف ونهجوا في حياتهم نهجا أشبه بنهج المتصوفة ، ومهد زهدهم وعبادتهم إلى خروج التصوف إلى معناه المعروف في تاريخ الأديان ، ومن هؤلاء الزهاد والعباد الحسن البصري المسلم الزاهد في القرن الأول الهجري وشطر من القرن الثاني لا يتعدى عشر سنوات . فقد كان الحسن البصري أو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن ، حليف الخوف والحزن وأليف الهم والشجن ، وعديم النوم والوسن ، نموذجا حيا للفقيه الزاهد ، في متاع الدنيا وزينتها ، وزخرف الحياة وبهجتها ، وشهوة النفس ورغبتها .

ولقد تشكل الزهد في الإسلام بطابعين طابع الخوف وطابع الحب ، ومثال الأول الحسن البصري الذي نتحدث عنه اليوم ـ ومثال الثاني رابعة العدوية التي أخرجته من الخوف من عذاب النار ، والشوق إلى ثواب الجنة إلى حب الله وطاعته والأنس به ، والإقبال عليه ، والشوق إليه . فقالت في إحدى مناجاتها : إلهي إذا كنت أعبدك رهبة من النار ، فاحرقني بنار جهنم ، وإذا كنت أعبدك رغبة في الجنة فاحرمنيها ، أما إذا كنت أعبدك من أجل محبتك فلا تحرمني يا إلهي من جمالك الأزلي » .

أما الحسن البصري فكان من طابع الزهد الأول ، وقوامه الخوف من العذاب ، والأمل في الثواب . وليس أدل على إمعانه في الخوف ، وخشيته ورعبته من أن الشعراني صاحب الطبقات الكبرى قال عنه « كان قد غلب عليه الخوف حتى كأن النار لم تخلق إلا له » ، وساقه هذا الخوف إلى حزن عميق يكتنفه

[illegible] ويطريه عليها من كثرة التفكر والتأمل [illegible] (إن المؤمن يصبح حزينا ويمسى حزينا ، ولا يسعه إلا ذلك ، لأنه بين مخافتين : بين ذنب قد مضى لا يدرى ما الله يصنع فيه ، وبين أجل قد بقى لا يدرى ما يصيبه من المهالك) .

كما قال : (الرجاء والخوف مطية المؤمن) . وقال كذلك : (إن المؤمن يصبح حزينا ، ويمسى حزينا ، ويتقلب باليقين فى الحزن ، ويكفيه مايكفى العنيزة : الكف من التمر ، والشربة من الماء) .

وهكذا كان الحسن البصرى تظلله دائما سحابة من الحزن ، وغيمة من الشجن ، ويدفعه وازع من الخوف ، وأمل من الرجاء ، غير أنه كان يتنسم للحياة القلب والكيان ، ويمضى فيها الفكر والشعور ، ويضج الناس بالتجربة ممتلئا بالزهد فيها ، والانصراف عن ملذاتها وشهواتها التى تجعل من الناس بهيمة تسعى وتدب على الأرض ، فقال : (يابن آدم أنت اليوم فى دار هدى لا قطلك ... ثم تمضى بأعمالها إلى أشد الأمور وأعظمها خطراً ، فاتق الله يابن آدم ، وليكن سعيك فى دنياك لآخرتك ، فإنه ليس لك من دنياك شىء إلا ما صدرت أمامك ، ولا تدخرن عن نفسك مالك ، ولا تتبع نفسك ما قد علمت أنك تاركه خلفك)

[illegible] الحسن البصرى يتوق إلى الجنة ، [illegible] إليها عظيم وشوقها السابغ [illegible] نعيمها المقيم ، وكانت عيناه تدمعان حينما يتلو القرآن الكريم ويتذكر قوله تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » أو قوله « ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون » أو غير ذلك من الآيات البينات التى تشوق المؤمنين فى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

غير أن الحسن البصرى كان يرى أن الجنة لا يمكن أن تهدى إلى الناس إهداء ، أو تسدى إليهم إسداء ، أنه لا بد من سعى فى سبيلها ، ولا بد من جهاد من أجلها ولا بد من سلوك طريق يؤدى إليها ، وهذا الطريق تؤامه الأعمال الخالصة ، وفى هذا يصرح الحسن البصرى لابن آدم قائلا : « يابن آدم عملك عملك ، فإنما هو لحمك ودمك ، فانظر إلى أى حال تلقى عملك ، لأن لأهل التقوى علامات يعرفون بها : صدق الحديث ، والوفاء بالعهد ، وصلة الرحم ، وحسن الخلق ، وما يقربك إلى الله عز وجل ...) .

وكان الحسن البصرى يرى أن كل نعيم دون الجنة حقير ، وكل بلاء دون النار يسير ، وكان ينظر إلى الموت نظرة حصيفة ، ورأى رجلا يأكل بين المقابر فزجره ، ووبخه

وقال : (أما فى حال هؤلاء الأموات ما يكفيك عن تذكر الأكل) ومر عليه شاب وعليه بردة ، فدعاه فقال : (إيه يابن آدم معجب بشبابه ـ معجب بجماله ـ معجب بثيابه ، كأن القبر قد وارى بدنك ، وكأن قد لاقيت عملك ، فداوِ قلبك ، فإن حاجة الله إلى عباده صلاح قلوبهم) .

وقد دفع الزهد الحسن البصرى إلى الانصراف عن مظاهر الحياة المادية ، وما يتبعها من مال وعرض ، وضياع وجاه ونفوذ ، فقال : (بئس الرفيقان الدرهم والدينار !) .

وقد بنى أحدهم بماله داراً فخمة ضخمة ، ودعا الحسن إلى دخولها فدخل فنظرها ثم قال : (أخربت دارك ، وعمرت دار غيرك ، لاغرك من فى الأرض ، ومقتك من فى السماء ، طأ الأرض بقدمك ، فإنها عن قليل قبرك ، إنك لم تزل فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك) .

وهكذا أسس الحسن البصرى مذهبه القائم على الزهد الخاضع لسلطان الحزن ، والبكاء ، والخوف من النار ، والحنين إلى الجنة ، والشوق إلى نعيمها المقيم ، ورضاها الجميل الذى مالا رأته عين ، ولا سمعته أذن ، ولا مر على لسان ، وجاء ذكره فى القرآن الكريم ، فتاقت النفوس الطيبة إليه ، واشتغلت القلوب المؤمنة تعلقاً به وحرصاً عليه ، وقد ظل الحسن البصرى ينشر مذهبه بين أتباعه ومريديه حتى شاعت طريقته ، كما شاع أسلوب رابعة العدوية فى زهدها ، وأخذ أتباع هذين المذهبين من الزهد ينتشرون هنا وهناك ، فى أرجاء البلاد الإسلامية ، طيلة القرنين الأول والثانى الهجرى . حتى اجتمع شملهم والتأم شتاتهم فى هيئة منظمة أوشبه منظمة تعرف بالصوفية . ولم تلبث أن ظهرت طرائق متعددة للتصوفة وأساليب مختلفة ولكنها جمعت بين صفوفهم .

وهنا يحق لنا أن نقول : إن الحسن البصرى لم يكن متصوفا بالمعنى المعروف ، إنما كان زاهداً عابداً ، والزهد غير الفقر والتصوف ، ويقول السهروردى فى كتابه « عوارف المعارف » : إن التصوف اسم جامع لمعانى الفقر والزهد ، ولكن بزيادة أوصاف وإضافات بدونها لا يكون الصوفى صوفياً ، ولو كان زاهداً فقيراً ، فالتصوف أعلى من الفقر والزهد ، وإن كان منطويا عليهما ، ومستنداً إليهما ، لأنهما يمهدان إلى النفحات الربانية ، والإشراقات الإلهية ، والتصوف عمل لبواطن القلوب . وقد تعددت أقوال الصوفية وتباينت تعريفاتهم فى مفهوم معنى التصوف ، وتفرقوا فى ذلك شيعاً وأحزابا فى القرون المختلفة .

لم يكن الحسن البصرى إذن متصوفا إنما مهد لظهور التصوف بما سلكه من سلوك الزاهد المتبتل وبما نفوه به من حكم كالدر المنثور ، والزهر المنضود ، حتى قال الجنيد المتصوف فى تعريف التصوف :هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به وتكون مع الله بلا علاقة ، كما قال آخر : (التصـــوف هو الدخول فى كل خلق سنى" ، والخروج من كل خلق دنى) . وقال آخر : (هو استرسال النفس مع الله على ما يريد) وقال سهل الصوفى : (من صفا من الكدر ، وامتلأ من الفكر ، وانقطع إلى الله دون البشر واستوى عنده المال والمدر) . وقال آخر: (الصوفى كالأرض يطرح عليه كل قبيح . ولا يخرج منه إلا كل مليح) . وقال السهروردى : (الصوفى هو الذى يكون دائم التصفية لا يزال يصفى الأوقات عن شوائب الأكدار بتصفية القلب عن شوب النفس ، ويعينه على هذه التصفية دوام افتقاره إلى مولاه ، فبدوام الافتقار ينقى من الكدر ، وكلما تحركت النفس . وظهرت بصفة من من صفاتها أدركها ببصيرته النافذة وفر منها إلى ربه، فبدوام تصفيته جمعيته . وبحركة نفسه تفرقته وكدره . فهو قائم بربه على قلبه . وقائم بقلبه على نفسه . قال الله تعالى: « كونوا قوامين لله شهداء بالقسط » ، وهذه القوامة لله على النفس هى التحقق بالتصوف » .

ومن يتأمل فى هذه الأقوال يلاحظ أنها لا تختلف كثيراً عن أقوال الحسن البصرى فى الحياة والزهد . وتطهير النفس ، وإيثار الفقر . والتقرب إلى الله عز وجل ؛ بيد أن الحسن كان يطوى هذا كله بغلالة من الخوف والرهبة والأسى والحزن ، وهذا ما كان يميز زهده وتعبده .

وقال الغزالى : (كان الحسن أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء ، وأقربهم هديا من الصحابة ، اتفق العلماء فى حقه على ذلك) . وقال ابن عربى : (الحسن عندنا من أئمة أهل طريق الله جل جلاله . ومن أهل الأسرار والإشارات) وقال الحافظ : (كان يستثنى من كل غاية ، فيقال : فلان أزهد الناس إلا الحسن وأفقه الناس إلا الحسن ، وأفصحهم إلا الحسن) .

ونظر إليه راهبان فقال أحدهما لصاحبه : (مل بنا إلى هذا الذى سمته سمة المسيح ، فمدلا إليه ، فألفياه مفترشا لذفنه راكعا وهو يقول : (يا عجبا لقوم أمروا بالزاد . وأذنوا للرحيل ، ما الذى ينتظرون . .) ؟

دكتور . جمال الدين الرمادى

زواج المسلم بغير المسلمة

للأستاذ أحمد الشرباصي

الزواج بغير المسلمة موضوع ثار ويثور من حين إلى حين ، تارة في الصحف والمجلات ، وتارة في النوادي والمجتمعات ، ومن الخير أن تقال فيه كلمة الإسلام واضحة مؤيدة بالدليل والبرهان ، ليستبين للناس وجه الحق فيه . و « ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حي عن بينة . وإن الله لسميع عليم » .

لقد برأ الخالق العظيم هذا الكون ، وأوجد هذه الحياة ، وكان لا بد من وسيلة مجددة وعالية لتعمير الكون وإبقاء الحياة واتصال هذا الجنس البشري الذي يعد سيد المخلوقات فوق هذه الأرض ، وقد شرع الله الزواج لتحقيق هذا الهدف . وجعله عقدا تباركه يد الله وتلحظه عنايته وتحوطه رعايته ، فهو شركة بين اثنين يوثق رباطها اسم الله ، وهو مشاركة في السراء والضراء ، وتعاون في أمور الحياة ، وأنس ومودة ، وعشرة ومحبة ، وصحبة تمتد على الأيام حتى يكون الشأن فيها أن تكون صحبة العمر بطوله : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

ولأن الزواج في الأصل هو « صحبة العمر » حاطه الإسلام بحوافظ وسوائد كثيرة تبعده عن الإكراه والجهالة ، وعدم الكفاءة والتناسب ؛ ولا يستقيم أمر الزواج إلا إذا توافر للزوجين التقارب في المعتقدات والآراء والأفكار ؛ ولذلك كان الأصل والعادة أن يختار الزوج زوجته من بيئته وعقيدته وطريقته ومستواه المادي والأدبي في الحياة ، وكان الأولى بالمسلم أن يتزوج مسلمة مثله لاتحادهما في الدين الذي يؤدي إلى اتفاق المشاعر والعواطف والأفكار . ولئلا يكون الزوج بغير المسلمة فاتحة إلى تأثر الزوج بدينها إن استسلم لها ، أو لإساءته إليها إن وقف منها موقف الإباء والتشدد ، ولئلا يساء استغلال الزوج إذا كانت الزوجة من غير دولة الزوج . لعل هذا هو ما دفع الدول إلى تحريم الزواج من أجنبيات على الذين يقومون بواجبات سياسية لبلادهم كالسفراء والقناصل وغيرهم .

كما أن فتح الباب على مصراعيه أمام تزوج المسلم بغير المسلمة قد يؤدى إلى تزايد عدد الفتيات المسلمات اللواتى لا يجدن أزواجا لهن ؛ كذلك من خطر التزوج بغير المسلمة أن الزوج لا يطمئن على مصير الأولاد ، لأن الولد مولع بتقليد أمه قبل تقليد أبيه ، وقد يؤدى هذا إلى تأثر الولد بدين أمه ، فينشأ غير قويم الإسلام ، مع أنه يتبع أباه من ناحية الدين ؛ لأن الولد يتبع خير الأبوين ديناً .

ونحن نستعرض تاريخ الصدر الأول من المسلمين فنجد الأغلبية الساحقة منهم يتزوجون مسلمات . ولا نجدهم يتزوجون غير مسلمات إلا فى حالات فردية نادرة ، وذلك لأنهم يعتبرون الإسلام هو الطابع الأساسى الذى يطبعهم بالصبغة العامة لهم : « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون » .

ولكن من حقنا أن نتساءل : ألا يجوز للمسلم أن يتزوج غير مسلمة . وهذا التساؤل يؤدى بنا إلى تساؤل آخر : ومن هى غير المسلمة ؟ إن غير المسلمة نوعان ، لأنها إما أن تكون كتابية ، أى من أهل دين سماوى له كتاب من الله ، ورسله نبى بلغه ، وإما أن تكون مشركة بالله ، أو لا تدين بدين .

ويقول بعض العلماء : إن ظاهر لفظ « الشرك » لا يتناول أهل الكتاب ، ويستدلون على ذلك بقول الله تعالى : « ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم » ، وقوله أيضا : « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين » . لأن عطف « المشركين » على « أهل الكتاب » يدل على أن أهل الكتاب غير المشركين(١) ، لأن العطف يقتضى المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه .

وقد أجمع الأئمة على أنه لا يجوز للمسلم أن يتزوج مشركة أو من لا تدين بدين ، فلا يحل له أن يتزوج عابدة صنم أو وثن أو شمس أو كوكب أو حيوان أو إنسان ، ولا يحل له أن يتزوج الملحدة التى لا تعترف بوجود الله ولا بوجود الدين الإلهى ، أو الدين السماوى — بتعبير الفقهاء — والمراد بالدين السماوى هنا الدين الإلهى الذى له كتاب عند الله فى عهد هذا الدين . وله رسول جاء ذكره فى القرآن الكريم بالتفصيل أو الإجمال .

والنهى عن زواج المشركات — ويقاس عليهن الملحدات — جاء صريحا فى القرآن الكريم ، حيث يقول الله تعالى : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ، ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم » .

قال الفقهاء : فلا يجوز حينئذ أن يتزوج المسلم وثنية أو بوذية أو نحوها ، إذ ليس لهؤلاء كتاب إلهى منزل من عند الله ، وليس لهم نبى مرسل من قبل الله تعالى

(١) انظر تفسير القرطبى ، ج ٣ ص ٦٨ .

ويقول ابن جرير الطبرى عند تفسير الآية السابقة : « اختلف أهل التأويل فى هذه الآية، هل نزلت مرادا بها كل مشركة ، أم مرادا بحكمها بعض المشركات دون بعض ؟ وهل نسخ منها بعد وجوب الحكم بها شى أم لا ؟ فقال بعضهم : نزلت مرادا بها تحريم نكاح كل مشركة على كل مسلم ، من أى أجناس الشرك كانت عابدة وثن ، أو كانت يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو غيرهم من أصناف الشرك ، ثم نسخ تحريم نكاح أهل الكتاب » .

وذكر الطبرى الروايات فى ذلك ثم قال : « وقال آخرون : بل أنزلت هذه الآية مرادا بحكمها مشركات العرب ، لم ينسخ منها شىء ولم يستثن ، وإنما هى آية عام ظاهرها خاص تأويلها » .

ويقصد بخصوص تأويلها أن المراد بها اللاتى أشركن ولا كتاب لهن يقرأنه ، وساق الروايات فى ذلك ثم قال : « وقال آخرون : بل أنزلت هذه الآية مراداً بها كل مشركة من أى أصناف الشرك كانت ، غير مخصوص منها مشركة دون مشركة ، وثنية كانت أو مجوسية أو كتابية ولا نسخ منها شىء » .

وساق الروايات فى ذلك ثم قال : « وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قاله قتادة من أن الله تعالى ذكره عنى بقوله : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » من لم يكن من أهل الكتاب من المشركات ، وأن الآية عام ظاهرها خاص باطنها . لم ينسخ منها شىء ، وأن نساء أهل الكتاب غير داخلات فيها » (١) .

والشيعة ترى غير هذا الرأى ، يقول الطبرسى المفسر الشيعى فى تفسيره للآية : « وهى عامة عندنا فى تحريم مناكحة جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم وليست بمنسوخة ولا مخصوصة » (٢) .

وكذلك استدل الفقهاء على تحريم تزوج المسلم بالمشركة بقوله تعالى : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » . والعصم جمع عصمة ويراد بها العقد ، والكوافر جمع كافرة ، أى لا تمسكوا أيها المؤمنون بحبل النساء الكوافر وأسبابهن . وهذا أمر من الله تعالى بتطليق المسلمين لنسائهم الكافرات حينئذ ، وفيه أيضا نهى من الله للمؤمنين عن الإقدام على نكاح النساء المشركات ، ولقد كان لعمر زوجتان مشركتان فطلقهما عقب نزول الآية وطلق طلحة بن عبيد الله زوجة له مشركة ، كما طلق المؤمنون حين نزولها كل امرأة كافرة كانت تحت رجل منهم . وقال ابن زيد : إذا كفرت المرأة فلا تمسكوها خلوها ، وقعت الفرقة بينها وبين زوجها حين كفرت » .

والحكمة فى تحريم زواج المشركة ومن لا دين له قد أشارت إليها آية البقرة الناهية عن زواج

(١) تفسير ابن جرير ، طبعة الحلبى ، ج ٢ ص ٣٧٦ و ٣٧٧ .

(٢) تفسير الطبرسى طبعة صيدا ج ١ ص ٣١٨ .

المشركات حيث قال الله فيها : «أولئك يدعون إلى النار» ، لأن المرأة المشركة أو التي لا تدين بدين إلهي تخلب لب زوجها ، وتجره إلى شركها أو إلحادها ، وتفتنه عن دينه ، وقد تتذرع إلى ذلك بجمالها ورقتها وتدبيرها . فينسى الزوج تماسكه الديني ، ويتساهل في أمور عقيدته وعبادته ، فإذا هو يستحسن ما تستحسن زوجته ، ويستقبح ما تستقبح ، فيقوده ذلك إلى الإعجاب بوثنيتها وشركها وإلحادها ، ويترك دينه وراءه ظهريا ، فيفضي به ذلك إلى عقاب الله وعذابه بالنار : «أولئك يدعون إلى النار» .

جاء في تفسير المنار : «أشار بأولئك إلى المذكورين من المشركين والمشركات ، أي من شأنهم الدعوة إلى أسباب دخول النار بأقوالهم وأفعالهم ، وصلة الزواج أقوى مساعد على تأثير الدعوة ، لأن من شأنها أن يتسامح معها في شئون كثيرة ، وكل تساهل وتسامح مع المشرك أو المشركة محظور محذور الشر ، بما يخشى منه أن يسري شيء من عقائد الشرك للمؤمن أو المؤمنة بضروب الشبه والتضاليل التي جرى عليها المشركون»[1] .

ولو فرضنا أن الزوج كان من الصنف الشديد في دينه المعتصم بيقينه ، لكان هناك احتمال قوي أن يؤدي به هذا التماسك إلى الصرامة مع زوجته لوثنيتها وإشراكها ، فيسيء معاملتها ، فيسوء مظهر الإسلام من جهة . ولا نستقر بينهما الحياة الزوجية من جهة أخرى .

ولا شك أن التنافر بين الإشراك والإسلام شديد واضح واسع . فالمسلم المؤمن في نهاية الخط من جهة اليمين : يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ويعبد الله الواحد الأحد الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، والمشرك أو الملحد في نهاية الخط من جهة اليسار ينحط عنده إلى أسفل سافلين . فلا إيمان ولا اعتقاد ولا عبادة ، فكيف يلتقي مسلم ومشركة أو ملحدة تحت سقف بيت واحد ، ليظلا في شركة الزواج التي تمتد في الأصل والغالب طول الحياة ، حتى إنها تسمى «صحبة العمر» ؟ .

إن أساس الاستقرار في الحياة الزوجية هو التفاهم والتلاقي في الآراء والأفكار ، ولا شك أن اتحاد العقيدة هو الباب الطبيعي الواسع للاتحاد في المشارب والطباع والتفكير .

ولنتصور مثلا زوجين أحدهما مسلم يرى من واجبه أحيانا أن يتقرب إلى ربه بأن يذبح بقرة ليأكل منها ويضحي ، أو يتصدق ويفي بنذره لله ، ومعه زوجة له ضلت في تفكيرها واعتقادها ، فهي تعبد هذه البقرة ، ولا تمسها بسوء ، ولا تصدها عن تصرف ولو كان مسيئا ، لأنها تعتقد أن هذه البقرة مقدسة لا تمس ، فكيف يتفق هذان الزوجان في الحياة أو يستقر لهما بيت الزوجية ؟ .

(١) تفسير المنار ، طبعة المنار ، ج ٢ ص ٣٠٣ .

ويقول الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت :
« إن أفضل أنواع الزواج ما تلاقت عليه الرغبات ، وخلصت له القلوب ، وتناجت به الأرواح ، ومن ضرورة ذلك أن تتفق العقيدة وتتناسب الأخلاق وتتحد الأهداف . وفي ظل ذلك التناسب يبسط الزواج على الحياة الزوجية نسيج السكن والمودة والرحمة ، فتطيب الحياة وتسعد الأبناء والأسرة ، ولا يتحقق ذلك على الوجه الأكمل في نظر الإسلام إلا إذا اتفق الزوجان في الدين والعقيدة . وكانا مسلمين يأتمران بأمر الإسلام وينتهيان بنهيه ، ويشد الإسلام ما بين قلبيهما من رباط .

أما إذا كان الزوج غير مسلم والزوجة مسلمة ، أو كانت الزوجة غير مسلمة والزوج مسلما ، فإن الحكم في الإسلام له وجه آخر ، فهو بالنسبة للغرض الأول ـ وهو أن يكون الزوج غير مسلم والزوجة مسلمة ـ الحرمة القطعية والمنع البات ، وهو من الأحكام التي أجمعت عليها الأمة من عهد الرسول إلى يومنا هذا . وصار منعه في الإسلام من الأحكام التي يقول عنها الفقهاء : إن العلم بها ضروري . يحكم على من أباحه بالخروج من الدين ، وليس هذا موضوع حديث اليوم ، ولا مما يتعلق لنا غرض الآن ببحثه ، وإنما غرضنا الكلام على الغرض الثاني وهو تزوج المسلم بغير المسلمة . ولبيان الحكم في هذا الغرض يجب أن نفرق أولا في غير المسلمة بين المشركة التي لا تقر بإله ولا بكتاب سماوي والكتابية التي تقر بالألوهية وتعترف بمبدأ رسالات الله إلى خلقه ، وتؤمن بيوم البعث والجزاء . والإسلام يرى بالنسبة للمشركة أن زواجها باطل . ولا يحل لمسلم أن يبني معها حياة زوجية ، وقد جاء ذلك المنع في صريح القرآن الذي لا يحتمل أفهاما ولا آراء ، ومن هنا كان محل إجماع أيضاً بين علماء الإسلام ولم يعرف لأحد منهم رأي بحله ، وذلك قوله تعالى : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم » (١) .

وقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد فرق بين حذيفة ابن اليمان وزوجة له كانت غير مسلمة . ولعل هذه الرواية تتعلق بزواج حذيفة من مجوسية ، فقد جاء ذلك في بعض الروايات ، وهناك رواية أخرى أكثر وأشهر تقول إن التي تزوجها حذيفة كانت كتابية (٢) ، وقد نتعرض لهذه الرواية عند مناسبتها فيما بعد .

هذا حكم تزوج المسلم بغير المسلمة إذا كانت مشركة أو ملحدة لا تدين بدين ، وأما حكم تزوجه بغير المسلمة إذا كانت كتابية فله حديث آخر ... ؟

أحمد الشرباصي

(١) كتاب الفتاوى ، مطبعة الأزهر ص ٢٥١ .
(٢) انظر تفسير ابن كثير ، طبعة الحلبي ، ج ١ ص ٢٥٧ .

الاسلام دين العلم والتطور

للأستاذ عباس طه

إن تطور الجماعات فى الناحيتين الأدبية والاجتماعية من الأمور التى يجب أن يعنى بها القانونيون لأنها من أمس الأمور بحياة الأمم.

وما أوتيت الأديان من مأمنها ودب إليها الوهن إلا من ناحية إغفال قادتها هذه الناحية فى تعاليمهم . ناحية التطور فى كل مجال من مجالات النشاط العلمى والعملى .

والذى حدا بأولئك القادة إلى سد طريق التطور فى وجوه أتباعهم أنهم تخيلوا أن التطور يخرج بهم عن الأصول القديمة ويفضى إلى ضياع ما ائتمنوا على حفظه سليما من كل تحول ، وغفلوا عن أن التطور الصحيح إذا عدا على شىء فإنما يعدو على الباطل ، أما الحق فيزيده جلاء ولألاء . فإذا كان الذى يتمسكون به حقا فلا خوف عليه من أى تطور ، وإن كان باطلا فعبثا يحافظون عليه ، فإنهم إن استطاعوا دفع الغير والأحداث عنه جيلا أو جيلين اضطروا فى النهاية للمقهورى إزاء القوى الغالبة .

أما شريعة الإسلام من هذه الناحية فلا أقول إنها احتاطت لما فسح ، ولكنى أقول إنها قد فرضت التطور على أهلها فرضا ودفعتهم إليه دفعا لأنها شريعة عهد الرشد للأمم ، وقد علم الله أن الأمم فى هذا العهد تطفر فى الترقى طفرا وتقطع المراحل إليه قفزا ، فهى بحاجة إلى شريعة لا تناسب حالتها الراهنة فحسب بل تهىء لها وسائل التقدم وتعبد لها طرقه وتمدها فيه بقوة معنوية فوق قواها .

إن الإسلام قد فرض التطور على أهله فرضا ودفعهم إليه دفعا ، وإلا فكيف نفسر انتقال المسلمين بعد أخذهم بهذا الدين من عداد الأمم الجاهلية المسودة إلى مصاف الأمم العالمة السائدة ، أستغفر الله بل إلى صف فوق الصفوف صارت فيه وحدها حافظة للعلم والحضارة والفنون دون سائر الأمم ؟ وقد اعترفت الأمم كافة لها بالزعامة قرونا طويلة كانت فيه تؤم عواصمها وتأخذ عنها العلم والحكمة ، وأسرار الصنائع والفنون، أليس هذا لأن الإسلام يفرض على متبعيه التطور أيضاً .

إن قول الله تعالى : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » وقوله : « وقل رب زدنى علما » وقوله : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وقول النبى صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم) : وقوله (خذ الحكمة ولو من مشرك) وقوله الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها أنى يجدها) . كل هذه الآيات ، الأحاديث فرضت على المسلمين العلم ودفعت بهم إلى باحاته دفعا . والعلم يؤدى إلى مدارج الترقى لا محالة بل هو طريقه الوحيد فى كل أدوار البشر .

هل قنع الإسلام بهذا القدر من ترغيب الناس فى العلم ، وإجبارهم على التعويل عليه؟ لا . ولكنه لم يدع لوناً من ألوان التأثير فى العقول ، ولا باعثاً من بواعث التوثب فى النفوس إلا استخدمه فى هذا السبيل حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم : (كن عالماً أو متعلماً ولا تكن الثالث فتهلك) وقال : (لموت عالم واحد أشد عند الله من موت قبيلة) وقال : (فقيه واحد خير من ألف عابد) وقال : (يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجحه)

هذا كله وأمثاله مما يكاد لا يحصى يفسر ما حدث من الانقلاب العظيم فى جماعة العرب ، وإلا فمن ذا الذى كان يتخيل أن أولئك الجاهلين بعد فترة من الزمان لا تعتبر فى حياة الأمم شيئاً يذكر ، يصبحون وفى أيديهم قبس العلم يحشو إلى نوره أهل العالم أجمع يأخذون عنهم ما جعلهم الله أمناء عليه دون خلقه ، فكانوا الحفظة لميراث الإنسانية من ناحية والواسطة فى إحيائه وتسهيل الانتفاع به من ناحية أخرى .

إن الدين الذى يصرح بأن عقل آيات الله وإدراك أسرارها من حظ أهل العلم وحدهم دون سواهم فيقول : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » يجب أن يوصف بأنه دين العلم غير منازع .

قال بعض المؤرخين : إنه قد ثبت أن العرب وصلوا فى رحلاتهم الجغرافية وجولاتهم الاستكشافية إلى شواطئ أمريكا وأن كريستوف كولمبس الذى اعتبر مكتشفها قد عثر هنالك على أشياء مادية تدل على وصول العرب إليها قبله .

وقد شهد كبار المؤرخين الاجتماعيين أن العرب وصلوا فى بعض الفنون والصنائع إلى شأو لم يبلغه الأوربيون بعد ، قال العلامة الفرنسى جوستاف ليبون فى كتابه (تمدن العرب) « العرب مع ولوعهم بالبحوث النظرية لم يهملوا تطبيقها على الصنائع والفنون ، فقد أكسبت علومهم لصنائعهم جودة عظيمة جداً تعتبر مفخرة المفاخر فى سالف الدهور . وإننا وإن كنا لم نزل نجهل أكثر الطرائق التى سلكوها لذلك فإننا نعرف نتائجها وآثارها . فنعرف مثلا أنهم احتفروا المناجم واستخرجوا منها الكبريت والنحاس والزئبق والحديد والذهب وأنهم برعوا جداً براعة لم يلحق لهم فيها شأو إلى الآن » .

نقول : إذا كانت أوربا على ما وصلت إليه من الإبداع الفنى والصناعى تشهد على لسان أكابر ممثلى العلم والفنون فيها بأن المسلمين وصلوا من الكمال العملى فى كثير من الصنائع إلى أبعد مما وصلت هى إليه فإن ذلك لا يمكن أن يكون ثمرة تعاليم دينية جامدة متحجرة . تلك آثارنا تدل علينا ، فانظروا بعدنا إلى الآثار

عباس ط

ما يقال عن الإسلام

تطور الإسلام

لمؤلفه ريموند شارل الفرنسي

نقد وتعليق: للأستاذ مالك بن نبي

مواد الكتاب :

عناصر المسألة :

(ا) المجتمع الإسلامي التقليدي :

١ ـ المرأة والرجل .

٢ ـ المجتمع والنظم .

(ب) المصلحون و «العصريون» في الإسلام

(ج) القومية الإسلامية .

(د) التطور الحالي في المجتمع والنظم الإسلامية :

١ ـ التطور السياسي .

٢ ـ التطور الاقتصادي .

٣ ـ التطور الاجتماعي .

٤ ـ التطور من حيث الأحوال القانونية .

٥ ـ التطور الثقافي .

٦ ـ تطور المرأة .

(هـ) تطور المغرب الحالي .

(و) عوامل النهضة الإسلامية .

(ز) غداً .

(ح) الإسلام والخطر الشيوعي .

المبدأ العام :

إننا لا نحسن تقدير الأشياء ، لو قدرنا أن المستشرق الذي يكتب عن الإسلام ، يكتب من أجل أن يعرّف الفضيلة الإسلامية لمواطنيه في البلاد الأوربية .

إنما يتصرف المستشرق الذي يكتب عن الإسلام والمسلمين بمقتضى دوافع أخرى ، لا تخلو من سمو عند ما تدفعه المهنة فيكتب كأستاذ في جامعة مثل «جيب» أو تدفعه الميول الفكرية ، فيكتب كمجرد عالم مثل «فلوفل» .

وقد يجد المسلم في إنتاج هذا العالم أو ذاك الأستاذ ما يفيده ، لأن أحدهما مهما تكن نواياه ـ أضاء مثلا بعض نقط الضعف التي

يتأثر بها المجتمع الإسلامى ، ولأن الآخر كرس حياته من أجل ترتيب مفردات المصحف حتى يجعل القرآن الكريم فى متناول من لا يحفظه من المسلمين وغير المسلمين .

وإذن فلنتساءل على ضوء هذا المبدأ : هل يفيدنا كتاب مسيو « ريموند شارل » بصورة ما؟

الجواب ، مع الأسف : أنه لا يفيدنا ، ولا أظنه يفيد غيرنا ، مهما يكن التقدير الذى وضعناه فيه .

* * *

التقرير الأول :

فلو قدرنا هذا الكتاب على أنه دراسة لوجب علينا أن نلاحظ أن الخطأ تسرب إلى هذه الدراسة من ثلاث نواح :

١ - من العنوان نفسه الذى ترجمناه بحرفيته عن قصد .

٢ - من منهج الكتاب .

٣ - من معادلة الكاتب الشخصية التى تتدخل فى كل سطر من الكتاب .

خطأ العنوان :

إن الكاتب يتناول كلمة « إسلام » فى عنوانه للدلالة على « المجتمع الإسلامى » الذى هو الموضوع المقصود بالذات فى كتابه .

وليس لملاحظاتنا أى أهمية لو كانت تشير إلى مجرد خطأ لفظى ، بينما هى تعنى أن الكاتب أصبح بمقتضى مصطلحه الخاص يسلك المسلك الذى تعودناه من سائر الكتاب الغربيين الذين يقعون فى نفس الخطأ ، حيث يسوقهم المصطلح إلى تغيير لا شعورى فى الموضوع فيختلط فى إدراكهم ما يتصل بواقع اجتماعى من واقع المسلمين يحتمل التغيير (أو التطور كما يقول صاحب الكتاب) فى اتجاه النمو أو التقهقر ، بمقتضى عوامل زمنية معينة ، يختلط بقيم مطلقة تتصل بواقع آخر ، هو الإسلام ، لا يعتريه التغير والتطور بالمعنى الذى نفهمه فى عالم الظاهرات .

وهذا الاختلاط يؤدى إلى الحكم على الدين بما يقترفه أهله ، أو بعبارة أخرى الحكم على فضائل الخالق بما توحيه مساوئ المخلوق ، بينما يعطيه القرآن المقياس الصحيح فى هذا الموضوع فى الآية الكريمة : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » .

خطأ المنهج :

إن كتاب الغربيين الذين تناولوا الدراسات الإسلامية لا يطبقون فى هذه الدراسات مبدأ التطور رغم أن تفكيرهم تشكل فى تراث القرن التاسع عشر ، سواء فى علوم الطبيعة منذ « داروين » ، أو فى العلوم الاجتماعية والاقتصادية منذ « بودون » .

[illegible] مثل المسيو ريموند شارل [illegible] الاجتماعى الاسلامى [illegible] طرأت لمجتمع فى نقط معينة من تطوره . ولكن يدرسونه على أنه هو واقع العالم الإسلامى ، الواقع المقدر لهذا المجتمع لابسبب طوارئ الطريق وحوادث التاريخ ، ولكن بمقتضى معطيات مستقرة فى تركيبه لا يمكنه أن يتخلص منها فهم برغم تشبثهم بقانون التطور فى صورته النظرية لا يدرسون واقع العالم الإسلامى اليوم ، على أنه حالة متطورة ولكنه على أنه حالة قارة ، فيعطون بذلك اهتماما إلى جانب الاستقرار والسكون والخمول أكثر مما يعطون إلى جانب الحركة والتغيير ، وهذا يؤدى إلى نظرة تشاؤمية إلى مستقبل العالم الإسلامى إما لأنه لا يستطيع أن يحرك سكونه وجموده ويغيرهما إلى حركة ، وإما لأنه لا يستطيع تعديل الحركة إن كان فيها خطأ أو انحراف .

مصادر الكتاب الشخصية

وعلى تقدير أن الكتاب تتخلله دراسة فإن الخطأ يتسرب إليه من الناحية الذاتية .

إن مسيو ريموند شارل لا يكتب بحرية الفكر وانشراح الصدر المطلوبين من الكاتب الذى يخصص جهده إلى خدمة العلم والحقيقة .

فهو رغم المعلومات الزاخرة المتنوعة التى أودعها فى كتابه ، يرغمنا على نكران علمه ، أو الروح العلمية عنه لأننا لا نراه أقر حقيقة فى سطر من سطوره أو فى صفحة ، من صفحاته إلا وجد أنه يناقضها فى السطر الذى يتبع أو فى الصفحة التالية ، بعد صفحات معدودة .

فبعد أن يكون قرر فى الصفحة الثامنة مثلا ، إن الإسلام هو الدين الوحيد الذى يتزايد اليوم ، عدد معتنقيه فى العالم ، نجده (صفحة ٧٩) يقرر أن « دين محمد » قبل الأديان الأخرى مهدد بموجة العلمانية التى تكتسح العالم اليوم .

فعملية الكاتب تعوزه هكذا ، إما ليضع بيده ، وبصورة لاشعورية مناقضات لا يقف عندها أثناء كتابته ، وإما ليخلق مناقضات صورية ، عندما يحاول (صفحة ٣٨) أن يصور للقارئ مناقضته فى روح الإسلام الذى يضع الخالق « فوق » مخلوقاته ويراه فى نفس الوقت « مع » مخلوقاته فلا يفهم المسيو ريموند شارل كيف أن المسلم يضع الله فوق كل مقام ، وفى نفس الوقت يراه أقرب إليه من حبل الوريد .

وهكذا نجد الكاتب يتخبط فى قيود

الشخصية . التي تحرمه من الوصول إلى الحقائق الغيبية ، وتحرمنا من الإستفادة من معلوماته لأنه ما أورد حقيقته في سطر من سطوره إلا وأعقبها بباطل ينسخها ، ويشعرنا بأن العلم ليس مجرد معلومات تكدس كتاب .

التقرير الثاني

ولكن اعتبارنا الكتاب ، على أنه دراسة قد يتسرب إليها الخطأ من أبواب معينة كما بينا ، يضعف خلال القراءة من سطر إلى سطر ومن صفحة إلى صفحة .

فكلما تقدمت في القراءة زاد عندي الشعور بأن الكتاب ألفه صاحبه في نطاق عملية استعمارية مخططة اشرت إليها في كتاب نشرته أخيرا بهذه الأسطر :

كلما وضعنا أنفسنا في فصل كهذا (أي في فصل جدوبناء) فإن الاستعمار سوف يكلف الإخصائيين في لعبة الظل ليصور لنا معركة خيالية تصرف المسئولين في البلاد الإسلامية عن المشاكل الحقيقية . .

إن مسيو ريمند شارل . فيما يبدو لي من خلال قراءة كتابه أحد هؤلاء الإخصائيين ، يريد الاستعمار استغلال معادلته الشخصية ليجرنا بعيدا عن ساحة البناء ، ويلهينا عن المشاكل القائمة أمامنا في معركة حياة أو موت ، بمعركة شفاهية .

فتراه أحيانا ينال من الإسلام بكيفية تشعرنا أن الرجل ينتظر من وراء ذلك ردنا عليه ، وأحيانا يطلق نيرانه ضد فكرة العربية ، فيتزايد شعورنا أنه يريد تعطيل القافلة الجادة في الطريق ، وأحيانا أخرى نراه يوجه طلقاته إلى شخص الرئيس جمال عبد الناصر ، إما أن يقرن اسمه متعمدا ، باسم بورقيبة مثلا ، عند مايشعر أن وضع الفرد في مستوى الإنسان ، يمكن أن يحدث من طرفنا رد فعل منتظر ، يبرر عمله ويزكيه في نظر مولاه الذي يشغله ، وإما أن يفرد اسم الرئيس في صفحات أخرى ، فيوجه إليه مثلا تهم « الفردية » و« الدكتاتورية » كي تنشج أعصابنا وتنطلق بما يشفي غليل هذا الكتاب الغريب .

وعند ما ننتهي من القراءة نشعر أن الكاتب عند ما خطط لكتابه ، حسبما نرى من خلال الفهرست الذي وضعناه في صدر هذا التقرير ، كان في الحقيقة يخفي وراء هذا التخطيط الظاهر ، تخطيطا خفيا تتضمنه معادلته الشخصية ، التي أراد استثمارها الاستعمار ، حتى أننا لو أردنا نحن أن نرسم هذا التخطيط الحقيقي لرسمناه في ثلاث عقد نفسية :

١ — عقد ريمند شارل على الإسلام .

٢ — عقد ريمند شارل على العرب .

٣ ـــ حقد ريموند شارل على زعيم العرب جمال عبد الناصر .

والآن فلو تتبعنا الكتاب صفحة صفحة . وسطرا سطرا ، كتطبيق لخطة استعمارية ، لا صلة لها بالعلم أو بالدين ، من خـــلال معلومات كاتب مسخر ، لأمكننا أن نضع عن طريق التحليل كل جملة من الكتاب تحت عقدة من عقد صاحبه الثلاث .

* * *

فلو أردت مزيد وضوح ودقة فيما أرى بشأن هذا الكتاب ، لقلت إن التقدير الثانى يبدو لى أقرب للواقع بالنسبة إليه .

فلابد أن نقدر أن الاستعمار بالمرصاد إزاء كل ما يهب من الأفكار فى البلاد التى يفترص ـــ حسب لغته ـ أن له فيها مصالح خاصة يرعاها .

ولا غرابة إذن أن يقوم الاستعمار فى مثل تلك البلاد ، بأعمال شبيهة بعملية تحويل مجرى المياه ، عند بناء السدود .

ففى نطاق الصراع الفكرى ونظراً لأسلوبه الخاص ، تقوم عمليه التحويل لمجرى الأفكار طبقا لما توحى به مصلحته .

وهذا يعنى أن كتاب ريموند شارل لا يبعد أن يكون مشروع تحويل ، وضع بخصوص بعض الكتاب المسلمين كى لا يستمروا فى طريقهم ، فى العمل الذى خططوه لأنفسهم. فالاستعمار يريد ، بصفة عامة ، أن لا يكتب هؤلاء الكتاب فى طبيعة المشاكل القائمة اليوم فى المجتمع الإسلامى ، بل أن يكتبوا طبقا لخطط مرسومة فى باريس ولندن وواشنطن يقوم بتنفيذها أمثال ريموند شارل ؛ كى يحقق بذلك سلطة خفية على توجيه الحياة الفكرية فى البلاد الإسلامية .

وهذه صورة من صور الصراع الفكرى .

من شعر إقبال

الأرض بستان البلابل للترنم والغناء
والقبة الزرقاء ميدانى إلى غير انتهاء
أنا ناسك بين الطيور وخلوتى عرش الهواء
لا يقتنى الشاهين وكراً إنّ منزله السماء

بهذا العدد تنتهى السنة الثانية والثلاثون من هذه المجلة ، وموعدنا إن شاء الله فى أول المحرم من السنة المقبلة .

مختار من الشعر القديم والحديث

نومة ضاحية

للأستاذ عمر بهاء الدين الأميري

سأسمو على زيف هذى الحياة
إلى معرج العزلة الناثيه
وأهجر ضوضاء لا تنتهى
تثير وتحرق أعصابيه
إلى مهمات الظلام العميق
إلى حيرة الليلة الساجيه
إلى منبع الصفو خلف السماء
إلى مرتع الأمن والعافيه
أريد فتورى ، وأطفى لظى
شعورى ، وأكبت أشعاريه
أبلّد حسّى ، أجمّد نفسى
أغيض ، وأكتم أنفاسيه
وأغدو سكونا بعيد المدى
يشعّ طمأنينة راضيه
ويضفى على الكون معنى الحياة
وتأماً ، ومرحة ناميه
وإذ ذاك بعد الهدى والهدوء
وغوصى على لآلهاياتيه
سأرجع كالفجر ، بعد الفناء
المؤكد ، والنومة الضاحيه
سأرجع خلقاً فتياً سويّاً
وقد « هندست » ، عزلتى ذاتيه
نفضت عن كيانى غبار الزيوف
وجلّت حقيقتى العاريه
وألقت الجوهر المستكن
بكنهى يضوّى أغواريه
ويطلقنى قدرة فى الوجود
تؤدى رسالة إنسانيه
رسالة جمع الشتيت الشقيت
رسالة بعث المنى الغاليه
رسالة مجد إلى الله يرقى
تحققه أمة هاديه
جهاد على الدهر يملى الخلود
ويصمد فى الزعزع العاتيه
وللحسن فى روحه نفحة
من الله ، من روحه الباقيه

عمر بهاء الدين الأميري

دعاء إلى الله

« إلى الذين يمضون إلى الأمام ... نحو النور المقدس ... نور الحق والخير ، والحرية والسلام ، لا يدركهم الناس ، ولا يتركهم الرجاء ... إليهم في كل مكان ... أهدى هذا الدعاء » .

يا خالق الكون ، ورب السماء
أدعوك من قلبي أحر الدعاء
هيء لنا الخير كما نشتهي
إذا طغى الشر ، وماج البلاء
وانشر علينا يا إله الورى
من نورك الأسنى أرقّ الضياء
واجعل حياة الناس أنشودة
تشيع فيها نغمات الهناء
وامنح الحيارى من رحيق الهدى
إن الحيارى في الصحارى ظماء

* * *

ويا إلهي نحن في عالم
يلفّه الهول بنار الشقاء
يوقد فيه الحرب أشرارُه
وليس يصلاها سوى الأبرياء
مني أرى العالم لا ينطوي
إلا على ما سنّه الأنبياء :
الناس في أنحائه إخوة
يسقون فيه من رحيق الصفاء

* * *

ويا إلهي قد أردنا العلا
والخيرَ ، والمجد ، وعز البقاء
وقد حطمنا القيد ، واستعذبت
أرواحنا الظمأى حياة الفداء
وقد ملكنا أمرَنا بعد ما
كنا أسارى في يد الأدعياء
وباليمين نبني بيد مجدنا
وباليد الأخرى نصون البناء
بارك قوى العزم في روحنا
يا باعث القوة في الأقوياء
وكن لنا عوناً على من بغى
إذا دعا الداعي ، ودوّى النداء
واجمع على الوحدة أوطاننا
لتكمل الفرحة يوم اللقاء

* * *

هذا رجائي يا إله الورى
فحقق اللهم هذا الرجاء

ابراهيم محمد نجا

الكتب

عبد الله بن سبأ

لفضيلة الشيخ مرتضى العسكرى ، ونشر مكتبة الإمام الكاظم بالعراق .

هذا الكتاب الذى ورد إلى مجلة الأزهر من العراق ، يعتبر مدخلا أو تمهيداً لمؤلف قد يكون كبيرا ، والهدف منه ، تسليط أضواء كثيرة على شخصية دخلت تاريخ الإسلام ، فى أدق مرحلة من مراحله الأولى

أراد المؤلف أن يكون هذا الكتاب بحثا وتحقيقا فيما كتبه المؤرخون والمستشرقون عن « ابن سبأ » منذ القرن الثانى الهجرى حتى اليوم . أما هذا المدخل فتناول : منشأ القصة السبأية ، وسلسلة رواتها . وقصة السقيفة ، وقصصا أخرى وثيقة الصلة براوى القصة السبأية ، والتى نقل عنه أبرز كتاب السيرة وهو الطبرى . وهذا الراوى هو سيف بن عمر التميمى البرجمى الكوفى المتوفى عام ١٧٠هـ فى خلافة الرشيد .

والمؤلف الجليل الشيخ مرتضى العسكرى يستحق منا تقديراً كبيرا لهذا الجهد الشاق الذى بذله فى بحثه هذا ، محاولا عن طريق الاستدراج أن يؤكد أن عبد الله بن سبأ شخصية خرافية ، أو على الأقل يؤكد أن الأحداث الضخام التى نسبت إليه مزورة عليه ، ودليله الذى استقاه من مراجعه هو زلزلة الثقة فى راوى قصة ابن سبأ ، وهو سيف بن عمر المذكور آنفا . وفى سبيل ذلك قدم لنا مجموعة كبيرة من رواياته وسلط عليها مضخات من التناقض . .

ونحن يسرنا أن يؤكد لنا المؤلف الجليل إلغاء شخصية ابن سبأ من التاريخ ، ولكن قضية المؤلف طاف بنا على صفحات كتابه حول قضية أخرى هى بمثابة الجرح العميق لسنا نحن المسلمين اليوم بحاجة إلى إثارته .

فأيما شىء يدعونا اليوم إلى بحث مسئلة الخلافة الإسلامية الأولى وكيف تآمر أصحاب رسول الله على إقصاء على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن حقه الشرعى فى الخلافة الأولى لقرابته من رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ؟

إن المؤلف الفاضل قدم لنا صورة أليمة فى هذه القضية . أبرز فيها الخليفتين : أبا بكر

وعمر ، نهازين للفرص ، ومتآمرين على علي بن أبي طالب . وهذا التآمر ظل في قلب عمر حتى آخر لحظات حياته حين أوصى لستة من أصحاب رسول الله بالخلافة . منهم علي وعثمان . .

كما حاول المؤلف الفاضل أن يجعل من المرتدين في عهد أبي بكر جبهة مسلمة معارضة ، وإن امتناعهم عن دفع الزكاة لم يكن إلا خروجا على طاعة الخليفة ولم يكن جحودا لفريضتها ، كما ألصق بعمر تهمة التحريض على اغتيال سعد بن عبادة في الشام حين هجر المدينة دون أن يبايع أبا بكر . .

إن الصورة عن أجل أصحاب رسول الله التي قدمها فضيلة المؤلف . صورة تحز في النفس ، وتهز كيان العقل . وحسب القارئ المسلم العادي أن يعلق بذهنه أن الحكم الإسلامي في مرحلته الأولى قام على أسس من الزيغ والاحتيال وفقدان الضمير وانحدار الخلق ، والانتهازية والاستغلال .

يا سماحة المؤلف : إن الإسلام اليوم تنزف جراحة الثخينة الخائرة : دولة تنبذه وراء ظهورها ، وشعوب ترهقها : إما سياط الاستعمار الغاشم ، وإما سياط الدكتاتورية الفاجرة ، ودينه الذي رضيه الله للمسلمين يتعثر ويتقلص حتى أصبح مجرد صلوات يؤديها العجزة في المساجد ، وقرآن يتلى لتطرب أسماع المسلمين بألحانه وأنغامه دون أن تطرب أفئدتهم بسحر عباداته وعذوبة ألفاظه ، وسمو معانيه .

فلنكن اليوم في حاضر الإسلام لأنه أحق بالعمل . أما أصحاب رسول الله فلندع خلافاتهم التي قد مضى عليها زهاء أربعة عشر قرنا - وقد أفضوا جميعا إلى ما قدموا ، وصار أمرهم مفوضا إلى ربهم .

٢ — الحلال والحرام في الإسلام :

للأستاذ يوسف القرضاوي ونشر دار إحياء الكتب العربية .

هذا البحث كلف به الأستاذ القرضاوي تحقيقاً لرغبة مشيخة الجامع الأزهر . في طبع كتب مبسطة تترجم إلى اللغات الأجنبية للتعريف بالإسلام وتعاليمه .

التزم المؤلف في وضعه منهجاً من ثلاثة عناصر :

أن لا يكون متزمتاً ، وأن لا يكون متحللا .

أن لا يتقيد بمذهب فقهي من المذاهب السائدة في العالم الإسلامي .

أن يعنى بالتدليل والتعليل والموازنة مستعيناً بأحدث الأفكار العلمية والمعارف العصرية .

وفي الفصل الأول عرض الكتاب لمبادئ الإسلام في الحلال والحرام : الأصل في الأشياء الإباحة - التحليل والتحريم حق الله وحده -

تحريم الحلال قرين الشرك بالله ـ اتقاء الشبهات ـ الضرورات تبيح المحظورات ، وما إلى ذلك .

وفى الفصل الثانى عرض الكتاب للحلال والحرام فى الحياة الشخصية للمسلم، فى الأطعمة والأشربة ، الصيد ، الخمر ، المخدرات ، فى البيت ، فى الكسب والاحتراف .

وفى الفصل الثالث عرض الكتاب للحلال والحرام فى الزواج وحياة الأسرة ، فى مجال الغريزة ، وفى الزواج ، والعلاقة بين الزوجين.

وفى الفصل الرابع والأخير ، عرض الكتاب للحلال والحرام فى الحياة العامة للمسلم ، فى المعتقدات والتقاليد ، وفى اللهو والترفيه ، وفى العلاقات الاجتماعية . وفى علاقة المسلم بغير المسلم .

هذا وقد اقتصر المؤلف فى كتابه هذا على ذكر الحلال والحرام فى أعمال الجوارح ، والسلوك الظاهر ، أما أعمال القلوب ، وحركات النفوس والعواطف والإرادات ، وما إلى هذه فلم يكن مما عدت إليه الكتاب . وذلك كما ذكر المؤلف فى خاتمة الكتاب .

بقى أن نقول ـــ أولا :

إن موضوع الحلال والحرام فى الإسلام لا يمكن أن يستوعبه كتاب يمكن للقارئ أن يستعرضه فى ساعات ، مهما راعى المؤلف فى كتابه الإيجاز والتركيز ، والموضوع موضوع مناقشة وجدل ولذلك لم يستطع الأستاذ القرضاوى أن يلم بالحلال والحرام مما يتصل بأعمال الجوارح والسلوك الظاهر ، وإزاء تعرض لشركات التأمين ، وترك أعمال المصارف والبنوك والبورصة وما إليها مثلا .

ثانيا : إذا كان الهدف من وضع الكتاب ترجمته إلى الإنجليزية لتعريف المسلمين فى أوربا وأمريكا بالإسلام . كان على المؤلف أن أن يتعرف على الكثير من تقاليد وعادات المجتمعات هناك حتى يبين رأى الإسلام فيها ، وهذا ما لم يكن واضحا فى كتابه هذا .

ثالثاً : اضطر الأستاذ القرضاوى إلى عرض أوجه الخلاف فى كثير من المذاهب ، وهذا مما يشوش الذهن لا سيما فى بلاد واعية تحتاج إلى إيجاز وتيقن ، وهذا مما كان يحتم عرض قضية الحلال والحرام فى رسائل متباينة

٣ ـ المصادر والمراجع المستوردة :

للأستاذ عبد المنعم النمر ، ونشر دار القلم بالقاهرة .

هذا كتاب جديد للمؤلف ، تناول موضوعا دقيقا خطيرا له أهميته . ولقد تناول الكتاب قضية الإلحاد فى الشرق والغرب ، كما تناول فكرة الشيوعية . ميلادها وموقفها من الإسلام والمسلمين ، وناقش قضية العلم والعقيدة ، وأن التطور لا ينافى وجود الله

كما نقض دعوى الشيوعية بأنها تعمل على المساواة بين الناس .

وعرض الكتاب بعد ذلك لموقفنا نحن المسلمين من الإسلام ، وكيف طرحنا تعاليمه جانبا ، وأتحنا الفرصة للمبادئ الهدامة المستوردة تغزونا فى عقر دارنا .

وفى إيجاز أجاب المؤلف عن هذا السؤال : هل يكفل الإسلام قيام نهضة ؟ وفى سبيل ذلك عرض لموقف الإسلام والمسلمين من العلم ، وموقف الإسلام من العمل ، وأكد أن التكافل روح المجتمع الإسلامى ، ثم ختم الكتاب ببحث مركز عن هذه القيم الثلاث : الحرية والإخاء والمساواة ، ومكانتها فى الإسلام .

والأستاذ عبد المنعم قدم لنا صورة واضحة عما لقيته الأديان وأتباعها من بطش الشيوعية لا سيما الإسلام والمسلمين ، واستطاع من كلام هوبز وكارل ماركس وانجلز وليانيه أن يوضح الخطوط البارزة التى تحدد عناصر الهجوم على الدين . إلا أنه لم يناقش موقف الإسلام من هذا الهجوم إلا فى إجمال ، وهى اتهام الدين بطابع الرجعية بطابع الصبر والاستسلام ، وكان أجدر بالمناقشة قول هوبز : وجودى هو المؤكد وما عداه خرافة ، وقول ماركس : لا إله ، والحياة مادة ، وقول انجلز : لا محل مطلقا لوجود خالق فى هذا الزمن ، الذى ظهرت فيه نظرية التطور ، وقول لينين : الماركسية هى المادية ومن ثم فهى معادية للدين . . .

لقد أجاد الأستاذ النور فى آخر كتابه حين دعا بغيرة وإخلاص إلى وضع تشريعاتنا الإسلامية موضع الاعتبار ، إلا أننا كنا نود أن يعرض علينا بعضا آخر من المبادئ المستوردة إلى جانب الشيوعية ، حتى لا يختلط على القارئ كتابه هذا بكتابه السابق الإسلام والشيوعية ، وإن كان ثمت فرق شاسع بين هدفيهما .

٤ ـ النسخ فى الشريعة الإسلامية

للأستاذ عبد المتعال الجبرى . ونشر دار العروبة بالقاهرة .

هـذا البحث له خطورته ، فهو يتناول موضوعا دقيقا ، كثر فيه الخلاف بين أئمة الفكر الإسلامى قديما وحديثا ، بل إنه وصل الخلاف فى موضوع النسخ إلى درجة التعصب والتطرف ، حتى إنه نال الإمام القرطبى عن النسخ : لا نستغنى عن معرفته بحال ، ولا ينكره إلا الجهلة الأغبياء .

ينحو المؤلف فى بحثه إلى إنكار النسخ وقد اعتمد فى منهجه فى هذا البحث على أن لكل باحث الحق فى أن يكتب ما يشاء عن القرآن بما فهمه واقتنع به ما دام غير معارض فى فهمه

نصا قرآنيا أو حديثا نبويا قطعي الدلالة ، ولا خارجا على الأصول العامة للفقه والدين .

في الباب الأول عرض مذهب القائلين بالنسخ ونقده ، وعرض لتفسير آية ما ننسخ وعرض المؤلفات في الناسخ والمنسوخ ، سواء منهم قديمة وحديثة . وعرض منشأ القول بنسخ القرآن ، وناقش أدلة المثبتين للنسخ في القرآن .

وفي الباب الثاني تناول مناقشة الآيات المنسوخة مبطلا دعوى النسخ فيها ، ناقشها آية آية ، وناقش دعاة القول بالنسخ من كبار الأئمة الأعلام أمثال : ابن حزم ، وابن كثير والسيوطي ، وشمس الأئمة الحنفي ، والخازن والبغوي ، وابن حزم الظاهري .

وفي الباب الثالث والأخير ، ناقش الأستاذ الجبري فكرة نسخ غير القرآن للقرآن والعكس ، وأكد في مناقشته خطأ هذه الفكرة ومجانبتها للحق ، وأن بعض الفقهاء تكلف في الأحكام ، تكلفا كثيراً ما كان يخرجه عن الصواب .

هذا الكتاب دراسة واعية ناضجة بدون شك ، ولكن المؤلف عمد إلى التعرض لكل آية في القرآن قد تعرضت لفكرة النسخ أو حتى لمجرد شبهة من شبهات النسخ في القرآن ، فاستنفد هذا الجزء الأكبر من الدراسة من صفحة ٩٥ إلى صفحة ٣٣٤ ، وقد حمله هذا على أن يستعرض لنا مجموعة من آراء المفسرين مع يسير زهيد من المناقشة .

وكنا نود أن يحصل المؤلف على عدد أكبر من آراء الفقهاء القدامى ، نقف بجانب رأيه على الأقل وقد استطاع فعلا أن يجتذب بعضها ولكن ليس عن طريق الخط المستقيم .

إني وإن كنت من غير القائلين بالنسخ في الشريعة الإسلامية ، ومؤيدا للأستاذ الجبري إلا أن هذا لا يمنع من أن أقول :

إن مراجع الكتاب قليلة بالنسبة لموضوعه وأن محصوله من الآراء المتعصبة لفكرة النسخ قليل أيضا .

والذي لا نكران فيه بعد ذلك . أن هذا الكتاب دراسة عميقة دقيقة لها خطورتها ، وقد بذل المؤلف فيها مجهودا يستحق عليه تقديرنا ، وأعجبني فيه استعداد حيثيات حكمه لكل معترض . والكلمة الأخيرة - هي : إن التبويب للدراسة والعناية بورق طبع الكتاب له تأثيره في ذهن الدارس والقارئ على السواء .

٥ - من رسائل ابن تيمية :

العالم الفاضل والمسلم الغيور سماحة الشيخ محمد نصيف من أعيان جدة ، أطال الله بقاءه في خدمة الإسلام وعنايته ببراثه الخالد ، أرسل إلينا برسالتين من رسائل ابن تيمية في كتاب هما : رسالة الفتوى الحموية الكبرى ، والرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله تعالى ، أما الرسالة الأخرى

فهى تلخيص الرسالة الحموية بقلم صاحب الفضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين . وسمى تلخيصه باسم : فتح رب البرية بتلخيص الحموية ورسالة الفتوى الحموية ، هى إجابة للعلامة ابن تيمية عن سؤال من أحد مسلمى مدينة حماة بالشام عما يقوله الفقهاء والأئمة فى آيات الصفات وأحاديثها .

والواقع أن ابن تيمية صال وجال فى هذه الرسالة . وبلغ من التعمق أقصاه . وناقش آراء المجسمة والمشبهة والمعطلة والغلاة والرافضة ومن إليهم ، من الفرق التى ضلت الصراط السوى فى أخطر جانب من جوانب العقيدة . أما صاحب الفضيلة الشيخ العثيمين فقد وفق توفيقا مشكوراً فى تلخيص الرسالة حتى قربت بهذا التلخيص إلى الأذهان .

وأما فضيلة الشيخ محمد عبد الرازق حمزه المدرس بالمسجد الحرام بمكة المكرمة ، فقد قام بعرض الرسالة الحموية والرسالة المدنية ، وهى التى حقق فيها ابن تيمية المجاز والحقيقة فى صفات الله تعالى . ورأى ابن تيمية فى صفات الله تعالى إثباتها إثباتاً يناسب ذاته ، وتستحق من الكمال ما تستحق ذاته ، ويرفض أن يصرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه ، فإن لله مثلا يداً ، ولكنها يدٌ لا تشبه يد المخلوقين . . . وبقى أن نقول : إن أبحاث ابن تيمية التى تتصل بجانب العقيدة لا زالت تحتاج إلى مجهود ضخم ، حتى تكون أقرب إلى طلاب الثقافة الإسلامية . .

ويا حبذا لو حققت هذه الرسائل تحقيقا واسعا شاملا ، فقد كتب ابن تيمية يناقش عقليات ممتازه على جانب كبير من العلم ، ولم يكن يكتب للعامة يفيدون منها فى تعرفهم على هـــذه القضايا المعقدة وموقف الإسلام منها .

٦ — ابن القيم :

للأستاذ عوض الله جاد حجازى أستاذ الفلسفة المساعد بكلية اللغة العربية . هـذا الكتاب دراسة شاملة لأحد أعلام الفكر الإسلامى ، ممن تركوا تراثا فكريا خصبا ، لم يزل الغذاء العقلى لكثير من طلاب الثقافة الإسلامية .

تناول المؤلف فى الباب الأول عصر ابن القيم وترجمة له ، وطابع الانتخاب فى التفكير الإسلامى . وسبب الإنتاج الكثير لابن القيم وموقفه من عقيدة السلف ومنهجه فى التأليف . وفى الباب الثانى تناول عقلية ابن القيم ، ورأيه فى مشكلة الصفات ومناقشته الجهمية والمعتزلة ومشكلة الشر وقضية النفس وقضية أبدية الجنة والنار .

هذا هو إطار الكتاب الذى وضع فيه المؤلف شخصية ابن القيم واضحة المعالم واستحق به أن ينال تقدير اللجنة التى ناقشته .

وأعجبني في المؤلف إلمامه الشامل بشخصية ابن القيم ، وتحديد الخطوط البارزة التي تكون هذه الشخصية . وأعجبني أكثر من ذلك نزاهة المؤلف وحياده وحرية رأيه وشجاعته ، والذين تعودوا أن يترجموا لهذه الشخصيات التي لها مكان راسخ في مجال الفكر الإسلامي ، هؤلاء إما يكونوا متعصبين لها أو عليها ، والقليل منهم هو الذي يضع الشخصية موضع النقد الحر ، بغض النظر عن رسوخ مكانتها وقداسة ذاتها .

إلا أن المؤلف لم يراع في كتابه هذا التنسيق المتبع بين صلب الكتاب وهوامشه فالكتاب ليس تراثا يجوز للهوامش أن تتسع لتضمها فيه مكانا . وكان الأجدى بالمؤلف أن يلجأ إلى الهامش إلا في ضرورة [illegible]

[illegible]

والمؤلف [illegible] شخصية [illegible] من شخصية أستاذه شيخه ابن تيمية [illegible] منهجه [illegible]

لقد استعان المؤلف بكثير من المراجع المعتمدة . وهذا ما أضفى على الدراسة أضواء الاحترام والتقدير .

صدر حديثا

للعلامة الشيخ محمد رشيد رضا ونشر مكتبة القاهرة بالأزهر .

كتب مقدمة لهذا البحث وخاتمة له الأستاذ الكبير السيد محمد بهجة البيطار عضو المجمع اللغوي الآن ، والمجمع العلمي العربي بدمشق سابقا .

والشيخ رشيد رضا كتب هذا البحث المستفيض عن الربا ليكون رداً على استفتاء ورد من حيدر آباد بالهند عن مشكلة الربا وموقف الإسلام منها .

والشيخ رشيد يرى أن ربا النسيئة محرم [illegible] ولا يباح إلا عند الضرورة ، كالميتة ولحم الخنزير . وأما ربا الفضل فتحريمه [illegible] فهو لسد الذريعة أي [illegible] الربا النسيئة وما حرم [illegible] أو للمصلحة الراجحة .

[illegible] من مسؤلات الشيخ رشيد [illegible] الفقهاء والمحدثين [illegible] وحقق مسألة المشتبهات بين الحلال والحرام ، وناقش بعد ذلك الآراء [illegible] والمعتقدات المتلقاة ، فجاء البحث [illegible]

إننا كنا نود أن تأتي هذه الدراسة في صياغة تليق بمكانتها . وأن يكون لتعليق العلامة الأستاذ البيطار مكان فيها .

محمد عبد الله السمان

بريد المجلة

١ — حول تجديد العروضه :

علق الدكتور عبد الله درويش على ما كتبته في عدد (رجب) من مجلة الأزهر ، وقد كنت على أن ألوذ بالصمت لأن للدكتور درويش مكانة في نفسي . لخلقه . وفضله ، وعلمه ، ولكني وجدت في كلمته أموراً لا يحسن السكوت عليها . فأنا أكتب هذه الكلمة . وأنا كاره .

١ — يقول الدكتور إن الأمر اشتبه علي ... اطمئنت ... ثلاثتهم مشتركون ... ذكره ... وأني سرعت فأصدرت الحكم باستبعاد فكرة ... والبرد والخواطر . والحق أن الأمر لم يشتبه ... على ... وأنا في النصوص التي أوردتها ... الوزن ... التشابه بين الأوزان ... وليس على القارئ ... ادعى إلا أن يرجع إلى مقالي ليجد ... ما أقول ... وقد قلت : إن الشيخ ... عهد للموصلي إلى ... بجوار الجهور ... إلى مر ... وليس الفرق بين ذلك ... وأن بعض هذه الوسائل أخذها الدكتور أنيس . واختارها الدكتور درويش فليس اختلاف الغاية مما يمنع الأخذ في الوسائل .

٢ — ويقول الدكتور — نقلا عني — إن الكتاب لم تنشره إحدى المكتبات ، وإنما طبعه الشيخ لحسابه ، في إحدى المطابع وتولى توزيعه بنفسه بصفة ملازم ، وأن الشيخ محمد سرحان لديه الملازم الأولى . وهي كل ما طبع من الكتاب . كما قال الشيخ سرحان ... في هذا الكلام ثلاث قضايا الأولى أن الشيخ طبع الكتاب لحسابه . وهذا ما قلته . ... لكن ... يمنع هذا الاطلاع على الكتاب ... أنت إن الشيخ وزعه بصفة ملازم ... أستميح الدكتور عذرا ... إني ... إن الكتاب ... من يد الشيخ رحمه الله ... بدأت استعدادي لا لأعده عليه من أراد ... كما أبدى أحد ... الانتفاع ... معهد ... تمام ... الاستاذ ... أحمد ... بطباعة ... لإحضار الكتاب تاما من ... وهذا الكلام يحمل ... على أن الشيخ سرحان قال إن ... كل ما طبع من الكتاب الملازم الأولى . غير ذات موضوع — كما يقولون :

٣ — أما أن الدكتور درويش كان طالباً وقت أن طبع الشيخ كتابه فهذا لا يمنع أن يكون اطلع على الكتاب فيما بعد . وكيف اطلعنا على عروض الخليل ، وبيننا وبينه ألف ومائتا سنة ؟ .

٤ — ولا ينقضي عجبي من سؤال الدكتور أنيس ، لماذا لم أكتب عن كتابه للآن ، مع أن كتابه ظهر منذ أكثر من عشر سنوات ، وكتب عنه الدكتور شوقي ضيف في مجلة الثقافة عام ١٩٤٩ ، والأساتذة العراقيون في مجلة الرسالة ، كأن من الحتم على أن أقرأ كل كتاب تخرجه المطبعة إبان ظهوره ، وإذا قرأته كان من الواجب أن أكتب عنه . وإذا كتبت عنه كان من الواجب أن تنشر لي المجلات ما أكتب ! ! .

٥ — وقد لخص الدكتور درويش فكرته في أنها (ترتكز على أساس عدم الربط ، وفك الصلة بين الدوائر وبين البحور ، وكذلك عدم ربط الزحافات بالتفاعيل) وقد أطلت النقل في مقالي من كتاب الشيخ عبدالفتاح بدوي ؛ مما يدور حول هاتين المسألتين :

أولا . وقد بدا لي من حديث الدكتور معي أنه صادق فيما يقول من أنه لم يطلع على كتاب الشيخ بدوي ، ولو صحت فراستي هذه فسيكون هذا الأمر على أكبر جانب من الغرابة في توافق الخواطر .

٢ — النحو بين التجديد والتقليد :

وكتب الشيخ عبدالخالق عضيمة المدرس في كلية اللغة العربية مقالات ، في الرد على أصحاب فكرة تجديد النحو أو تيسيره ، ونشر هذه المقالات في مجلة الأزهر .

ومنذ عهد قريب ، نشر كاتب آخر ثلاث مقالات طوال في هـذا الموضوع وقد ألم الشيخ عضيمة بآراء هذا الكاتب في بحوثه هذه ، وظهر أثرها واضحا في مقالاته ، وكان التقليد العلمي السليم أن يشير الأستاذ عضيمة إلى أنه بنى على ما كتب في هذا الموضوع حتى لا يؤخذ عليه أنه أخذ آراء غيره ونسبها لنفسه ، ولكن الشيخ — لأمر لا أعرفه ولا أستطيع التكهن به — أغفل هذا الواجب إغفالا تاما .

وكان يمكن أن نلتمس للأستاذ عذرا في أنه لم يقرأ تلك البحوث ، ولكن الذي أؤكده أن الشيخ قابلني مرة ، وذكر إعجابه بها ، مما يدل على أنه قرأها ، وأمعن النظر فيها .

ومما ينبغي أن أسجله هنا — بهذه المناسبة — أني كتبت منذ أعوام في مجلة الأزهر بحثا بعنوان (قواعد بلا شواهد) وكان بحثا في بعض مسائل البلاغة التي لا نجد لها شواهد من كلام العرب . وقد رأيت — آنذاك — أنه ينبغي أن نحذف هذه المسائل ، ما دمنا لا نجد لها مستندا ، وإنما هي مجرد افتراضات

منطقية . وقد قابلني بعد نشر البحث أحد الأساتذة الكبار، وأبدى رغبته في أن أزوره ليصحح لي أخطائي في هذا البحث ، ولكني لم أفعل . . ثم مضى عام ، ونشر الأستاذ بحثا في مجلة الأزهر ضمنه كل ما قلته في بحثي ، ولم يشر بكلمة واحدة إلى صاحب الفكرة الأولى

كما ينبغي أن أنوه هنا — والشيء بالشيء يذكر — بأمانة فضيلة الشيخ محمد علي النجار ، فقد توقف في بعض بحوثه في نسبة أبيات إلى قائلها ، فلما لقيته أخبرته بصاحبها ، فجاء في المقال الثاني ، ونسب الأبيات ، وأخبر أنه أخذ هذا عن أحد تلاميذه ، وذكر الاسم ، وكان من اليسير أن يترك هذا ؛ لأن نسبة أبيات إلى قائلها ليس أمرا ذا بال ، ومع ذلك أبى الشيخ إلا أن يضيف كل شيء إلى صاحبه .

على العماري

مسلمو بورما :

تقع بلاد بورما في شرقي الهند والباكستان ، وكانت قبل سنة ١٩٣٧ م منضمة سياسيا إلى الهند ثم انقطعت عنها وصارت قطرا مستقلا . أكثر سكانها من البوذيين أما المسلمون فإنهم أقل منهم عددا وأكثر ثروة لأنهم غالبون في مراكز التجارة كلها ومن أشهر مدنها :

١ — رانجون Rangoon وهي عاصمة البلاد وفيها برلمان الحكومة وهي مدينة شهيرة في العالم قد نفي إليها واعتقل فيها آخر امبراطور مغولي في الهند « بها در شاه ظفر » ودفن فيها ، وفيها عيون الذهب الأسود . « البترول » يرسل منها إلى أنحاء العالم — والمسلمون فيها أقل عددا من البوذيين وهم ينشرون مجلات وجرائد في اللغة الأردية والبورمية ومن الجرائد اليومية التي تصدر في الأردية « دور جديد ، استقلال جنك » وتصدر شهريا « استقلال » .

٢ — ماندلي Mandalay وهي بلدة كبيرة كذلك وكانت عاصمة البلاد في الماضي وهي من أشهر مدنها ويسكنها المسلمون .

٣ — أكياب Akyab وهي مدينة تقع في مقاطعة أركان على شاطئ البحر ، والمسلمون فيها أكثر عددا وثروة من غيرهم ؛ لأنهم غالبون في التجارة الداخلية والخارجية وفيها نحو خمسين جامعا وفي كل جامعة مدرسة دينية تعنى بتثقيف الأولاد الثقافة الإسلامية وفيها مدرسة كبيرة تدعى (تكميل العلوم) يتعلم فيها زهاء ٣٠٠ طالب .

٤ — بوثي دنج (Bothideng) وهي بلدة صغيرة — والمسلمون فيها أقل عددا وأكثر ثروة . وأكثرهم تجار وفيها عشرون

جامعا تقريبا ومدرسة إسلامية كبيرة تعنى بتعاليم الدين يؤمها الطلبة من أقصى البلاد حتى طبق صيتها فى بورما كلها — وأما الدعوة الإسلامية فى هذه البلدة فيرجع فضلها إلى الأستاذ عبد المعين لأنه ينقل بعض كتب المغفور له الشيخ أشرف على التهانوى إلى اللغة البورمية .

٥ — مونجدو (Mongdow) هى بلدة صغيرة والمسلمون فيها أقل عدداً وثروة .

٦ — پروم (Prome) تقع على شاطئ البحر لها ميناء صغير عدد المسلمين فيها قليل .

٧ — نول (Nool) هى بلدة صغيرة أيضا أكثر المسلمين فيها يزرعون المطاط وفيها مدرسة دينية ذات صيت (مدرسة [illegible] الإسلام) يقصدها الطلبة من بلاد قريبة .

[illegible] لاشو بهالو . ماكوى ، موكو وهى مدن يسكن فيها المسلمون وهم أقل عدداً [illegible] ليست فيها معاهد علمية إسلامية تذكر وكذلك فى أكثر مدن بورما عدد المسلمين فيها قليل .

أحوالهم الاقتصادية : أكثرهم يتجرون فى داخل البلاد وخارجها ولهم مصانع كثيرة وهى مختلفة وأقلهم يزرعون المطاط والقمح والشعير والأرز وما إلى ذلك من الحبوب . وعند بعضهم حدائق النارجيل والفواكه الطيبة . أما حالتهم الدينية :

[illegible] هناك مراكز دينية خاصة تذكر [illegible] بالدعوة والتبليغ تبذل جهودها البالغة فى سبيل نشر الدين ، وقد غلبت فى بعض البلاد على المسلمين الشيوعية وتسرب إليهم الإلحاد — وهنالك حاجة ماسة لتكوين جماعة دينية إصلاحية تعنى بنشر الإسلام فى البلاد كلها وتعنى بنشر الثقافة الإسلامية بين أبنائها وأن يكون هنالك معهد يعنى بتعليم الدين الإسلامى مع التعليم العصرى ويكون هذا المعهد خير مجمع للتعلمين — وحينئذ يمكن لهم أن يتمسكوا بعروة الدين والإسلام بقوة وإحكام .

تقى الدين الفرودسى

المشتركة:

[illegible] أطالع أنباء [illegible] الاقتصاد موضوع [illegible] فيه . فنحن أمة [illegible] العالم يعيش فى عصر [illegible] والعقائد فى نفس [illegible] فى ميادين الاقتصاد [illegible] أوربية انتظمت [illegible] وجارتها بريطانيا [illegible] بالإضافة إلى أن الدول اللاتينية تسعى لإنشاء سوق بينها ، وكذلك الدول الشيوعية تسير وفق هذا الطريق .

[illegible] الإسلامية [illegible]
[illegible] اجتماع عام يحضره ممثلون عن أقطار
الإسلام . هذا اللقاء لماذا لا يستخدم لخير
هذه الشعوب فيكون اجتماعاً حالا يضم
مندوبين عن الدول الإسلامية لبحث إنشاء
كتلة اقتصادية تجابه الضغط الاستعماري
الذي يبدو واضحا في المستقبل القريب
فنحن أمة ليست فقيرة في خاماتها إذ نملك
نسبا ضخمة من احتياطي العالم من معظم المواد
وهذا ما يجعلنا قبلة الأنظار من قبل الأسواق
المشتركة الأخرى التي تعول على الدول غير
المستقلة اقتصاديا [illegible] جدوى هذه الدعوة
[illegible] الدول الإسلامية المشتركة
[illegible]
[illegible] الإسلامية بقوى
[illegible] على ذلك من
[illegible] الزيارات بهم وزيادة تفاهم في
نصر بعضهم المشترك ونحن نبارك لهذه الزيارات
وندعو الله أن تطرد في هذه البلاد رقيها
[illegible] ومعهم هذه الدول الإسلامية
مستقلة ومتحررة من الأحلاف التي تشكل تهديدا

٢ — إننا اليوم نخوض حربا أقسى من حرب الصواريخ كما قال رئيسنا هي حرب العلم وبالأحرى احتكار العلم وإذا تساندنا

[illegible] أن نلعب [illegible] اقتصاد العالم .
والدنيا كلها تتطلع إلينا بشغف واهتمام لترى
مكان الأمة التي ورثت حضارة الإسلام
وترى شخصيتها ومعالمها . ولكن هل سبقنا
كثيراً ؟ لا أظن إلا أن المستعمر أطلق
أكذوبته بأننا تخلفنا عن الركب . إن بيدنا
زمام الموقف إذا استفدنا من الوقت وعرفنا
كيف نقفز إلى القمة فالمستحيل خرافة .

٤ — وعلى هذا الأساس أقترح إنشاء سوق دولية إسلامية تكون معرضا سنويا في مكة المكرمة . فكعبة المسلمين تنتظر الدور اللائق بها لتقوم به في جمع المسلمين والدول الإسلامية تبعث بإنتاجها إلى أرض الحرم ، ليشاهده كل أخ وافد من كل قطر فيتعرف على المنتوجات التي ينتجها [illegible] الأخرى ليستبدلها بما يحتاجه من نفس المصنوعات من البلاد الأجنبية . والدول الإسلامية كانت دولة واحدة وهذه فكرة أقرب إلى أذهان المسلمين

ولكن هل مكة [illegible] لإقامة معرض إسلامي فيها ؟ وموسم الحج هل يجوز لنا أن نلقي [illegible] السؤال الاقتصادي الأول [illegible] الخطاب : هل كنتم تتجرون في الحج يا أمير المؤمنين ؟ قال رضي الله عنه وهل كانت معايشهم إلا في الحج ؟ .

أحمد العباس

حول معنى أتى بهيمة يقتل :

جاءت هذه الكلمة فى غضون مقال الأستاذ محمود الشرقاوى وقد راجعنا المصادر الكثيرة فرأينا فى مصابيح السنة للبغوى بأنه حديث وجرحه آخرون ، واختلف الأئمة فى ذلك فبعضهم يقول يعزر وبعضهم يقول يحد ، وبعضهم يقول يقتل ، وجاءت هذه الجملة فى العهد القديم فى اللاويين « بنى أنه من أتى بهيمة يقتل » والعلامة العدوى فى حاشيته على أبى الحسن فى مذهب المالكية تعرض لهذا الحديث فقال أنه لم يصح وقال أن هذا مذهب مالك رضى الله عنه .

وتوضيح هذه المسألة أن البغوى فى مصابيحه الجزء الثانى ص ٢٦٢ روى حديث « من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها » والمقدرى فى ترغيبه قال : « روى أبو داود عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها »

وهى رواية ابن ماجة والترمذى من رواية عمرو بن أبى عمر عن عكرمة عن ابن عباس وقد احتج به الشيخان وغيرهما : وقال الخطابى قد عارض هذا الحديث نهى النبى عليه السلام عن قتل الحيوان . وروى البيهقى مثل ما تقدم والقيروانى فى رسالته مع شرح أبى الحسن قال : ولا يقتل واطئ البهيمة وليعاقب لقوله عليه السلام من أتى بهيمة فلا حد عليه ، رواه الترمذى . والعمل عليه عند أهل العلم. وما روى من أتى بهيمة الخ .

فغير ثابت : زاد فى التحقيق فقال وأنكره مالك . وفى الكتاب المسمى بالمقدس فى الأصحاح العشرين من اللاويين « وإذا جعل رجل مضجعه مع بهيمته ، فالبهيمة يميتونها والرجل يقتل » ومذهب الشافعى فيه ثلاثة أقوال ومنها القتل والحد والتعزير . واختلف فى الأكل منها فبعضهم جوز وبعضهم منع من هذا ترى أن هذا فى شريعة اليهود فلعله سرى إلى العلماء من هذا خصوصا وبعضهم طعن فى صحة الحديث الذى رواه البغوى .

* * *

بيانه المراد من كلمته

جاء فى إفتتاحية العدد الماضى من المجلة هذه الفقرة:

« وتكتيب الغوانى فى جيوش الاستعمار سياسة سنتها فرنسا وتبعتها انجلترا ، وصادفت هوى فى نفوس الصهيونيين فطبقوها على نطاق واسع فى السياسة والتجارة والحرب . ولا يزال إخواننا الفلسطينيون يذكرون (سوء عقباها فى التمهيد لقيام إسرائيل) وهذا الكلام واضح فى أن المراد به أولئك الأغرار الذين فتنتهم أموال اليهود ونساء اليهود ، فباعوا أراضيهم للصهيونيين قبل

وعد بلفور وحديث المأساة . وكان ذلك إيذانا بها وتمهيداً لها ولكن أحد الطلاب فهم من هذه العبارة الواضحة أننا نجعل النساء ومن أغوينهن - السبب الأول والأخير فى ضياع فلسطين ويذكرنا الخيانة فى الله والرملة والأسلحة الفاسدة ، وجلوب وعبد الله ونورى وهذا مسلم به ، فى أثناء المعركة وبعدها ولكن حرب اللهو والنساء وماترتب عليها من بيع الأراضى العربية للعصابة الصهيونية كان أسبق من هذا كله ؟

تعدد الزوجات فى الاسلام

يقول الأستاذ خالد محمد خالد فى مقالة بجريدة الجمهورية إن النبى رفض أن تكون لابنته ضرة ويدلل على قوله بحديث عن المسور ابن مخرجه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول: إن بنى هشام بن المغيرة استأذنون أن ينكحوا ابنتهم عليا بن أبى طالب . وإنى لآذن لهم ثم لآذن لهم إلا أن يحب ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم فإنما ابنتى بضعة منى يريبنى ما رابها ويؤذينى ما آذاها . ويعلق الأستاذ خالد بقوله . وإذا كان الرسول وهو محل نفسا إنسانية غلابة لم يطق أن يرى لابنته ضرة . (لأنه كأب وإنسان وجد أن الأجر لا يحتمل أفلا تلتمس العذر للمرأة نفسها - أى امرة - إذا ما طالبت بوقف التعدد الذى يجعل حياتها جحيما لا يطاق ؟ هذا ما قاله الأستاذ وإنى أسائله ما معنى كأب وإنسان ، هل معنى ذلك أن يكون الرسول رؤوفا رحيما كأب وإنسان كغيره كمشرع ورسول ومبلغ ؟ هذا مالا نقره وإننا نستعيذ من بنى المساواة الذى يقول لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها والناس فى شريعته سواسية كأسنان المشط . أن يفرق بين بناته وبنات غيره فالكل سواء فى نظر الشريعة

وإذا نظرنا إلى مناسبة الحديث وقصد ولم نقطعه عن سياقه كشفنا عنه الغموض .

ولقد جاء فى رواية الزهرى لهذا الحديث زيادة توضح ذلك قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « وإنى لست أحرم حلالا ولا أحلل حراما ولكن والله لا تجتمع بنت عدو الله أبدا » .

فعلة المنع إذن أن الرسول لا يحب أن تجتمع ابنته مع بنت أبى جهل وكان من الطبيعى أن يتوجس بنو هشام ابن المغيرة خيفة من رفض الرسول فيتقدم عم الفتاة الحرث بن هشام يستأذن النبى فى ذلك قبل أن يقدم على الموافقة على فاطمة » .

وكيف تؤتمن بنت أبى جهل بمجرد إسلامها أن تدخل بيت على وهو درع كبير من دروع الإسلام - إن الدول لا تبيح لسفرائها الدبلوماسيين وأصحاب الرأى فى جيشها أن يتزوجوا من دول أجنبية .

[illegible] الإسلام [illegible] فقال [illegible]
[illegible] سيد نفسك ومالك أمرك وموكل لاختيارك [illegible] بأن تفعل الشيء وأن تتركه . فإذا وضع الإسلام مسألة تعدد الزوجات فى هذا المكان فإنما هو المكان اللائق بها ، والمشير بها إلى منطقة أخرى من أحد الطرفين : الوجوب أو التحريم وضع الأمور فى غير موضعها وتقييد للتطور والمرونة باسم التطور والمرونة

ويقول الأستاذ فى مقاله : إن هناك حجة حاسمة تغنينا عن كل حجة ودليل ، وهى ذلك [illegible] من شئون الدنيا [illegible]

نفس [illegible] المسألة ما يماثلها مما لم يرد [illegible] تحريمه أو تحليله وعدم تسميده مثلا [illegible] بهذه القاعدة فى أمور الدين التى ورد فيها نصوص القرآن وسار على هديها الصحابة والمسلمون إلى اليوم ، والأكثر الأمر فوضى إذا صح لنا أن نقيس أمور الدين على الدنيا ونتغاضى عن المنطق وشروط القياس فنقيس الشيء على ما لا يشابهه وبذلك نتحلل من كثير من أحكام الدين ، وعلى فرض صحة قياس مسألة التعدد على هذه القاعدة . أنتم أعلم بشئون دنياكم فالحكم يكون خلاف ما أردت . ألا ترى أن الرسول [illegible] هو الحاكم المسئول بركهم لاختيارهم فلو أن أحدهم لم يقم بحقله لم يوجه إليه لوما ولو أبره [illegible] فإنا لا نترك أيضاً مسألة [illegible] وفهم الاجتماعية والله [illegible] فى المعرفة .

حسنى عبد المجيد هاشم
أستاذ التفسير بمعهد الزقازيق الدينى

الأصحاب

قال حكيم : الأصحاب ثلاثة أصناف : فرع متصل بأصله وأصل متصل بفرعه ، وفرع ليس له أصل . فأما الفرع البائن من أصله فإنما بقى على مودة ثم انقطعت ، فحفظ على زمان الصحبة . وأما الأصل المتصل بفرعه ، فإخاء أصله الكريم وأغصانه التقوى ، وأما الفرع الذى لا أصل له فالمموه الظاهر الذى ليس له باطن .

فهرس أبجدى عام

لموضوعات المجلد الثانى والثلاثين

صفحة	الموضوع
	حرف (أ)
٩٦٥	الشيخ إبراهيم حمروش ... ...
١١٥٥	ابن القيم (كتاب) ... ...
٤٧٣	أبو الحسن الشاذلى فى معركة المنصورة ...
٥١٥	أبوة وبنوة « قصيدة » ... ...
٨٤٣	الآثار الأدبية فى إنتاج الفلاسفة ... ...
٧١٦	أخلاق السكون وأخلاق الحركة ... ...
٦١٩	أدب الجنس جريمة فى حق الدين والمجتمع
٤١٥	الأدب العربى أدى رسالته ويؤديها ...
٩٤	أديان الدعسوة ... ...
٨٣٢ / ٩٨٥	آراء العلماء فى الربا ... ...
١٠٧	الأزهر فى حاضره وماضيه ... ...
١٠٤	الأزهر والملايو ... ...
١٩٢	أزهرى فى روسيا « عياد طهطاوى » ...
١١٢٥	استدراك وتعقيب « عن مجلة الرسالة »
١٤١	الاستعمار فى الشرق الأوسط ... ...
١٠١٦	أسد بن الفرات الفقيه الغازى ... ...
١١٤١	الإسلام دين العلم والتطور ... ...
١٠٢٦	الإسلام دين ودنيا « كتاب » ...
١٠٨٥	الإسلام والجوان المسيحى العرقى بيير بوانسوانى ... ...
٢٨٣	الإسلام حقيقة وجوهر ... ...
٦٣	الإسلام دين المحبة ... ...
١٧١	الإسلام فى استراليا ... ...
٧٥٣	الإسلام فى إفريقيا الشرقية
٤٨٥	الإسلام فى أمريكا الجنوبية
٨٥٠	الإسلام فى تايلاند ... ...
٦٣١	الإسلام فى تركيا ... ...
٩٨٧	الإسلام فى كوريا ... ...
٥٩٦	الإسلام فى الكونغو ... ...
٧٣٠	الإسلام فى نيجيريا ... ...
٧٧٤	إسلام صحفى فى المكسيك ...
١٠٩١	الإسلام والمسلمون فى أمريكا
٦٩٨ /	الإسلام والحياة المعاصرة / الرئيس أيوب خان ...
٨٧٥	الإسلام والسلام ... ...
١١٥٢	الإسلام والمبادئ المستوردة « كتاب »
٣٦٢	الإسلام والمدنية المثالية ...
٨٦٢	أعداء العروبة والإسلام ...
٣١٥	إفريقيا الجديدة والإسلام ...
٦٧٤ / ٨١٩	الله فى القرآن الكريم
	إليه يصعد الكلم الطيب
٩٤٩	العمل يرفعه ... ...
٤١٨	الانفعال الخلاق عند الفيلسوف بيرن
٧٣	إنه عربى ... ...

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الصفحة	الموضوع
١٣٧	أوزان الشعر العربى ... ...
٤٢١	الإيمان بالله ... ...

(ب)

٧٩٧	بيان المسلمين من الأستاذ الأكبر ...

(ت)

٢٠٩ ، ٤٧٦	تأليهية القرن الثامن عشر وهل معتقدوها مسلمون ؟
٧١٠	التجديد فى العروض ... ...
٦٦٥	ترجمة المفردات أو العبارات ... ...
١١٦٣	تعدد الزوجات ... ...
١١٤٣	تطور الإسلام ، كتاب ، ... ...
٥٦٩ ، ٦٩١	تطور الفقه الإسلامى ...
٣٦٧	تقويم الفكر الدينى وصلته بالقومية العربية ، كتاب ، ... ...
٢٨٧	توجيهات علوية من جانب الله إلى عباده
٦٢٧	قولهم : توتر العلاقات ... ...
١٠٢٩	توضيح المعانى فى البلاغة ، كتاب ،
٥٤١	تيسير على قاعدة ... ...

(ث)

٤٠٧	ثوراتنا الثلاث تعوزهن رابعة ... ...
٥٦٤	الثورة الزراعية ضرورة محتومة .. ...
٦٨٢	ثورة العالم الإسلامى اليوم ... ...
٨٩٥	قولهم : ثلاثمائة وتسعمائة ... ...

(ج)

٥٤٤	جامعة القرويين وإسهامها فى حفظ التراث الإسلامى
٤١١	جامعة القرويين فى الجمهورية العربية المتحدة
٦٠٦	جامعة القرويين بين الماضى والحاضر
٦٠٤	جامعة النجف الأشرف ... ...
٨٧	جزيرة لامو : مركز الثقافة الإسلامية فى شرق إفريقيا ... ...
٤٨١	جلال الدين السيوطى ... .
٨٢٦	جهالة وضلالة ... ...

(ح)

٥٧	الحركة التنسكية فى القرنين الأول والثانى للهجرة ... ...
٧٩٩	الحروف العربية أصلح الحروف لكتابة اللغات ... ...
٣٠٤	حرية العقل والفكر والإرادة ... ...
١١٢٢	الحسن البصرى الزاهد العابد ... ...
٩٤٤	الحقوق والواجبات فى الإسلام ... ...
١١٥١	الحلال والحرام فى الإسلام ، كتاب ،
٢٤٥	حكم الدين فى استحضار الأرواح ...
١٠٤٥	حكم الطاعة وتكييفه شرعا ... ...
٩١٢ ، ١١٥٧	حول تجديد العروض ... ...
٤٥٩	حول التفسير العلمى للقرآن ... ...
٩٠٩	حول الخطوة الثانية ... ...
٩١٤ ، ١٠٤٨	حول كتابة المصحف بالإملاء الحديث
١١٦٢	حول من أتى بهيمة يقتل ... .

صفحة الموضوع

٣٩٨ حول نشأة النحو العربى ... ...

(خ)

٢٦٧ خاتم الأنبياء ... ...

٧٤٤ / ٨٨٩ الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم فى الإسلام

٣٣ الخمر وأخواتها رجس من عمل الشيطان

١٠١٩ خواطر عاقر ، قصيدة ، ... ...

(د)

٦٥٠ دراسات فى اللغة العربية للخضر حسين ، كتاب ، ... ...

١١٤٩ دعاء إلى الله ، قصيدة ، ... ...

٦٤٨ دعوة الإسلام ، كتاب ، ... ...

٥٠٤ دور الكتب وأثرها فى الثقافة الإسلامية

٥٠٨ ديمقراطية الإسلام ... ...

٢٧ الدين والعلم الحديث نزعة ضارة خاطئة

٨٢ الدين للضرورة أم للكمال؟ ... ...

٩٩٢ دين السلام ... ...

١٩٥ الدين فى عصر الحضارة الصناعية ...

١٥٢ الدين والقومية فى إفريقيا الجديدة ...

٢٩٩ الدين حرية ... ...

٦٣٩ ديانات العالم السبع العظمى ... ...

صفحة الموضوع

(ذ)

٩٠٦ ذكرى الهجرة ، قصيدة ، ...

١ من ذكريات المحرم - هجرة فى وشهادة فى سبيل الحق ... ...

(ر)

٢٢٤ رأى فى نبى الإسلام بين الأ

٥٢٦ الربا الذى نزل فيه القرآن

١١٢٠ رجل الدين وثقافة عصره

١١٥٦ الربا ، كتاب ، ... ...

١٠٣١ رحلة فى سبيل الإسلام ...

٦٤٣ رئيس جمهورية باكستان ، قصيد

٦٣٥ رسالة الدين وأثرها فى الروح البشرية

١٠٥٣ رمضان سنة لا شهر ... ...

٩٥٤ رمضان فى تاريخ مصر الإسلامية

(ز)

٦٧ الزواج فى الإسلام ... ...

١١٣٦ زواج المسلم بغير المسلمة ... ...

٦٢٨ زلم : زر أزرار القميص ...

(س)

١١٦٠ السوق الإسلامية المشتركة ...

٧٣٦ سيد بن على المرصفى ... ...

(ش)

١٠١٨ شاطىء التوبة ، قصيدة ، ... ...

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الصفحة	الموضوع
٤٤٥	الشباب العربى والحياة المعاصرة ...
١٠٢١	الشرق الأدنى الإسلامى ... ...
٣٧٧	الشرق الأوسط فى العصر الإسلامى ...
٢٠٥	الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان ...
٨٨٥	شريعة الله الخالدة ... ...
٥٣٤	الشعب الذى تحدى القدر وقدر ...
٧٧٠	شعراء نجد المعاصرون ، كتاب ، ...
٦٣٤	شهر القرآن ... ...
٢٥٩	شهر ربيع الأول فى حياة الرسول ...
١٣٣	الشورى فى الإسلام ... ...
٩٩٨ ، ١١٠٨	شىء من النقد ... ...
	(ص)
٣٥٧	صورة من سماحة الإسلام ...
٦٤٧	صيد الخاطر لابن الجوزى ، كتاب ، ...
	(ض)
٩٣٩	ضراعة الأخيار شفاعة للمذنبين ...
	(ع)
٧٥٧	العابد المثالى (الفجر) ، قصيدة ، ...
٧٧	عامر بن شراحيل الشعبى ... ...
٨٥٥	العاطفة الدينية عند البارودى ... ...
٦٢٣	العاطفة الدينية وأثرها فى الأدب العربى...
٥٥٦	عالجوا السارق بما أمر به الله ... ...
٢٢٩	العالم الإسلامى يستنكر اعتراف الشاه بإسرائيل

الصفحة	الموضوع
١١٥	عبد الله بن سبأ ، كتاب ، ... ...
٩٠	العبادة فى الإسلام لا يجوز أن تصحبها الموسيقى
٤٤٩	الشيخ عبد الجواد رمضان ... ...
١٥٩	الشيخ عبد المجيد سليم ... ...
٦١٧	العدالة الاجتماعية فى الإسلام ... ...
٥٥٩	عداوة الأغنياء للصالحين من آفات المجتمع
٣٩٤	العربية لغة إفريقيا ... ...
١٦٦	العصر الذهبى للتصوف الإسلامى... ...
٧٥٩	العلم والفن فى نظر الإسلام ... ...
٥١١	عقيدة الذات الإلهية فى الإسلام ... ...
٣٧	العماد الإصبهانى ... ...
	(غ)
٨١٥	الغضب مجلبة لسوء الظن والندم ... ...
	(ف)
١١٩	فتاوى فى الشيوعية لأئمة الشيعة فى العراق
٩٦٠	فريضة الصيام وتطورها فى المجتمعات الإنسانية ... ...
٧٧٢	الفقه والتصوف ، كتاب ، ... ...
٧٥٠	الفقه والقضاء ... ...
٢٠٩	قولهم : فعيل فى معنى مفعول ... ...
٨	فن جديد من فنون الدعوة ... ...
٢١٨ ، ٣٨١	فى سبيل الوطن ، مسرحية ، ...
١٠٢٩	فى ظلال العقيدة ، كتاب ، ... ...

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الصفحة	الموضوع
	(ق)
١٧٦	القاضى الفاضل « حياته » ... ...
١٠٩٩	القاضى الفاضل « شعره » ... ...
٦٠٨	القرآن والقومية العربية ... ...
٧٧٣	قضايا الفكر فى الأدب المعاصر « كتاب »
	(ك)
٥٨٣	كتابة المصحف بالإملاء الحديث ...
١٣ ، ١٤٧	الكرامة والعزة فى القرآن الكريم
٣١٩	كلا . لا ينتفع الميت بعمل الحى ...
٩٠١	كلام عن الإسلام والعرب ... ...
٩٢١	كيف كان الأزهر حصناً للغة العربية
٨٢٠	كيف نصل إلى تطوير الفقه الإسلامى
١٨٤	كيف نصلح النحو العربى ... ...
	(ل)
٩١٧	اللزوميات والضيام ... ...
٢١	لمحات زاجرة من صدر التاريخ « كتاب »
٦٤٦	اللمع لأبى نصر الطوسى « كتاب » ...
٣٤٨	اللهجات العربية فى آسيا الوسطى ... ...
٧٦٦	اللغة الشاعرة للعقاد « كتاب » ... ...
١٠٥٧	اللغة العربية بين لغات الحضارة العصرية
٦٥٠	لماذا أسلمت « كتاب » ... ...
٨٩٧	لن الناصبة وتأييد النفى ... ...
٦٥٨	ليبيا ـ لا ليبيا ... ...
١٢٩	ليس بعد الدين وازع ... ...

الصفحة	الموضوع
	(م)
١٠٦٤	المؤمنون ينصرون بالحق وإن
٤٣٤	المحبة ... ...
٥٧٦	محمد بن مالك ... ...
٣٦٦	محمد رسول الإنسانية ...
٣٥٢	محمد والقرآن فى رأى نيكل
٣٧١	محمد والقومية العربية ...
٦٥٥	محمد الأزهرى الأمريكى ...
٢٩٢	المدائح النبوية فى شعر شوقى
٦٨٥	مسئولية المرء عن إضلال نفسه
٢٢٥	المسلمون فى باكستان ...
٢٢٤	المسلمون فى سيام ... ...
٢٢٣	المسلمون فى الفيليبين ...
٩٧٣	المسلمون فى الهند ... ...
٤٣٩	مشكلة الخط العربى ... ...
١٠٧٧	مصطلحات سيبويه فى أصوات
٤٤٤	المصطلحات العروضية ...
١٠٢٥	المعاملات الحديثة وأحكامها
٣٢٧	معركة بيت المقدس وأثرها فى
٩١١	مقال الجبهان والشيمة ... ...
٢٧٧	
٤٢٥	مقومات الروحية أمام المادية
٥٥٢	
٨٨٠	مكانة الإنسان فى الإسلام ...
٦٦١	مكنوا للأزهر فى إفريقيا الجديد
٣٣٨	الملامتية أو الملامية ... ...

صفحة	الموضوع
٧٩١	من الفتوة الإسلامية ... ...
١	من ذكريات المحرم ـ هجرة فى سبيل الله وشهادة فى سبيل الحق ... ...
٣٤٤	من روائع شاعر الإسلام إقبال : ...
٧٣	من مشاهد الهجرة ـــ إنه عربى ...
١٠٢٤	منهج التربية فى القرآن ... ...
٥	من ينابيع الهجرة ... ...
٢٦٣	موالاة الأعداء وموقف الإسلام منها
٥٢٣	موجة من الإلحاد فى أندونيسيا ...
٢٧١	موقف الإسلام من التطور الاجتماعى وفقا لمقتضيات العقل ... ...
٤	موقف الناس بين الدعوة إلى الهداية والجنوح إلى الغواية ... ...
٢٩٩	مولد الرسول ورسالته ... ...

« ن »

صفحة	الموضوع
٥١٧	نار وأصفاد « كتاب » ... ...
٣٢٢	
٧٢٣	النحو بين التجديد والتقليد ... ...
٨٦٧	
١٠٠٤	
٧٠٤	النحو والمنطق ... ...
٥٣٧	نداء من الأستاذ الأكبر إلى العالم الإسلامى
٦٢٩	نواظم : نسائم فى جمع نسيم ... ...
١٠٦٩	النسخ فى القرآن الكريم ... ...
١١٥٣	النسخ فى الشريعة الإسلامية ... ...
٤٧	نشأة النحو العربى ... ...
٦١٣	
٧٢٠	النظرية العامة للإثبات فى الحدود ...
٨٩٩	النفقة وصلتها بقانون الوضع الجديد
٦٤٩	نظرية الإسلام الاقتصادية « كتاب »
٥٩٠	نهج البردة ... ...
١١٤٨	نومة صاحية « قصيدة » ... ...

(هـ)

صفحة	الموضوع
١٠٠	هجرة الرسول ... ...
٦٠١	هدنة اليقط ... ...

(و)

صفحة	الموضوع
٥٠٠	الوازع الدينى والثقافة العلمية ... ...
١٠٢٧	الوصايا العشر « كتاب » ... ...

(ى)

صفحة	الموضوع
١٠٩٤	اليازورى الوزير ... ...
١٠٨٤	يقظة العالم الإسلامى للكاتب الألمانى فونو
١٠٨٧	اليوم الذى يساوى خمسين ألف سنة

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

فهرس أبجدى عام

لمحتويات هذا المجلد

الصفحة	الاسم
٨٨٥	ابراهيم عبد الباقى
٢١٨	
٣٨١	
٦١٩	ابراهيم محمد نجا
٧٥٧	
١١٥٤	
٨٧	ابن سليم
٩٧٣	أبو الحسن على الندوى
٣٢٧	
٥٧٦	أحمد أحمد بدوى
١٠٩٩	
٦٨٢	أحمد أمين
١	
١٢٩	
٢٥٩	
٤٠٧	
٥٣٤	أحمد حسن الزيات
٦٠١	
٧٩٣	
٩٢١	
١٠٥٢	
٩٩٢	أحمد الشرباصى
١١٤١	

الصفحة	الاسم
٣٣٩	أحمد عبد الجواد الدومى
٣٦٦	أحمد عبد المنعم البهى
٦١٧	أحمد على منصور
٤٦٦	أسعد حسنى
١٠٠	أنور العطار
٤٧	
٤٣٩	تمام حسان
٧٠٤	
١٠٧٧	
٣٦٥	
٤٨٥	
٦٣١	جمال الدين الرمادى
٨٧٥	
٩٦٠	
١١٣٢	
٣٤٤	حسن الأعظمى
٤٨١	حسن الشيخة
٧٠٤	
٨٨٩	حسن عبد العزيز نصر
١٠٩٤	
٦٠٣	حمودة عبد العاطى

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

صفحة	الاسم
٣٥٢	راشد رستم
٥٠٠	
٥٠٤	سعد توفيق حمدى
٥٣٣	سليمان دنيا
٧٣	سميرة المغربى
٣٤٤	الصاوى شعلان
٢٠٥	
٣٦٢	
٥٠٨	
٦٣٥	عباس طه
٧٥٠	
٨٩	
١٠١	
١٠٤	
٩٤	
١٣٥	
٢١٤	
٢٦٧	
٣٧٧	
٤١٥	
٥١١	
٥٤١	عباس محمود العقاد
٦٣٩	
٦٦٥	
٧٥٣	
٧٩٩	

الصفحة	الاسم
٩٠١	
٩١٧	عباس محمود العقاد
١٠٢١	
١٠٥٦	
٥٥٦	عبد الجليل عيسى
٤٧٣	عبد الحليم محمود
٣٢٣	
٧٢٣	عبد الخالق عضيمة
٨٦٧	
١٠٠٤	
٢٠٢	عبد الرحمن العدوى
٣٧١	
٦٠٨	عبد الرحيم فودة
٨٦٢	
٢١	
٢٨٧	
٤٢٩	
٥٥٩	عبد اللطيف السبكى
٦٨٥	
٨١٥	
٩٣٩	
١٠٦٤	
١٨٤	
٤٤٤	عبد الله درويش
٧٦٦	
٩١٢	

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

صفحة	الاسم
٦٠١	عبد المنعم محمد الشيخ
١٩٢	عبد الموجود عبد الحافظ
١١١٦	
١٧١	عطية صقر
٥٩٦	
٧٣٠	
٨٥٠	
٩٨٧	
٦٤٣	على الجندى
٣٧	على العمارى
١٧٦	
٢٩٢	
٤٤٩	
٥٩٠	
٧١٠	
٨٥٥	
٩٩٨	
١١٠٨	
٥١٥	عمر بهاء الدين الأميرى
١١٥٣	
٣١٩	عمر الجندى
١١٤٨	مالك بن نبى
٧٧	محمد ابراهيم الجيوشى
٥١٧	
٦٢٣	
١٠١٩	محمد أحمد الغزب
١٤١	محمد البهى
٢٧١	
٤٢١	
٥٤٤	
٦٦٧	
٨٠٢	
١٠٦٩	محمد سعاد جلال
٦٠٤	محمد رضا المظفر
١٥٩	محمد رجب البيومى
٣٥٧	
٤٥٩	
٥٨٣	
٧٣٦	
٩٠٦	
٩٥٤	
١١٢٥	
٦٧	محمد سلام مدكور
٤٩٣	محمد عطية راغب
٦١٣	
٧٢٠	
٧٨٧	محمد عبد الرحمن سيد فهمى
١١٢	محمد عبد الله السمان
٣٨٦	
٦٤٦	
٧٦٩	
١٠٢٤	
١١٥٥	

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الصفحة	الاسم
٢٠٩ ، ٦٢٧ ، ٨٩٥ ، ٩٦٠	محمد على النجار
٥٧ ، ١٦٦ ، ٣٠٩ ، ٤٧٦ ، ٨٤٣	
١٠٨٥	محمد غلاب
٨٢	
١٩٥	محمد فتحى عثمان
٢٩٩	
٤٨٨	
٧١٦	
١٣	
١٤٧	
٢٧٧	
٤٢٥	
٥٥٧	محمد محمد المدنى
٦٧٢	
٨٠٩	
٩٣٤	
١٠٦٠	
٤١١	محمد نور الحسن

الصفحة	الاسم
٣٠٤	
٤٣٤	
٥٦٩	محمد يوسف موسى
٦٩١	
٨٢٠	
٩٤٤	
١٠١٨	محمود حسن إسماعيل
٢٥	
١٥٢	
٢٨٣	
٤٥٥	
٥٦٤	محمود الشرقاوى
٦٨٩	
٨٢٦	
٩٤٩	
١١٢٠	
٥	
١٣٣	
٢٦٣	محمود شلتوت
٥٣٧	
٧٩٦	
١٠٩١	محمود يوسف الشوارنى
٩٠	مصطفى أحمد الزرقا
٨٨٠	يوسف القرضاوى

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الصفحة	الاسم
٣٥٢	راشد رستم
٥٠٠	
٥٠٤	سعد توفيق حمدى
٥٣٣	سليمان دنيا
٧٣	سميرة المغربى
٣٤٤	الصاوى شعلان
٢٠٥	عباس طه
٣٦٢	
٥٠٨	
٦٣٥	
٧٥٠	
٨٩	
١٠١	
١٠٤	
٩٤	عباس محمود العقاد
١٣٥	
٢١٤	
٢٦٧	
٣٧٧	
٤١٥	
٥١١	
٥٤١	
٦٣٩	
٦٦٥	
٧٥٣	
٧٩٩	

الصفحة	الاسم
٩٠١	عباس محمود العقاد
٩١٧	
١٠٢١	
١٠٥٦	
٥٥٦	عبد الجليل عيسى
٤٧٣	عبد الحليم محمود
٣٢٣	عبد الخالق عضيمة
٧٢٣	
٨٦٧	
١٠٠٤	
٢٠٢	عبد الرحمن العدوى
٣٧١	عبد الرحيم أودة
٦٠٨	
٨٦٢	
٢١	عبد اللطيف السبكى
٢٨٧	
٤٢٩	
٥٥٩	
٦٨٥	
٨١٥	
٩٣٩	
١٠٦٤	
١٨٤	عبد الله شريش
٤٤٤	
٧٦٦	
٩١٢	

صفحة	الاسم
٦٠١	عبد المنعم محمد الشيخ
١٩٢	عبد الموجود عبد الحافظ
١١١٦	
١٧١	عطية صقر
٥٩٦	
٧٣٠	
٨٥٠	
٩٨٧	
٦٤٣	على الجندى
٣٧	على العمارى
١٧٦	
٢٩٢	
٤٤٩	
٥٩٠	
٧١٠	
٨٥٥	
٩٩٨	
١١٠٨	
٥١٥	عمر بهاء الدين الأميرى
١١٥٣	
٣١٩	عمر الجندى
١١٤٨	مالك بن نبى
٧٧	محمد ابراهيم الجيوشى
٥١٧	
٦٢٣	
١٠١٩	محمد أحمد العزب
١٤١	محمد البهى
٢٧١	
٤٢١	
٥٤٤	
٦٦٧	
٨٠٢	
١٠٦٩	محمد سعاد جلال
٦٠٤	محمد رضا المظفر
١٥٩	محمد رجب البيومى
٣٥٧	
٤٥٩	
٥٨٣	
٧٣٦	
٩٠٦	
٩٥٤	
١١٢٥	
٦٧	محمد سلام مدكور
٤٩٣	محمد عطية راغب
٦١٣	
٧٢٠	
٧٨٧	محمد عبد الرحمن سيد فهمى
١١٢	محمد عبد الله السمان
٣٨٦	
٦٤٦	
٧٦٩	
١٠٢٤	
١١٥٥	

الصفحة	الاسم
٢٠٩ ، ٦٢٧	محمد على النجار
٥٧ ، ١٦٦ ، ٤٧٦ ، ٨٤٣	
١٠٨٥	محمد غلاب
٨٢	
١٩٥	محمد فتحى عثمان
٢٩٩	
٤٨٨	
٧١٦	
١٣	
١٤٧	
٢٧٧	
٤٢٥	
٥٥٧	محمد فهمى الدقى
٦٧٢	
٨٠٩	
٩٢٤	
١٠٦٠	
٤١١	محمد محمد حسين
٣٠٤	
٤٣٤	
٥٦٩	محمد يوسف موسى
٦٩١	
٨٢٠	
٩٤٤	
١٠١٨	محمود حسن إسماعيل
٢٥	
١٥٢	
٢٨٣	
٤٥٥	محمود الشرقاوى
٥٦٤	
٦٨٩	
٨٢٦	
٩٤٩	
١١٢٠	
٥	
١٣٣	محمود شلتوت
٢٦٣	
٥٣٧	
٧٩٦	
١٠٩١	محمود يوسف الشوادفى
٩٠	مصطفى أحمد الزرقا
٨٨٠	يوسف القرضاوى